دليل الراشدين

في

تاريخ الخلفاء الراشدين

الدكتور أحمد طويل

شبكة الألوكة
www.alukah.net

مقدمة

يعدُّ عصرُ الخلافة الراشدة (١١-٤٠هـ) أميزَ عصور التاريخ الإسلامي المجيد، فهو امتدادٌ للعصر النبوي الشريف في معظم النواحي، وغدا -مع عصر النبوة- مَعلماً بارزاً ونموذجاً مكتملاً، يحاكيه مصلحو الأمة وصُناع نهضتها، لبلوغ ذلك المستوى السامق الرفيع، ومن ثمَّ صار كل مصلحٍ وحاكم عادل وإمام مجتهد يقيس بهذا العصر ويزنُ بميزانه.

وقد تولى الحكم فيه أربعةٌ من كبار الصحابة المقرَّبين من النبي ﷺ، ممن شهدَ لهم بالسابقة والفضل والبشارة بالجنة، تُعاونهم ثلة من أفاضل الصحابة رضي الله عنهم، فمثَّلوا النُخبة القيادية في الجهاد والفقه والفكر والسياسة والادارة والاقتصاد، وتحولت قيمهم الإسلامية إلى محرك للرعية، وانعكست من خلال الشورى في اختيار الحاكم والتزامه بأحكام الشريعة، والحفاظ على وحدة الأمة ومصالحها، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والاجتهاد الفردي والجماعي، طيلةَ ثلاثة عقود، فكان لزاماً علينا اتباعُهم عملاً بوصية النبي ﷺ: «فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ».

والخلفاء الراشدون هم الأئمة الأربعة، أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم أجمعين، الذين خلفوا رسول الله ﷺ في قيادة الأمة، منذ انتقاله إلى الرفيق الأعلى في ١٢ربيع الأول سنة ١١هـ إلى مقتل علي بن أبي طالب في ١٧ رمضان سنة ٤٠هـ؛ تسع وعشرون سنة وستة أشهر وخمسة أيام، وإذا أضيفت لها خلافة الحسن بن علي (من مقتل أبيه وحتى تنازله لمعاوية بن أبي سفيان) تكون ثلاثين سنة بالتمام.

وقد اختُصوا بوصف الراشدين لخصالهم الذاتية الحميدة، وقيامهم بما أوجب الله عليهم خيرَ قيام، وحسنِ إدارتهم لشؤون الأمة ورعايتهم لدينها وعقيدتها، وتمسُّكهم بالمنهج النبوي، ولثنائه عليهم ووصيتنا باتباعهم.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وكانت ولاية هؤلاء الأفاضل الأربعة لفضائلهم ومؤهلاتهم لقيادة الأمة بعد رسول الله ﷺ، والتي اشتملت بعضَها آيات الذِّكر الحكيم، وأحاديث النبي ﷺ، وبناءً على اختيار أهل الحل والعَقد لهم، وتوافُق الأمة عليهم، ولم يكن رهبةً أو رغبةً أو عن محاباة لهم أو لقرابة.

وإن صحَّت النية –والله الموفق– فإن هذا الكتاب جاء تلبيةً لنداءات كثيرةٍ بضرورة إعادة كتابة وتفسير أحداث التاريخ الإسلامي المجيد، وكخطوة على طريق تنقيته، ودحض شبهات الروافض والمستشرقين وأهل الأهواء ممن عملوا على تشويهه، وصولاً إلى الطعن في ديننا الحنيف.

ولا بدَّ لنا من اغتنام الفرصة للتأكيد على اعتماد منهجٍ قويم في قراءة وتدوين التاريخ الإسلامي، يقوم على التسليم بعدالة الصحابة الكرام وتوثيق القرآن لهم، ثم اعتمادِ أصول الجرح والتعديل المطبَّقة في علم الحديث على التاريخ والسير، فلا تُقبل إلاّ رواية الثقة عن مثله. أما الطَّعن في هؤلاء الأفاضل، والحط من قدرهم ومكانتهم وعظيم جهادهم، فأسلوبٌ خبيث هدفه الإساءة إلى هؤلاء الجهابذة، وثني الشباب المسلم عن التأسي بهم.

وقد ركزت في هذا الكتاب على نقد الأسانيد وتحليل متونها ما استطعت، محاولاً تتبع خطى الباحثين المنصفين ممن سبقوني في هذا المجال، والتنويع من الروايات الموثوقة في كتب الصحاح، وإلداء الرأي في بعض القضايا.

واللهَ تعالى أسأل أن يختم عملنا هذا بالقبول، وأن ينفع به المسلمين.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

الفصل الأول

أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه

(١١-١٣هـ)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

المبحث الأول

ترجمته وخصائصه

المطلب الأول: ترجمته

اسمه: عبد الله بن عثمان (أبي قحافة) بن عامر القرشي التيمي.

مولده ونسبه: وُلد بعد النبي ﷺ بسنتَين وثلاثة أشهر. يلتقي مع النبي في النَّسب في الجد السادس "مُرَّة بن كعب"، وأمُّه سلمى بنت صخر بن عمرو بن عامر بن كعب بن مُرَّة وكنيتها أم الخير.[1]

كان من وجهاء قريشٍ وأحدَ أشرافهم، وسيد بني تيم، وكانت إليه الأشناق (الديات والمغارم)، وهو أحد النَّسابة على مستوى العرب.[2]

كنيته: أبو بكر.

لقبه: عتيق، وقيل في سبب إطلاقه أن أمَّه حين ولدته كان لا يعيش لها ولد، فاستقبلت به الكعبة وقالت: "اللهمَّ إن هذا عتيقُك من الموت فهبْهُ لي". وقيل إن من لقبه بالعتيق هو النبي ﷺ فقال له: «أنتَ عتيقٌ من النَّار». فسُميَ عتيقاً.[3]

والصديق: لُقبَ به لأنه آمن بالنبي ﷺ دون تردُّد، وكان عليٌّ يحلف بالله أن الله أنزل اسم أبي بكر من السماء (الصديق).[4] وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٣٣].[5]

وقيل لجوابه المسكت لكفار قريش عندما قالوا: اسمَعْ ماذا يقول صاحبك!.

---

[1] يروي محمد بن أبي بكر بن عبد الله بن موسى الأنصاري التِّلمساني المعروف بالبُرّي في كتابه "الجوهرة في نَسَب النبي وأصحابه العشرة" ٢/ ١٠٥ أن اسم أبي بكرٍ في الجاهلية كان "عبد الكعبة"، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم: عبد الله.

[2] محمود شاكر: التاريخ الإسلامي، ص٢٨.

[3] الطبراني: المعجم الكبير ٥/١، والهيثمي: مجمع الزوائد ٤١/٩ وقال: رجاله ثقات.

[4] الزرقاني: الشرح على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية ٤٤٥/١. وانظر أيضاً: الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٤٢٥/٣.

[5] القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ١٦٧/٨. وفيه ينسب هذا القول لسيدنا علي.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قال: ما يقول؟

قالوا: يقول: إنه ذهَب البارحةَ وأتى إلى بيت المقدس، وأُسرِيَ به إلى السماوات، ثم نزل إلى الأرض وجاء في ليلةٍ، ونحن نضربُ أكبادَ الإبل شهراً ذَهاباً وشهراً إياباً!

فقال لهم أبو بكر: "والله لئن كان قالَه لقد صدق، فما يعجبُكم من ذلك؟! فواللهِ إنه ليُخبرُني أن الخبرَ يأتيه من السماء إلى الأرض في ساعةٍ من ليل أو نهار فأُصدِّقُه، فهذا أبعدُ مما تعجبون منه"؛ فسُمِّي يومئذٍ: الصدِّيقَ.[1]

ومن ألقابه؛ الصَّاحب، والأتقى، والأواه.

وصفه: كان أبو بكر رجلاً أبيضَ، خفيف العارضين لا يتمسك إزاره، معروق الوجه ناتئ الجبهة عاري الأشاجع،[2] أقنى، غائر العينين، يخضب بالحناء والكتم.[3]

زوجاته وأولاده: تزوَّج أبو بكر ﷺ أربع نساء: اثنتان في الجاهلية، واثنتان في الإسلام، وهُنَّ:

١. قتيلة بنت عبد العُزَّى: أنجبَت له عبد الله وأسماء، (واخْتُلف في إسلامها).[4]

٢. أم رومان بنت عامر: قيل اسمها زينب، وقيل دعد. أنجبَت له عبدالرَّحمن وعائشة.[5]

٣. أسماء بنت عميس: أنجبَت له عبد الله ومحمداً وعوناً.

٤. حبيبة بنت خارجة: وأنجبَت له أمَّ كلثوم.

---

[1] ابن هشام: السيرة النبوية ٢/٣٤. ولا بأس بإيراد الرواية التي ينقلها الطبري في تاريخه ٥٣٧/١. عن عباد بن عبد الله يقول: سمعت علياً يقول: أنا عبد الله وأخو رسوله وأنا الصدّيق الأكبر. لا يقولها بعدي إلا كاذب مفتر، صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلّم قبل الناس بسبع سنين. ويتمسك بها الروافض لإنكار لقب الصديق لأبي بكر، وشبهتهم هذه باطلة، فقد ردها الحافظ الذهبي في ميزان الاعتدال ٢/ ٣٦٨ وقال: هذا الحديث كذبٌ على علي. كما ردها ابن كثير في "البداية والنهاية" ٣/ ٢٥ وقال: خلاصة حكم المحدث: منكرٌ.

[2] أصول الأصابع المتصلة بالكف.

[3] محمود شاكر: التاريخ الإسلامي، ص٣٠.

[4] ابن حجر العسقلاني: الإصابة ٢٨٤/٨.

[5] ابن حجر العسقلاني: نفس المصدر، ١٢٨/٨.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

إسلامه: بادَر النبيُّ إلى صديقه الحميم أبي بكر ﷺ ليُخبِره بما أكرمه الله به من النبوة والرسالة، ويَدعوه إلى الإيمان به، فآمن دون تردُّد، وشهِد شهادة الحق، فكان أوَّل مَن آمن به من الرجال؛ قال رسول الله ﷺ: «مَا دَعَوْتُ أَحَداً إِلَى الْإِسْلَامِ إِلَّا كَانَتْ لَهُ فِيهِ كَبْوَةٌ، غَيْرَ أَبِي بَكْرٍ، فَإِنَّهُ مَا عَكَمَ».[1]

وبالإضافة إلى الحبِّ العميق الذي كان بينه وبين النبي ﷺ، كانت أخلاق الصديق المقاربة لأخلاق الأنبياء دافعاً آخر في تعجيل إسلامه.

صُحبته: لازمَ أبو بكر الصِّديق النبيَّ ﷺ قبل الإسلام، وصَحبَهُ في حِله وترحاله واستمرا على هذه الصُّحبة الكريمة بعد الإسلام إلى يوم وفاته ﷺ، ثم استمرا متجاورين بعد مماتهما إلى اليوم، وبالعودة إلى السيرة النبوية الشريفة، نجد أمثلةً كثيرة منها المسارعة إلى تصديقه في كل ما يقول، وملازمته في السراء والضَّراء، ولما عزم على الهجرة قال له عليه الصَّلاة والسَّلام: «على رِسْلك يا أبا بكرٍ لعلَّ اللهَ يَجعلُ لَكَ صَاحِباً». حتى إذا جاءه ليخبره أن الله قد أذِنَ له في الهجرة قال: الصُّحبةَ يا رسول الله! فأجابه ﷺ: «الصُّحْبَةَ». تقول أمُّنا عائشة رضي الله عنها: "ما شعرتُ قبل ذلك أن أحداً يبكي من الفرحِ حتى رأيتُ أبا بكرٍ يبكي حين أذِنَ له رسولُ الله ﷺ في صُحبته، ولولا وجود المشابهة والمشاكَلة بينهما، وتوفُّرِ الرَّاحة والميول النَّفسية المتبادلة، لما اختار صُحبته في تلك الرحلة المصيرية والخطرة. ويقول ﷺ في موضعٍ آخر: «لوكنتُ مُتَّخِذاً خليلاً لاتَّخذتُ ابنَ أَبي قُحَافةَ خَلِيْلاً».[2]

---

[1] الذهبي: تاريخ الإسلام ٧٩/١. والبيهقي: دلائل النبوة ١٦٤/٢، وابن كثير: السيرة النبوية ٤٣٣/١.

[2] متفقٌ عليه.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مروياته من السُّنَّة الشريفة: على الرغم من انشغال أبي بكر رضي الله عنه بأمور الخلافة، إلا أنه كان من أحرص الناس وأحفظهم لسنة النبي صلى الله عليه وسلم، فقد روى ما يزيد عن مئة وأربعين حديثاً نبوياً شريفاً، وروى عنه كثير من الصحابة كعبد الله بن عباس، وأنس بن مالك، وعبد الله بن عمر بن الخطاب، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وغيرهم كثير..

ومن المؤكد أن الصديق ﷺ كان يحفظ أضعاف هذا العدد من الأحاديث النبوية، لكنه تفرَّغ لشؤون الرَّعيَّة والجهاد، ولم يكن له تلامذة يأخذون عنه الحديث، في حين أنه لمس حرص بعض الصحابة الكرام على رواية الحديث النبوي الشريف، كأبي هريرة وأمنا عائشة رضي الله عنهما، فطابت نفسه لذلك، وانصرف عن رواية الحديث.[1]

وفاته: توفيَ أبو بكر ﷺ في يوم الاثنين لثمانٍ بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة، وهو ابن ثلاث وستينَ سنة، وكانت خلافتُه سنتين ومائة يوم، ودُفن في الحُجرة الشريفة، بجانب صاحبه النبي ﷺ.

وفي سبب وفاته قولان؛ يروي الزهري أن أبا بكر والحارث بن كلدة كانا يأكلان خزيرةً أُهديت لأبي بكر، فقال الحارث: ارفعْ يدك يا خليفةَ رسول الله، واللهِ إنَّ فيها لسمُّ سنةٍ، وأنا وأنت نموتُ في يوم واحدٍ، قال: فلم يزالا عليلينِ حتى ماتا في يوم واحدٍ عند انقضاء السَّنة.[2]

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: أولُّ ما بُدئ مرض أبي بكر أنه اغتسلَ، وكان يوماً بارداً فحمَّ خمسة عشر يوماً لا يخرج إلى صلاةٍ، وكان يأمر عمر بالصلاة بالناس، وكان عثمانُ ألزمَ الصحابة له في مرضه.[3]

---

[1] انظر: ابن تيمية: منهاج السنة، ٣٦٧/٧. وابن القيم: أعلام الموقعين ١٩٧/١.

[2] السيوطي: جمع الجوامع ٤٥/١١ برقم (١٩٨).

[3] ابن سعد: الطبقات ١٥٠/٣. والسيوطي: تاريخ الخلفاء، ص٥١.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

المطلب الثاني: أخلاقه

تميَّز الصِّديقُ ﷺ بحسنِ الخلقِ، فهو صاحب النَّبيِّ ﷺ، الذي يقول: «المرءُ على دينِ خَليلِهِ، فلينظُرْ أحدُكم منْ يُخالِل»،[1] نهلَ من معينه، وتشبَّه به في هَديه.

ولا بأسَ بالوقوف عند أبرز أخلاق الصِّدِّيقِ ﷺ.

- الصِّدق: صفةٌ اشتهر بها أبو بكرٍ في الجاهلية فكان يسمى –كرسول الله ﷺ– بـ"الصَّادق". حدثَ خلافٌ بين أبي بكر رضي الله عنه وبين أحد الصحابة رضي الله عنهم، فقال رسول الله ﷺ: «هَلْ أَنْتُمْ تَارِكُونَ لِي صَاحِبِي، هَلْ أَنْتُمْ تَارِكُونَ لِي صَاحِبِي؟ إِنِّي قُلْتُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جميعاً، فَقُلْتُمْ: كَذَبْتَ. وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: صَدَقْتَ».[2]

وصفه ابن الدغنة لما أراد الخروج الى الحبشة فقالَ: "ما مثلُك يا أبا بكرٍ يخرجُ. إنك لتَصدُق الحديثَ، وتصِل الرَّحمَ، وتحمل الكلَّ وتُكسِب المعدومَ، وتُعين على نوائبِ الدَّهر..".[3]

- الحِلم والصَّفح: وعُرف عنه حِلمهُ وصفْحُهُ، والأمثلة كثيرة، منها ما وقع له مع قريبِه مِسطَح، وكان يُنفق عليه ويحسن إليه، فلما خاض المنافقون والذين في قلوبهم مرض في أمِّنا عائشة رضي الله عنها، فيما عُرِفَ في السيرة العطرة بـ "حادثة الإفك" خاض مسطح مع الخائضين، فقطعَ أبو بكر ﷺ هذه النَّفقة، فلما نزلَ قوله تعالى: ﴿وَلا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور:٢٢] قال: "بلى يا ربُّ، أُحِبُّ أنْ تَغفِرَ لي".[4] وعادَ يصلُ مسطحاً وينفق عليه.

---

[1] أبو داود السنن برقم (٤٨٣٣)، والترمذي: السنن برقم (٢٣٧٨)، وأحمد: المسند برقم (٨٣٩٨) واللفظ له.

[2] البخاري: كتاب التفسير، سورة الأعراف برقم (٤٣٦٤) عن أبي الدرداء رضي الله عنه.

[3] البخاري: كتاب الكفالة، باب جوار أبي بكر في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وعقده برقم (٢١٧٥). وهي نفس الصفات التي نعتت بها أمنا خديجة نبينا ﷺ بعد عودته من حراء. أنظر: البخاري: بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

[4] البخاري: الجامع الصحيح ٥٧/١٨– ٥٨ برقم (٤٧٥٠).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

- رجاحة العقل: كما عُرف عنه رجاحة العقل التي تبدَّتْ في مواقفَ كثيرةٍ، منها محاربته للمرتدين، وإنفاذه جيشَ أسامة بن زيدٍ، واستخلافه عمرَ..
- الكرم: كان أبو بكر جواداً كريماً، لم يبخل على أحدٍ بقليلٍ أو كثير، أعتق عشرين من الصحابة من ربقة العبودية، ممن كانوا يعانون أشد أنواع العذاب والتنكيل، منهم بلال بن أبي رباح، وعامر بن فهيرة، وزنيرة، والنهدية وابنتها، وجارية بني المؤمل، وأم عُبيس.. وأنفق في ذلك أربعين ألف دينار؛ قال له ﷺ: «يا أَبَا بكرٍ، إنَّ بِلالاً يُعذَّبُ في الله»،[1] فعرف أبو بكر الذي يريد النبيُّ ﷺ فانصرف إلى منزله، فأخذ رطلاً من ذهب، فاشتراه فأعتقه، فنزل قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ﴾ [الليل: ٥] وما بعدها، بسبب إعتاق هؤلاء، فقال له أبوه أبو قحافة: أراكَ تُعتقُ رِقاباً ضِعافاً فلو أنكَ أعتقتَ رِجالاً جَلْداً يمنعونك ويقومون دونك؟.

فقال: يا أبتِ؛ إني إنما أريد ما عند الله.[2]

كما أنفقَ أمواله في مكة في سبيل الله، حتى لم يبقَ له يوم الهجرة من رأسماله البالغ أربعين ألفاً أول إسلامه إلا خمسة آلاف أخذها معه، وما أبقى لأهله درهماً!.

ومن مواقف كرمه وإنفاقه المشهودة ما كان منه عند تجهيز جيش العُسرة المتوجِّه إلى تبوك، إذ أنفق يومها مالَه كلَّه! وعندما سأله رسول الله ﷺ: «ماذا أبْقيتَ لأَهْلكَ يا أبا بَكْر؟».[3]

فأجابه: أبقيتُ لهمُ اللهَ ورسولَه!!.

فكان الثَّناء النبوي: «ما نَفعني مالٌ كما نَفعني مالُ أبي بكرٍ».[4]

---

[1] ابن أبي شيبة: المصنّف، كِتَابُ الْفَضَائِلِ مَا ذُكِرَ فِي أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ برقم (٣١٣١١).

[2] أنظر أسباب نزول الآيات في: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، سورة الليل، ٥٦/١٠.

[3] الترمذي: السنن، كتاب المناقب برقم (٣٦٧٥).

[4] الترمذي: السنن، كتاب المناقب برقم (٣٦٦١). وانظر: طه حامد الدليمي: إمامة الصِّديق، ص٤٠-٤١.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

- الشجاعة: كان أبو بكر الصِّديق أشجعَ الناس بعد النَّبيِّ ﷺ، لم يتردَّد في موقفٍ، ولم يضطَّرب أو يفرَّ في معركةٍ، ودفاعه عن النبي ﷺ عند الكعبة عندما ضُرِبَ حتى كاد يموت، ومرافقته في الهجرة، وفي بدرٍ وأُحُدٍ وحُنَينٍ وغيرها أكبرُ الأدلَّة على شجاعته البالغة.

يروى عن سيدنا علي رضي الله عنه أنه قال: أخبروني من أشجعُ الناس؟

قالوا: أنتَ.

قال: أما إني ما بارزتُ أحداً إلا انتصفتُ منه، ولكن أخبروني بأشجعِ الناس.

قالوا: لا نعلمُ، فمن؟.

قال: أبو بكر، إنه لما كان يوم بدرٍ جعلنا لرسول الله ﷺ عريشاً فقلنا: من يكونُ مع رسول الله لئلا يهوي إليه أحدٌ من المشركين؟ فوالله ما دنا منَّا أحدٌ إلا أبا بكر شاهراً بالسيف على رأس رسول الله ﷺ لا يهوي إليه أحدٌ إلا هوى اليه؛ فهو أشجعُ الناس. ولقد رأيت رسول الله ﷺ وأخذته قريشٌ، فهذا يجبأه وهذا يَتَلَتْلَهُ، وهم يقولون: أنت الذي جعلتَ الآلهة إلهاً واحداً؟ فوالله ما دنا منا أحدٌ إلا أبا بكر يضربُ هذا ويجْبأ هذا ويتلتلُ هذا وهو يقول: ويلَكم أتقتلونَ رجلاً أن يقولَ ربيَ اللهُ؟!.

ثم رفع عليٌّ بُردةً كانت عليه ثم بكى حتى اخضلَّتْ لحيتُه ثم قال: أُنشِدكُم اللهَ، أمؤمنُ آل فرعون خيرٌ أم أبو بكرٍ؟ فسكتَ القومُ، فقال: ألا تجيبوني؟. فو الله لساعةٌ من أبي بكر خيرٌ من ألفِ ساعةٍ مثل مؤمن آل فرعون! ذاك رجلٌ يكتم إيمانه، وهذا رجل أعلنَ إيمانه.[1]

- الزُّهد والورع: كان أبو بكر رضي الله عنه ورِعاً زاهداً في الدنيا، والأمثلة كثيرة في هذا الميدان أيضاً، منها أنه كان له غلامٌ يخرج له الخراج، وكان أبو بكر يأكلُ من خَراجه، فجاء يوماً بشيء، فأكل منه أبو بكر، فقال له الغلام: تدري ما هذا؟.

---

[1] ابن كثير: جامع المسانيد والسنن الهادي لأقوم سنن ١٠/ ٥٦٨١ برقم (٧٤٨). والحاكم: المستدرك ٣/ ٦٧. والحديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فقال أبو بكر: وما هو؟.

قال: كنتُ تكهَّنت لإنسانٍ في الجاهلية وما أُحسن الكهانة، إلا أني خَدعتُه، فلقيني فأعطاني بذلك، فهذا الذي أكلتَ منه، فأدخلَ أبو بكر يده، فقاء كل شيء في بطنه.[1]

دخل عليه عمر بن الخطاب فرآه وهو يجبذ لسانه، فقال له عمر: مَهْ، غفر الله لك! فقال أبو بكر: إن هذا أوردني الموارد.[2]

ورأى طيراً واقعاً على شجرة، فقال: طوبى لك يا طير، والله لوددتُ أني كنت مثلك، تقع على الشجرة، وتأكل من الثمر، ثم تطير، وليس عليك حسابٌ ولا عذاب، والله لوددت أني كنت شجرةً إلى جانب الطريق، مرَّ عليَّ جمل فأخذني، فأدخلني فاه فلاكني، ثم ازدَردني، ثم أخرجني بَعراً، ولم أكنْ بشراً.[3]

- الفقه: عُرف عن أبي بكرٍ ﷺ فقهه وسعة اطلاعه وتَميُّز اجتهاداته، كيف لا وهو صاحب النبي ﷺ، الذي نهل من ذلك المعين الذي لا ينضب؟.

جاءه رجلٌ فقال: إن أبي يريد أن يأخذ مالي كله يجتاحه، أي لا يُبْقي منه شيئاً، فقال لأبيه: إنما لكَ من ماله ما يكفيك. فقال: يا خليفةَ رسول الله، أليس قد قال رسول الله ﷺ «أنتَ ومالُكَ لأبيك»[4] فقال: نعم، وإنما يعني بذلك النَّفقة".[5]

- الحياء: والأمثلة كثيرة، منها ما روه الزبير بن العوام إن أبا بكر قال وهو يخطب الناس: "يا معشر المسلمين، استحيوا من الله –عز وجل– فو الذي نفسي بيده إني لأظل حين أذهب الغائط في الفضاء متقنعا بثوبي استحياء من ربي عز وجل".[6]

---

[1] انظر: الشوكاني: فتح القدير ١٣٠٠/٢٤. وانظر: سيد كسروي حسن: موسوعة آثار الصحابة ٩٥/١- ٩٦.

[2] البخاري: الجامع الصحيح برقم (٣٨٤٢).

[3] الكاندهلوى: حياة الصحابة ٢٤٢/٢. والبيهقي: شعب الإيمان ٤٨٥/١.

[4] أحمد: المسند ٥٠٣/١١.

[5] السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص٦٦.

[6] أبو نعيم: حلية الأولياء، ٣٤/٢.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

- الرحمة: جُبِل الصِّديق على الرحمة، وانعكست في سلوكه الشخصي، وعلى علاقاته مع الناس، فكان لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن، ويشفق على المستضْعفين ويُعتقهم، حتى أنَّه أشفق على أسرى بدرٍ من المشركين، وقال: يا رسول الله؛ هؤلاء بنو العم والعشيرة والإخوان، وإني أرى أن تأخذ فيهم الفدية.. فاستحقَّ المدح النبوي: «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر».[1]
- الحكمة: والتي انعكست في خطبه ومواعظه، منها قوله: "الظلمات خمس، والسرج خمس: حب الدنيا ظلمة، والسراج له التقوى، والذنب ظلمة، والسراج له التوبة، والقبر ظلمة، والسراج له لا إله إلا الله محمد رسول الله، والآخرة ظلمة، والسراج لها العمل الصالح، والصراط ظلمة، والسراج لها اليقين".[2]

وقوله: "أين من تعرفون من إخوانكم، ومن أصحابكم؟! قد وردوا على ما قدموا، قدموا ما قدموا في أيام سلفهم، وحلوا فيه بالشقوة، والسعادة، أين الجبارون الذين بنوا المدائن وحففوها بالحائط؟! قد صاروا تحت الصخر والآبار، أين الوضاءة الحسنة وجوههم المعجبون بشبابهم؟ أين الملوك؟ وأين الذين كانوا يعطون الغلبة في مواطن الحرب؟ قد تضعضع بهم الدهر فأصبحوا في ظلمات القبور، لا خير في قول لا يراد به وجه الله، ولا خير في مال لا ينفق في سبيل الله، ولا خير في من يغلب جهله حلمه، ولا خير في من لا يخاف في الله لومة لائم".[3]

---

[1] الترمذي: السنن برقم (٣٧٩٠)، وابن ماجه: السنن برقم (١٥٤) واللفظ له.

[2] العسقلاني: نصائح العباد في بيان ألفاظ منبهات على الاستعداد ليوم المعاد، ص٧٠.

[3] المتقي الهندي: كنز العمال، ٦١/٨.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المطلب الثالث: أبرز خصائصه

ومن أبرز خصائص الصديق:

أ- أولُ الصحابة إسلاماً: بعد أمِّنا خديجة رضي الله عنها، فكان أولَّ داعٍ في الاسلام بعد النبي ﷺ، وقد أسلم على يده كبار الصَّحابة، كعثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وأبو عبيدة بن الجراح.

ب- أولُ خطيب في الإسلام: عندما بلغ عدد المسلمين تسعة وثلاثين رجلاً، ألحَّ أبو بكر على النبي ﷺ في الظهور فأجابه: «يا أبا بكرٍ إنّا قليلٌ»[1] فلم يزلْ يلحُّ حتى ظهر النبي ﷺ وتفرّق المسلمون في نواحي المسجد، وقام أبو بكر خطيباً ورسول الله جالسٌ، فكان أول خطيبٍ دعا إلى الله عزَّ وجل ورسوله ﷺ.

ت- يُدعى إلى الجنة من جميع أبوابها: مصداقاً لقوله ﷺ «مَن أنْفَقَ زَوْجَيْنِ في سَبيلِ اللهِ نُودِيَ في الجَنَّةِ: يا عَبْدَ اللهِ، هذا خَيْرٌ، فمَن كانَ مِن أهْلِ الصَّلاةِ، دُعِيَ مِن بابِ الصَّلاةِ، ومَن كانَ مِن أهْلِ الجِهادِ، دُعِيَ مِن بابِ الجِهادِ، ومَن كانَ مِن أهْلِ الصَّدَقَةِ، دُعِيَ مِن بابِ الصَّدَقَةِ، ومَن كانَ مِن أهْلِ الصِّيامِ، دُعِيَ مِن بابِ الرَّيّانِ. قالَ أبو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ: يا رَسولَ اللهِ، ما علَى أحَدٍ يُدْعَى مِن تِلكَ الأبْوابِ مِن ضَرُورَةٍ، فَهلْ يُدْعَى أحَدٌ مِن تِلكَ الأبْوابِ كُلِّها؟. فقالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: «نَعَمْ، وأَرْجُو أنْ تَكُونَ منهمْ».[2]

وقد نظمَ ابن القيم في ذلك أبياتٍ جميلة قال فيها:

ولسوفَ يُدعى المرءُ من أبوابها ... جَمعاً إذا وفَّى حُلى الإيمانِ

منهُمْ أبو بكرٍ الصِّديقِ ذا ... كَ خليفةُ المبعوثِ بِالقُرآنِ

---

[1] ابن كثير: البداية والنهاية ٣/٣٠.

[2] البخاري: الصحيح، كتاب فضائل الصحابة، برقم (٣٤٦٦).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ث- سيد كُهُول أهل الجنة: عن علي، عن النبي ﷺ قال: «أبو بَكرٍ وعُمرُ سيِّدا كُهُولِ أهلِ الجَنَّةِ منَ الأوَّلين والآخِرين، ما خَلا النَّبيينَ والمرسلِينَ، لا تُخبِرْهُما يَا عَلِي».[1]

ج- أكثرُ الصحابة بذْلاً في سبيل الله: ومن أعظمِ الأمة نفعاً للدعوة، دافع عن النبي ﷺ بيده ولسانه، جهاراً نهاراً، فناله من الأذى الشيءَ الكثير.. والأمثلةُ كثيرة، منها ردة فعلهم على خطبته سالفة الذكر، فقد ثار المشركون عليه يضربونه ضرباً شديداً، ووُطئَ بالأرجل، وصار عُتْبة بن ربيعة يضربهُ بنعلين مخصوفتين ويحرفهما إلى وجهه حتى صار لا يعرف أنفه من وجهه، فجاءت بنو تيم يتعادَون فأجْلتِ المشركين عن أبي بكر إلى أن أدخلوه منزله لا يشكُّون في موته، ثم رجعوا فدخلوا المسجد فقالوا: والله لئن مات أبو بكر لنقتلنَّ عتبة، ثم رجعوا إلى أبي بكر، وراح والده أبو قحافة وبنو تيم يكلمونه فلا يجيب حتى آخر النهار، ثم تكلم وقال: ما فعلَ رسولُ الله ﷺ؟ فعذلوهُ، فصار يكرر ذلك..

فقال: والله لا أذوقُ طعاماً ولا أشربُ شراباً أو آتي رسولَ الله، قالت أمه: فأمهلناه حتى إذا هدأت الرجال وسكن الناس خرجنا به يتكئ عليَّ حتى دخل على رسول الله فرقَّ له رقة شديدة وأكبَّ عليه يقبله وأكبَّ عليه المسلمون كذلك فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، ما بي من بأسٍ إلا ما نالَ الناسُ من وجهي.[2]

ح- عتيقُ الله من النار: عن عائشة، أن أبا بكر، دخَل على رسول الله ﷺ فقال: «أنتَ عتيقُ اللهِ منَ النَّار»؛ فيومئذٍ سُمِّي عتيقاً.[3]

خ- نزولُ آيات قرآنيةٍ كريمةٍ تثني عليه: نزلت في حق أبي بكرٍ الصديق رضي الله عنه آياتٌ كثيرة. منها آياتٌ عامة يشترك معه فيها بعض الصَّحابة أو الأمة ككلٍ، ومنها ما هي خاصةٌ به لم

---

[1] الترمذي: السنن؛ ت شاكر ٦١١/٥. قال المناوي في "التيسير بشرح الجامع الصغير" ١٨/١: (سيدا كهول أهل الْجنَّة) أَي الكهول عِنْد الْمَوْت، إِذْ لَيْسَ فِي الْجنَّة كهولٌ، فَاعْتبر مَا كَانُوا عَلَيْهِ عِنْد فِرَاق الدُّنْيَا.

[2] ابن كثير: البداية والنهاية ٤١/٣. والكاندهلوي: حياة الصحابة ٣٣٧/١.

[3] الترمذي: السنن؛ ت شاكر ٦١٦/٥.

www.alukah.net

يشركه فيها أحدٌ، وعلى رأس قائمة هذه الآيات اثنتا عشرة آية: منها آية "الغار"، وآية "الولاية" وآية "الفضل" و"آية التفضيل" وآية "الصدق" وآية "التصديق"، وآيات من سورتي "الليل" و"الشرح"..[1]

ولا بأس بالتَّوقُّف قليلاً عند آية "الغار"، وهي قوله تعالى: ﴿إِلاَّ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة:٤٠). نزلت هذه الآية في حقِّ نبيِّنا ﷺ وصاحبه أبي بكرٍ رضي الله عنه ولم يشركهما في شرفها وفضلها أحدٌ،[2] وفيها تفرَّد الصِّدِّيق تفرده بلقب "صاحبه"، وبالمعية الخاصة، وبوصف "ثانيَ اثنين"، و "بمواساة النبيِّ ﷺ".[3]

د- تقديم النبيِّ ﷺ له في الصلاة: ثبتَ أنَّ نبيَّنا الكريمَ ﷺ قدَّمَ أبا بكرٍ ليصليَ بالنَّاس في مرض موته. وهذا دليلٌ جليٌّ على أنَّ النبيَّ ﷺ كان يراه أعلم الصحابة وأقرأَهم لكتاب الله تعالى، ولما تقدم عمر رضي الله عنه في أحد الأوقات -وكان الصديق غائباً- وسمع النبي ﷺ صوته يصلي بالناس، صرخَ يُسمِع الناس: «فَأَيْنَ أَبُو بَكْرٍ، يَأْبَى اللَّهُ ذَلِكَ وَالْمُسْلِمَونَ، يَأْبَى اللَّهُ ذَلِكَ وَالْمُسْلِمَونَ».[4]

---

[1] طه حامد الدليمي: إمامة الصديق، ص٢٠.

[2] يقول فيه حسان بن ثابت: وثاني اثنين في الغار المنيف وقد طاف العدو به إذ صعّد الجبلا
وكان حِبَّ رسول الله قد علموا من البرية لم يعدل به رجلا
فروي عن النبي ﷺ أنه ضحك حتى بدت نواجذه ثم قال: صدقت يا حسان هو كما قلت.

[3] في قوله تعالى على لسان نبيه ﷺ لفتةٌ جميلة، فلم تذكر الآية الكريمة أن أبا بكر رضي الله عنه كان خائفاً، رغم أن الموقف موقف خوف أكثر منه موقف حزن. وإنما ورد فيها ذكر الحزن. والحزن غير الخوف: الحزن على أمر واقع، والخوف من أمر متوقَّع، وبالتالي فإن ما يقال من أن أبا بكر كان خائفاً مضطرباً غير صحيحٍ، بل هو افتراءٌ محضٌ.

[4] أبو داوود: السنن، كِتَاب السُّنَّةِ بَابٌ فِي اسْتِخْلَافِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، برقم (٤١٠٤).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ومن خصائصه أيضاً: ليس في الصحابة مَن أسلم أبوه وأمُّه، وأولاده وأولاد أولاده، وأدركوا النبي ﷺ سواه؛ قال شيخ الإسلام: "فهم أهل بيتِ إيمانٍ، ليس فيهم منافقٌ، ولا يُعرفُ هذا لغير بيت أبي بكر، وكان يقال: "للإيمان بيوتٌ، وللنفاق بيوتٌ، وبيت أبي بكرٍ من بيوت الإيمان".[1] وهو والدُ أُمنا الصديقة عائشة، الصوَّام القوام، وإذا قرأ القرآن لا يملك دمعه، ولرأفته كان يُسمى "الأوَّاه". وفي يوم واحدٍ تبع جنازةً، وأطعم مسكيناً، وعادَ مريضاً..

ولا بأس بالإشارة إلى حديث موضوع اشتهر على ألسنة بعض الدعاة وفي كتاباتهم، وهو: "اللهمَّ اجعل أبا بكرٍ معي في درجتي في الجنة". والحديث لا أصلَ له في شيء من كتب السنة المعتمدة.[2]

والحديث الموضوع على لسان النبي صلى الله عليه وسلم: "يا أبا بكر ألا أبشرك؟ قال: بلى فداك أبي وأمي، قال: إن الله عز وجل يتجلى للخلائق يوم القيامة عامة ويتجلى لك خاصة".[3] والحديث المكذوب: "إن الله جعل أبا بكر خليفتي على دين الله ووحيه، فاسمعوا له تفلحوا وأطيعوه ترشدوا".[4]

---

[1] ابن تيمية منهاج السنة النبوية ٣٣٢/٨.

[2] البخاري: التاريخ الكبير ٣١٢/٦. والآفة فيه من جهة محمد بن العباس بن أيوب، قال عنه الذهبي في لسان الميزان ٢١٥/٥ بأنه يروي الطامات وليس بثقة. كما أبو نعيم في "حلية الأولياء" ٣٣/١ من طريق عطاء بن أبي ميمونة، وهو مُتكلَّمٌ فيه من جهة القدر، ووثقه أخرون.

[3] رواه الخطيب البغدادي في تاريخ دمشق ١٩٦/١٧ عن أنس مرفوعاً، وقال: لا أصل له وضعه محمد بن عبد بن عامر، وله طرق منها أنه - صلى الله عليه وسلم - قال لأبي بكر: "أعطاك الله الرضوان الأكبر" فقال بعض القوم: يا رسول الله وما الرضوان الأكبر؟ قال: (يتجلى الله في الآخرة لعباده المؤمنين عامة ويتجلى لأبي بكر خاصة) رواه أبو نُعيم عن جابر مرفوعًا، وفي إسناده محمد بن خالد الختلي وهو كذاب.

[4] رواه الخطيب في تاريخ دمشق ٢٣٧/١٧ عن ابن عباس مرفوعًا، والغرض ممن وضعه الاحتجاج به على الشيعة.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المبحث الثاني

خلافة الصديق

المطلب الأول: بيعته

عن عائشةَ رضي الله عنها أنَّ رسول الله ﷺ وسلَّم مات، وأبو بكرٍ بالسُّنْح (بالعالِيَة)، فقام عمر يقول: والله ما مات رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم. قالت: وقال عمرُ: والله ما كان يقع في نفسي إلاَّ ذاك، وليبعثَنَّه الله فليقطعن أيدي رجالٍ وأرجُلَهم،[1] فجاء أبو بكرٍ، فكشف عن رسول الله ﷺ فقبَّلَه، قال: بأبي أنت وأمي، طِبْتَ حيّاً وميتاً، والذي نفسي بيده، لا يُذِيقك الله الموتتيْن أبداً، ثم خرج، فقال: أيُّها الحالف، على رِسْلك. فلما تكلَّم أبو بكر، جلس عمر، فحمد اللهَ أبو بكرٍ، وأثنى عليه، وقال: ألاَ من كان يعبدُ محمَّداً، فإن محمداً قد مات، ومن كان يَعْبد الله؛ فإن الله حيٌّ لا يموت، وقال: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ [الزمر: ٣٠]، ثم قال: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، فنَشِج الناس يَبْكون.[2]

واجتمعت الأنصارُ إلى سعد بن عُبَادة في سقيفة بني ساعدة، لمبايعته، فذهب إليهم أبو بكر وعمرُ بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح، فتكلم عمر، ثم تكلم أبو بكرٍ، فتكلم أبْلغَ الناس، فقال في كلامه: نحن الأُمَراء، وأنتم الوُزَراء، ثم ذكَّرهم بقوله ﷺ «الأئمة من قريشٍ»[3]، فقال حُبَاب بن المنذر: لا واللهِ، لا نَفْعل، منا أميرٌ، ومنكم أميرٌ، فقال أبو بكر: لا، ولكنَّا الأمراء

---

[1] ابن أبي شهبة: السيرة النبوية ٥٩٤/٢.

[2] الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٤٤٢/٢، وابن هشام: سيرة ابن هشام ٦٥٥/٢.

[3] البخاري: الصحيح ١٠٤/٨ برقم (٩٣). والطيالسي: المسند برقم (٩٢٦) عن أبي برزة، وبرقم (٢١٣٣) عن أنس.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وأنتم الوزراء؛ هم أوسَطُ العرب داراً، وأعرَبُهم أحساباً، وقد رضيتُ لكم أحد هذين الرجلين، فبايِعُوا عمر، أو أبا عبيدة بن الجراح.

فقال عمر: بل نبايعكَ أنت؛ فأنت سيِّدُنا وخيرنا، وأحبُّنا إلى رسول الله ﷺ. فأخذ عمرُ بيده فبايعَه، وبايعه الناس.[1] والدلالات في حادثة السقيفة كثيرة، منها:

١. أن النبيَّ ﷺ لم ينُصَّ صراحةً على الخليفة مِن بعده، وأنَّ للإمام أن يَتْرك اختيار الخليفة للمسلمين.

٢. وأن السُّلطة ضرورةٌ للدين، فلا دينَ بغير الدولة، ولا تعارض بين الحزن على النبيﷺ وبين القيام بإحدى الضرورات، لذا اختار المسلمون خليفَتهم قبل أن يدفنوا نبيهم.

٣. اقتضت الأوضاع العامة مسارعةَ الأنصار للاجتماع في السقيفة، وتباحث أمر الخلافة، فقبائل عبس وذبيان على بعد أميال من المدينة، وهم حديثو عهد بالإسلام، ومسيلمة متربصٌ بجيوشه، واليهود والمنافقون ينتظرون إشارةً للتعبير عن حقدهم الدفين، وقد يتحركون بأية لحظة، كما أن النعرة القبليَّة لا تزال موجودة، وقد تبايع كل قبيلة أحدَ أكابرها، فلا بد من الانتهاء من قضية البيعة للخليفة.

٤. من الأسباب التي دعت الأنصار إلى اختيار رجلٍ منهم (سعد بن عبادة) أنهم أهل البلد الأصليين، وعماد الدولة وحماتها، ومن المصلحة أن يقود هذه الدولة من هو أعلم بوضعها، بالإضافة إلى توقُّع الأنصار قربَ عودة المهاجرين إلى ديارهم بمكة.

٥. تمَّت بيعة أبي بكرٍ بعد مُشاورات بين أهل الحَلِّ والعَقْد من المهاجرين والأنصار، ولا ضيرَ في تغيُّب بعضهم، فقد تخلَّف عليّ بن أبي طالب والزُّبير بن العوام بسبب تجهيز النبِيّ ﷺ، وإن كانا بايعا بعد ذلك. كما لم تضُرَّ مخالفةُ سعْدِ بن عُبَادة رضي الله عنه.[2]

---

[1] البخاريُّ: الجامع الصحيح ١٣٤٢/٣ برقم (٣٤٦٧)، والنَّسائيُّ: السنن الكبرى ١١/٤ وأحمد: المسند ٥٥/٦.

[2] عبد الله بن عمر الدميجي: الإمامة العظمى عند أهل السنة و الجماعة، ص١٤٧- ١٤٨ بتصرُّف.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المطلب الثاني: سياسة الرعية

الرئاسةَ في السياسة الإسلامية –وكما فهمها وطبَّقها أبو بكرٍ– تكليفٌ مُضْنٍ، وعطاء كبير، وتضحية مستمرة، ومسؤولية شاقَّة بمعناها الخدمي لا الانتفاعي، فالقائد في مقدمة الرَّكب في المحن والشدائد، لكنه يتوارى في السَّراء..

كانت المساواة بين الحاكم والمحكوم، والعدلُ بين الرعية عنواناً لسياسة أبي بكرٍ ﷺ لرعيته، فلا ميزاتٍ للخليفة عن بقية أفراد المجتمع بشيء، يختلط بالناس، يستمع لقضاياهم وشكاويهم، يقوم اعوجاجهم وفق أحكام الشريعة الإسلامية، يحلب بعض شياه الحي لأصحابها، يتفقَّد الرعية بالليل، ويحرس طرقات المدينة ليلاً بعد خلوها من القوة إثر إرسال الجيوش لقتال المرتدين، وإنفاذ جيش أسامة.[1]

ساس أبو بكر ﷺ رعيَّته خير سياسة، فكان خير خلفٍ لخير سلف، وطبَّق ما أعلنه في خطبته القصيرة إثر بيعته؛ "يا أيها الناس إني قد وُلِّيتُ عليكم ولستُ بخيركم، فإن أحسنتُ فأعينوني، وإن أسأت فقوِّمُوني: الصدق أمانةٌ والكذب خيانة، والضعيف فيكم قويٌ عندي حتى أُرجع عليه حقَّه إن شاء الله، والقويُّ فيكم ضعيف حتى آخذَ الحق منه إن شاء الله.. أطيعوني ما أطعتُ الله ورسوله فإذا عصيتُ الله ورسوله فلا طاعةَ لي عليكم".[2]

والأمثلة كثيرة لا يتَّسع المقام لذكرها، لكننا سنكتفي بحادثةٍ نقلها خليفته الفاروق عمر ﷺ والذي كان يتفقَّد أبا بكر بعد صلاة الفجر، فكان يراه يخرج من المسجدِ إلى إحدى نواحي المدينة كل يوم، فيتساءل بإلحاحٍ عن سبب خروجه، ثم تَبِعه مرة من المرات، فإذا هو قد دخل خيمةً مُنزوية، فلما خرَج أبو بكر دخل بعده عمر، فإذا في الخيمة عجوزٌ حسيرة كسيرة عمياء معها طفلان لها، فقال لها عمر: يا أمةَ الله، من أنتِ؟.

---

[1] انظر: محمود شاكر: التاريخ الإسلامي، ص١٠٣- ١٠٤ بتصرف.

[2] ابن كثير: البداية والنهاية ٢٩٩/٣.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

قالت: أنا عجوزٌ كسيرة عمياء في هذه الخيمة، ومعي بناتٌ مات أبوهم، لا عائلَ لنا إلا الله.

قال عمر: ومَن هذا الشيخ الذي يأتيكم؟ (وهي لا تعرف أنه أبو بكر).

قالت: هذا شيخٌ لا أعرفه يأتي كل يوم، فيكنسُ بيتَنا، ويصنعُ لنا فطورنا، ويحلِب لنا شياهنا، فبكى عمر وقال: "أتعبتَ الخلفاءَ مِن بعدك يا أبا بكر!".[1]

أما "تركَتُه" بعد أزيدَ من عامين من حكم الأمة، فباح بها لابنته عائشة رضي الله عنهما قبيل وفاته فقال: "أما إنَّا منذ وُلّينا أمر المسلمين لم نأكلْ ديناراً ولا درهماً، ولكن قد أكلنا من جريش طعامهم في بطوننا، ولبِسنا من خشن ثيابهم على ظهورنا، وليس عندنا من فيء المسلمين قليلٌ ولا كثير، إلا هذا العبدَ الحبشي وهذا البعيرُ الناضح وجرد هذه القطيفة، فإذا متُّ فابعثي بها إلى عمر وأبرئيني منهن". ففعلتُ، فلما جاء الرسولُ عمرَ بكى حتى جعلت دموعه تسيل على الأرض، وجعل يقول: رحم الله أبا بكرٍ، لقد أتعب مَن بعدَه، يا غلام، ارفعْهن.

فقال عبد الرحمن بن عوف: سبحان الله! تسلبُ عيال أبي بكر عبداً حبشياً وبعيراً ناضحاً وجرد قطيفة ثمنه خمسة دراهم؟!.

قال عمر: فماذا تأمر؟ .

قال عبد الرحمن: تردُّهنَّ على عياله.

قال عمر: لا والذي بعث محمداً بالحقِّ لا يكون هذا في ولايتي أبداً، ولا يخرج أبو بكر منهن عند الموت وأردهنَّ أنا على عياله. الموت أقربُ من ذلك.[2]

رافقت خلافةَ أبي بكر نوازلُ سياسيةٌ كمسألة وفاة النبي ﷺ دون نصٍ صريح على خليفته، و"قُرشية الخليفة"، و"تولية الفاضل"، ورغبة بعض الأنصار بتقاسم السُّلطة، وما إن كانت الشورى ملزمةً، وردَّة جُل العرب عن الإسلام وغيرها من التَّحديات التي سنتطرَّق لها لاحقاً.

---

[1] السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص٦٣.

[2] ابن سعد: الطبقات ١٩٦/٣. وابن كثير: جامع المسانيد والسنن الهادي لأقوم سنن ٢٧/١٧.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المطلب الثالث: علاقته بآل بيت رسول الله ﷺ

كان التَّوادُ والتَّعاطف والصلة عنوانَ العلاقات بين صحابه رسول الله ﷺ عموماً وبين الصِّديق وآل البيت الكرام خُصوصاً، كيف لا وهو القائل: "واللهِ لقرابةُ رسول الله ﷺ أحبُّ إليَّ أن أصِلَ قرابتي".[1] وتنقل الروايات المثبتة محبَّة علي لأبي بكر رضي الله عنهما، وتقديمه إياه، ونكتفي بإيراد بعضٍ منها.

- عن علي ﷺ قال: ألا أخبركم بخيرِ هذه الأمة بعد نبيها؟: أبو بكر. ثم قال: ألا أخبركم بخير هذه الأمة بعد أبي بكرٍ؟: عمر.[2]
- عن أبي وائل شقيق بن سلمة قال: قيل لعلي بن أبي طالب ﷺ: ألا تستخلفُ علينا؟ قال: ما استخلفَ رسول الله ﷺ فأستخلفُ، ولكن إن يرد الله بالناس خيراً فسيجمعهم بعدي على خيرهم، كما جمعهم بعد نبيهم على خيرِهم.[3]
- عن يحيى بن حكيم ابن سعد قال: سمعت علياً رضي الله عنه يحلف: لَلَّهُ أنزلَ اسم أبي بكر من السماء، الصِّديق.[4]

وتنقل روايات مثبتة أن فاطمة رضي الله عنها لما مرضت أتاها أبو بكر الصديق، فاستأذن عليها، فقال عليٌّ: يا فاطمة، هذا أبو بكر يستأذِن عليك.

فقالت: أتحبُّ أن آذنَ له؟

قال: نعم.

فأذنتْ له، فدخل عليها يترضّاها وقال: والله ما تركتُ الدار والمال والأهل والعشيرة إلا ابتغاء مرضاة الله، ومرضاة رسوله ومرضاتكم أهلَ البيت، ثم ترضَّاها حتى رضِيتْ".[5]

---

[1] البخاري: الجامع الصحيح ٣٩٠/٧ برقم (٤٠٣٦).

[2] أحمد: المسند ١٠٦/١-١١٠. وقد صحح محمود شاكر معظم طرق الأحاديث.

[3] الحاكم: المستدرك ٧٩/٣ صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

[4] الطبراني: المعجم الكبير ٩٥/١. ورجاله ثقات.

[5] البيهقي: الاعتقاد، ص٤٧٢- ٤٧٧.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

كما أن أبا بكر هو من صلى إماماً بالمسلمين على فاطمة، وبطلبٍ من علي نفسه،[1] وكذا الحال بالنسبة لأبنائها، فقد صلى أبو بكرٍ العصر ثم خرج يمشي، فرأى الحسن يلعب مع الصبيان، فحمله على عاتقه وقال: "بأبي شبيهٌ بالنبي، لا شبيه بعلي، وعليٌّ يضحك".[2]

وقد بادل علي ﷺ الاحترامَ بالاحترامِ، والوفاء بالوفاء، فضمَّ إليه محمد بن أبي بكر بعد وفاة أبيه، ثم ولاه على مصر في خلافته، حتى حُسِبَ عليه.[3]

ولو توقفنا قليلاً عند المصاهرات بين آل البيت عليهم السلام، وبين آل أبي بكر الكرام، لوجدنا أدلَّة أخرى على متانة العلاقة بينهما، فأسماء بنت عميس التي كانت زوجةً لجعفر بن أبي طالب شقيق علي، واستشهد زوجها يوم مؤتة، تزوجها الصِّديق وولدت له محمداً، ولما مات أبو بكر تزوجها علي بن أبي طالب فولدت له ولداً سماه يحيى.

وحفيدة الصديق فاطمة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر، كانت زوجة الإمام الباقر، وأُم الإمام الصادق، وجدّة الإمام الكاظم (عند الروافض)، كما أن القاسم بن محمد بن أبي بكر حفيد أبي بكر، وعلي بن الحسين بن علي بن أبي طالب حفيد علي كانا ابني خالة، فأمُّ القاسم بن محمد وعلي بن الحسين هما بنتا يزدجرد بن شهريار بن كسرى، اللتان كانتا من سبايا الفرس في عهد عمر رضي الله عنه.

كما أن الحسن بن علي بن أبي طالب تزوج حفصةَ بنت عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، وله من الأولاد أبو بكر، وعَمر، وطلحة، والحسين، والقاسم.[4]

وكان من علامات حب أهل البيت للصديق والتواد فيما بينهم أنهم سموا أبناءهم بأسماء أبي بكر رضي الله عنه، فأولهم علي بن أبي طالب حيث سمى أحدَ أبنائه أبا بكر، وذلك بعد وفاة الصديق، وهذا دليلٌ على حب علي ومؤاخاته وتقديره للصديق، وتيمُّنه به، فلا يوجد في بني

---

[1] أنظر: عبد الله العصامي: سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي ٢٢٦/١.

[2] العسقلاني: فتح الباري ٦٥١/٦، و٧/ ١١٩.

[3] محمد علي الصلابي: الانشراح ورفع الضيق بسيرة أبي بكر الصديق، ص٢١٢.

[4] انظر: ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ص٣٨٠. والبلاذري: أنساب الأشراف ٣٧٣/٢.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

هاشم رجلٌ قبْلَ عليٍ سمى ابنه بهذا الاسم، ثم لم يقتصر على هذا التيمُّن والتبرُّك وإظهار المحبة والصداقة للصديق على علي، بل مشى بعده بنوه مشيه ونهجوا منهجه، فالحسن والحسين، سمى كل واحد منهما أحدَ أولاده أبا بكر، واستمر أهل البيت يسمون من أسماء أولادهم بأبي بكر، فقد سمى ابن أخي علي بن أبي طالب ﷺ وهو عبد الله بن جعفر الطيار بن أبي طالب أحد أبنائه باسم أبي بكر، وقد كان جعفر بن محمد بن علي بن الحسين الذي يُلقب بالصادق يقول: "ولدني أبو بكرٍ مرتين"، لأن نسبَه ينتهي إلى أبي بكر من طريقين: الأول: عن طريق والدته فاطمة بنت قاسم بن أبي بكر. والثاني: عن طريق جدته لأمه أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر التي هي أم فاطمة بنت قاسم بن محمد بن أبي بكر.

كما قبِل علي ﷺ هدية أبي بكرٍ وهي الصهباء، الجارية التي سُبيت في معركة عين التمر، وولدت له عمر ورقية، كما منحه الصِّديق خولةَ بنت جعفر بن قيس التي أُسرت في اليمامة، وولدت له محمد ابن الحنفية.[1]

وبعد وفاة أبي بكر رثاه عليٌّ رضي الله عنهما بأروع الكلمات فقال: "رحمك الله يا أبا بكر! كنت أوّل القوم إسلاماً، وأخلصَهم إيماناً، وأشدَّهم يقيناً، وأعظمَهم غناءً، وأحفظَهم على رسول الله ﷺ، وأنسبَهم برسول الله خَلقاً وفضلاً وهَدياً وسَمتاً، فجزاك الله عن الإسلام وعن رسوله وعن المسلمين خيراً. صدّقت رسولَ الله حين كذَّبه الناس، وواسيته حين بخلوا، وقُمت معه حين قعدوا، وأسماك الله في كتابه صِدِّيقاً، ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ المُتَّقُونَ﴾. [الزمر:٣٣].[2]

---

[1] انظر: ابن سعد: الطبقات ٢٠/٣، وابن كثير: البداية والنهاية ٣٣١/٧- ٣٣٣.

[2] ابن الأثير: أُسد الغابة، ٩١/١، ومحمود شاكر: التاريخ الإسلامي ١٠٢/٢.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

المبحث الثالث

أهم منجزات الخليفة أبي بكر الصديق

المطلب الأول: النظام الإداري في عهد أبي بكر الصِّديق

أولاً: الولايات

أقرَّ أبو بكر جميعَ العمّال والقضاة الذين عينهم النبي ﷺ قبل وفاته، وكان يشاور كبار الصَّحابة قبل اختيار الأمراء، سواءً على الجند، أو على البلدان، وفي مقدِّمة مستشاريه عمر بن الخطاب، وعليُّ بنَ أبي طالب، كما كان يشاور الشخص الذي يريد توليته قبل أن يعيِّنه، وعلى وجه الخصوص إذا أراد أن ينقله مِنْ ولايةٍ إلى أخرى، كما حدث حينما أراد أن ينقل عمرو بن العاص من ولايته التي ولاه عليها النبي ﷺ إلى ولاية جند فلسطين، فلم يُصدِر أبو بكرٍ قراره إلا بعد استشارته، وأخذ موافقته.

وكانت كثيرٌ من مراسلاته لولاته وأمرائه تركز على حثِّهم على الزُّهد في الدُّنيا، وطلب الآخرة، والتركيز على مسؤوليّاتهم التي بقيت امتداداً لمسؤولياتهم في العصر النبوي، وهي:

- إقامة الصلاة، وإمامة الناس: وهي المهمَّة الرئيسيَّة لدى الولاة؛ نظراً لما تحمله من معانٍ دينيَّة ودنيويَّة، سياسيَّة واجتماعيّة، وعلى وجه الخصوص في صلاة الجمعة، سواءٌ كانوا أمراء على البلدان، أم أمراء على الأجناد.
- الجهاد: يتولاه أمراء الأجناد في بلاد الفتح بأنفسهم، أو ينيبون غيرهم في بعض المهامّ، كتقسيم الغنائم، أو المحافظة على الأسرى، وما يتبعه من مهامَّ أخرى، كمفاوضة الأعداء، وعقد المصالحة والهدن معهم، وغيرها، ويتساوى في المهمّات الجهاديَّة أمراء الأجناد في الشام، والعراق، وكذلك الأمراء في البلاد التي حدثت فيها الردَّة، كاليمن، والبحرين، وعمان، ونجدٍ، نظراً لوجود تشابهٍ في العمليات الجهاديَّة مع اختلاف الأسباب الموجِّهة لها.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

- إدارة شؤون البلاد المفتوحة، وتعيين القضاة، والعمّال عليها من قبل الأمراء أنفسهم، وبإقرارٍ من الخليفة أبي بكرٍ، أو تعيينٍ منه عن طريق هؤلاء العمّال.
- أخذ البيعة للخليفة مِن أهل البلاد التي كانوا يتولَّون عليها.
- القيام ببعض المهام الماليَّة: كأخذ الزَّكاة من الأغنياء، وتوزيعها على الفقراء، أو أخذ الجزية من غير المسلمين، وصرفها في محلِّها الشَّرعيّ.
- تجديد العهود القائمة من أيّام النبي ﷺ، حيث قام والي نجران بتجديد العهد الذي كان بين أهلها وبين الرَّسول ﷺ بناءً على طلب نصارى نجران.
- إقامة الحدود، وتأمين البلاد، واجتهاد الرأي فيما لم يكن فيه نصٌّ شرعيٌّ، كما فعل المهاجر بن أبي أميَّة بالمرأتين اللتين تغنتا بذمِّ الرَّسول ﷺ، وفرحتا بوفاته.
- المساهمة في تعليم الناس أمور دينهم، وفي نشر الإسلام في البلاد التي يتولَّون عليها، وكان الكثير من هؤلاء الولاة يجلسون في المساجد، يعلِّمون الناس القرآن، والأحكام، وذلك عملاً بسنَّة النبي ﷺ، وتعتبر هذه المهمَّة من أعظم المهامِّ وأجلِّها، فكان للولاة دورٌ كبيرٌ في نشر الإسلام وتثبته في البلاد التي يتولَّونها، سواءٌ في البلاد المفتوحة الحديثة العهد بالإسلام، أو في البلاد التي كانت مسلمةً، وارتدَّت، وهي حديثة عهدٍ بالردَّة جاهلةٌ بأحكام دينها، إضافة إلى أنَّ البلاد المستقرَّة، كمكة، والطائف، والمدينة، كان بها من يقرئ الناس بأمرٍ من الولاة أو الخليفة نفسه، ومن يعيِّنه الخليفة على التعليم في هذه البلدان.[1]
- اختيار النواب والمعاونين: يتعين على الوالي في حالة سفره أن يستخلف، أو ينيب عنه من يقوم بعمله؛ حتى يعود إلى عمله، ومن ذلك: أنَّ المهاجر بن أبي أميَّة عيَّنه الرَّسول ﷺ على كندة، ثمَّ أقرَّه أبو بكرٍ، ولم يَصِل المهاجر إلى اليمن مباشرةً، وتأخَّر نظراً لمرضه، فأرسل

[1] محمود شاكر: التاريخ الإسلامي ٦٠/٢.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

إلى زياد بن لبيد ليقوم عنه بعمله حتى شفائه وقدومه، وقد أقرَّ أبو بكرٍ ذلك، كذلك كان خالد أثناء ولايته للعراق ينيب عنه في الحيرة من يقوم بعمله حتى عودته.

- القيام ببعض "الإصلاحات الإدارية" من قبيل ضمِّ بعض الولايات إلى بعضٍ، خصوصاً بعد الفراغ من قتال المرتدِّين؛ فقد ضمَّ كندة إلى زياد بن لبيد البياضي، والي لحضرموت.[1]

هذا وقد قسِّمت الدَّولة الإسلاميَّة في عهد أبي بكرٍ إلى عدَّة ولاياتٍ، هي:

- المدينة المنورة: عاصمة الدَّولة، مقرُّ الخليفة.
- مكَّة المكرمة: وأميرها عتّاب بن أُسيد.
- الطائف: وأميرها عثمان بن أبي العاص الثَّقفي.
- صنعاء: وأميرها المهاجر بن أبي أميَّة، فتحها، ووليها بعد انتهاء أمر الردَّة.
- حضرموت: وأميرها زياد بن لبيد.
- زبيد، ورقع: وليَهما أبو موسى الأشعري.
- خولان: وليها يعلى بن أبي أميَّة.
- نجران: ووليها جرير بن عبد الله البجليُّ.
- جرش: ووليها عبد الله بن ثور.
- البحرين: ووليها العلاء بن الحضرميِّ.
- العراق، والشام: كان أمراء الجند هم ولاة الأمر فيها.
- عمان واليمامة: ولي عمان حذيفة بن محصن.
- اليمامة: سليط بن قيس.
- الجند: وأميرها معاذ بن جبل.

---

١ أنظر: علي الصَّلاَّبي، الانشراح ورفع الضيق في سيرة أبي بكر الصديق، شخصيته وعصره، دار ابن كثير، دمشق، ص ١٥٠-١٥٤. وانظر: علي الصلابي: الولايات في عهد الصِّدِّيق.. نموذج يحتذى في إدارة الدولة، بتصرف شديد. ترك برس ٧ فبراير ٢٠١٩م. متوفر على الرابط: https://www.turkpress.co/node/57592

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثانياً: القضاء

يعتبر عهدُ أبي بكر بدايةَ العهد الراشدي القريب من العهد النبوي، وامتداداً له، لذا كان العهدُ الراشدي عامَّة والجانبُ القضائي خاصة امتداداً للقضاء في العهد النبوي، مع المحافظة على جميع ما ثبت في العهد النبوي، وتطبيقه بحذافيره وتنفيذه بنصه ومعناه.

وقد كان أبو بكر يقضي بنفسه دون مجاملة في القضاء بشرع الله، ومن الأمثلة ما حدث مع عمر بن الخطاب ﷺ عندما طلق امرأته الأنصارية –أم ابنه عاصم– ولقيه قد فُطم ومشى، فأخذ بيديه لينتزعه منها، ونازعها إياه حتي أوجع الغلامَ وبكى، وقال: أنا أحقُّ بابني منكِ. واختصمها إلي أبي بكر، فقضى لها بالطفل وقال: ريحُها، وحِجْرُها وفرشها خيرٌ له منكَ حتى يشبَّ ويختار لنفسه. وفي رواية: هي أعطفُ وألطف وأرحم وأحنُّ وأرأف، وهي أحقُّ بولدها ما لم تتزوج. وهو ما يعرف الأن بالحضانة.[1]

ولم تُفصَل ولاية القضاء عن الولاية العامة في عهده، فلم يكن للقضاء ولايةٌ خاصة مستقلة، ففي المدينة عهِدَ أبو بكر إلى عمر بن الخطاب ليستعين به في بعض الأقضية، دون أن يُعطِ لعمر صفة الاستقلال بالقضاء، وأصبحت الأحكام القضائية في عهده محط أنظار الفقهاء، ومرجعاً قضائياً، ومصدراً للأحكام الشرعية والآراء الفقهية في مختلف العصور.

وقد ساهمت فترة خلافة أبي بكر في ظهور مصادر جديدةٍ للقضاء في العهد الراشدي، وهي –بالإضافة للقرآن والسنة– الإجماع والاجتهاد والرأي مع الشورى.

وقد عُرف من فقهاء الصحابة وأهل الفتوى أبو بكر الصديق وعمر وعثمان وعلي وعبد الله بن مسعود وعائشة ومعاذ بن جبل وأبو موسى الأشعري وأنس بن مالك وأبو هريرة وسلمان الفارسي وأبو سعيد الخدري وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وزيد بن ثابت.[2]

---

[1] السيوطي: جمع الجوامع، الجامع الكبير في الحديث والجامع الصغير وزوائده ١٦٥/١١.

[2] ابن القيم: أعلام الموقعين ١٢/١- ١٣.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ثالثاً: أبرز المنجزات الإدارية للخليفة أبي بكر الصديق

الإنجاز الأول: إعادة توحيد العرب تحت راية الإسلام

وذلك من خلال القضاء على ما عُرف بـ"حركات الردة"، التي واجهت أبا بكر ﷺ في بداية خلافته، فقد ارتدَّ جُلِّ العرب عن الإسلام كدين، وخرجوا على سلطة المدينة المنورة السياسيَّة، وهي سابقةٌ تاريخية بالغةُ الخطورة، وذات أبعادٍ معرفية وشرعيَّة وسياسيَّة عديدة،[١] ومن هؤلاء:

- بنو أسد بقيادة طليحة بن خويلد الأسدي الذي ادَّعى النبوَّة.[٢]
- بنو فزارة بقيادة عيينة بن حصن.[٣]
- بنو عامر وغطفان بقيادة قرَّة بن سلمة القشيري.[٤]
- بنو سُلَيْم بقيادة الأشعث بن قيس الكِندي.[٥]
- بنو بكر بن وائل في البحرين بقيادة الحكم بن زيد.[٦]
- وبنو حنيفة بقيادة مسيلمة الكذاب الذي ادَّعى النبوَّة.[٧]

---

[١] قاتل أبو بكر المرتدين عن الإسلام كلياً ممن عاد للوثنية، أو اتبع قيادات المرتدين كمسليمة وطليحة، بالإضافة لمانعي الزكاة.

[٢] أسلم سنة تسع ثم ارتد وتنبأ بنجد، وتبعته جموع غفيرة من ذبيان وطيء وغيرها، وقاتل المسلمين، ثم تاب وغدا مجاهداً في سبيل الله، قتل شهيداً يوم نهاوند. انظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، ١٩٤/٣.

[٣] اسمه الحقيقيّ حذيفة، صحابيّ من المؤلّفة قلوبهم، قائد غطفان في غزوة الخندق، ارتد بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، ولحق بطليحة الأسدي، ثم تاب في عهد أبي بكر، وتوفي في خلافة عثمان. انظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء ٥٣٦/٣.

[٤] ارتدَّ مع من ارتد من بني قشير، ثم أسره خالد بن الوليد، وبعث به موثقًا إلى أبي بكر، فاعتذر عن ارتداده بأنه كان له مالَ وولد، فخاف عليهم ولم يرتدّ في الباطن، فأطلقه الصديق.

[٥] أحد ملوك كنده، جده امرؤ القيس، أسلم ثم ارتد، ثم تاب وشارك في اليرموك والقادسية. انظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء ٣٧/٢.

[٦] لم أقف على ترجمة دقيقة للحكم بن زيد، وقد ذكر الواقدي في كتاب "الردة" ص١٤٧-١٦١ خبر ردة بني بكر بن وائل وقدومهم على كسرى نكاية ببني عبد القيس الذين بقوا على إسلامهم، واجتمعوا على الجارود بن المعلى، وأن أبا بكر بعث العلاء الحضرمي على رأس قوة تمكنت من القضاء على تحالف قوى المرتدين.

[٧] مسيلمة بن ثمامة الحنفي الوائلي، أبو ثمامة: متنبئ كذاب من المعمرين، وفى الأمثال: "أكذب من مسيلمة" وتلقب في الجاهلية بالرحمن. وعُرفَ برحمان اليمامة. انظر: الزركلي: الأعلام، ٢٢٦/٧.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لذا قرَّر أبو بكر التصدِّي للمرتدين بالقوَّة والحزم اللازمين، خاصَّةً بعد تجرُّؤ بعضِهم على قطع الطريق وقتل المسلمين، وتحفُّزهم لشنِّ هجومٍ واسعٍ على المدينة المنورة، وشنهم لعدة غارات ليلية عليها دونما جدوى.[1]

وقد توزع المرتدون على قسمين:

١. قسم ارتد عن الدين بالكلية، وهم بنو أسد وطيء، ومن تبعهم من غطفان أتباع طليحة بن خويلد، وبنو حنيفة أتباع مسيلمة الكذاب، وأهل اليمن أتباع الأسود العنسي.[2]

وقد توزع هؤلاء –أيضاً– على صنفين:

أ– أصحاب مسيلمة وغيرهم ممن صدقوه على دعواه في النبوة.

ب– من ارتدوا عن الدين وأنكروا الشرائع، وعادوا إلى الوثنية.

٢. قسم عطَّل الزكاة، وهم بعض بني تميم أتباع مالك بن نويرة، وبنو هوازن وغيرهم.[3]

أما عن أسباب حدوث الرِّدَّة فتتمثل في:

أ– جهلِ العرب بحقيقة النبي ﷺ ورسالته؛ وعدم تمكُّن الايمان في قلوب الكثير منهم، فقد دخلوا الإسلام قبيل وفاة النبي ﷺ منبهرين بسرعة سيطرة المسلمين على الجزيرة العربية، كما أظهر بعضُهم إسلامهم نفاقاً، أو رغبةً في الزعامة والمال والغنائم، أو اتباعاً لكُبرائهم.

ب– العصبيةِ القبلية المقيتة التي جعلتهم يأنفون من الانقياد لقريش مجدداً، وهو ما يفسر قول رجلٍ من أصحاب مسيلمة له: "أشهدُ أنك كذابٌ وأن محمداً صادقٌ، ولكنَّ كذَّابَ ربيعة أحبُّ إلينا من صادق مُضر".[4] وفي ذلك قال قائلهم:

أطعنا رسولَ الله ما كان بيننا فيا لعبادِ اللهِ ما لأبي بكر

---

[1] أنظر: الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٣/٢٢٥– ٢٢٦.

[2] عبهلة بن كعب بن غوث العنسي المذحجي المعروف باسم "الأسود" و"ذي الخمار"، كذاب اليمن وأول من ادعى النبوة، قُتل قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بثلاثة أيام. انظر ترجمته في: ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٢٥/١٠.

[3] انظر: محمد الخضري بك: إتمام الوفاء في سيرة الخلفاء ص٢٠– ٢١ .

[4] الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٢/٢٧٧. وابن الأثير: الكامل في التاريخ ٢/٣٦.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

أيورثها بكراً إذا ماتَ بعده وتلك لَعمْرُ الله قاصمةُ الظهر[1]

ت- الطَّمعِ في الزعامة وحُب السيطرة لدى بعض الزعماء، ويدل على ذلك قول بني ربيعة في البحرين: "نردُّ الملكَ في آلِ المنذر" فملَّكوا المنذر بن النعمان بن المنذر.[2]

ث- الرغبةِ في التخلُّص من التكاليف الشرعية، وبالأخص الزكاة.

ج- تشجيعِ أعداء الإسلام كالفرس والروم لبعض القبائل المجاورة لهم على الردة.[3]

عبَّأ الخليفة المسلمينَ، وجهَّز أحد عشر جيشاً تتناسبُ في عديدها مع قوَّة القبائل التي وجَّهها إليها، فخصَّص ثمانية ألوية للجنوب بفعل تركُّز غالبيَّة المرتدِّين والمتنبِّئين في الأماكن الجنوبية، في حين وجَّه ثلاثة ألوية إلى الشمال، واحتفظ بقوَّةٍ عسكريَّةٍ لحماية المدينة، على النحو التالي:

١) الجيش الأول: بقيادة خالد بن الوليد ﷺ إلى طليحة بن خويلد الأسدي في بزاخة ومن انضمَّ إليهم من مرتدِّي طيء وعبس وذبيان، ثم بني تميم، وفيهم مالك بن نُوَيْرَة، فإذا انتهى منهم، توجَّه إلى بني حنيفة لمساعدة الجيشيْن الثاني والثالث في قتال مُسيلمة الكذَّاب.

٢) الجيش الثاني: بقيادة عكرمة بن أبي جهل لقتال مسيلمة الكذاب باليمامة.

٣) الجيش الثالث: بقيادة شرحبيل بن حسنة، وجعله مدداً لِعِكرمة في قتال مُسيلمة، فإن انتهيا منه يلحق شرحبيل بقواته مدداً لعمرو بن العاص في قتال قضاعة، وقد استعجل القائدان -تباعاً- مهاجمة بني حنيفة فانكسرا. ثم اصطدم خالد بالمرتدين من بني حنيفة وكسرهم، وقد شكَّلت معركة اليمامة (حديقة الموت) المحطة الأعنف ضمن سلسلة المعارك ضدَّ المرتدين، وظهرت فيها بطولات الصحابة، وقُتِلَ مسيلمة بحربة وحشيّ بن حرب، ثم سيف أبي دُجَانَةَ، وقد بلغ عدد قتلى المرتدِّين في هذه المعركة ٢١٠٠٠ قتيل، واستُشْهِد من جيش المسلمين ١٢٠٠، منهم ٥٠٠ من حفظة القرآن الكريم.

---

[1] الطبري: تاريخ الأمم والملوك ٢/٢٥٥. وابن كثير: البداية والنهاية ٦٦/٣١٣.

[2] الطبري: تاريخ الأمم والملوك ٢/٢٨٧. وابن الأثير: الكامل في التاريخ ٢/٤٠.

[3] محمود شاكر: التاريخ الإسلامي، ص١٣٩.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٤) الجيش الرابع: بقيادة المهاجر بن أبي أمية المخزومي لِقتال الأسود العنسي في اليمن ثم لِقتال عمرو بن معد يكرب الزبيدي وقيس بن مكشوح المرادي ورجالهما (هُزِمَا وأسلما)، ثم يتوجَّه لقتال الأشعث بن قيس الكِندي وقومه.

٥) الجيش الخامس: بقيادة سويد بن مقرن الأوسي لِقتال مرتدي تِهامة باليمن.

٦) الجيش السادس: بقيادة العلاء بن الحضرمي لِقتال الحُطم بن ضبيعة زعيم بني قيس بن ثعلبة، ومُرتدي البحرين.

٧) الجيش السابع: بقيادة حذيفة بن محصن، لِقتال ذي التاج لقيط بن مالك الأزدي في عُمان.

٨) الجيش الثامن: بقيادة عَرْفَجَة بن هرثمة باتِّجاه مهرة بالقرب من عُمَان، ولحق بهما عكرمة بن أبي جهل بعد أن هُزِم أمام مسيلمة، واشتبكا مع زعيم المرتدين "لُقَيْط بن مالك"، وكانت القوَّة متكافئة، إلى أن مَنَّ الله على المسلمين بمدد من جيش العلاء بن الحضرمي، فرَجَحَت كِفَّة المسلمين، وكتب الله النصر لهم، وقُتل لُقَيْط، وقُتل معه عشرة آلاف مرتدٍّ.

٩) الجيش التاسع: بقيادة عمرو بن العاص لقتال قضاعة.

١٠) الجيش العاشر: بقيادة معن بن حاجز السُلميّ لِقتال بني سُليم ومن معهم من هوازن.

١١) الجيش الحادي عشر: بقيادة خالد بن سعيد بن العاص ليستبرئ مشارف الشام.

خارطة الجيوش الإسلامية التي أرسلها الصديق لمحاربة المرتدين

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ولابد –هنا– من الإشارة لعدة نقاط مهمة:

أولاً: استبق أبو بكر حربَ المرتدين بإصدار كتاب عام وجَّهه إليهم، وأرسل رُسلاً يتقدمون الجيش ليقرؤوه على الناس لإتاحة الفرصة لهم للتدبُّر والرجوع إلى الحق، وحتى يُبرئ ذمته أمام الله تعالى قبل أن تُراقَ الدماء.[1]

ثانياً: مشاركة أبي بكر في قتال المرتدين بنفسه، فلم يكتفِ بالإشراف والمراقبة من عاصمته في المدينة المنورة، بل إنه قاد قوة عسكرية هاجم بها مضارب بني ذبيان، ثم وافق على رجاء علي بن أبي طالب ﷺ بالبقاء في المدينة لمتابعة حركة الجيوش الإسلامية وتوجيهها.[2]

ثالثاً: تأييدُ كبار الصحابة أبا بكرٍ في حرب المرتدين، وكذا علماء السلف المشهود لهم بالفضل على مر التاريخ،[3] حتى أنَّ عمر بن الخطاب قبَّل رأسه قائلاً: "أنا فداؤكَ، لولا أنتَ لهلكْنا".

رابعاً: قاتل أبو بكر المرتدين باعتبارهم خارجين على الإسلام، وليس على الدولة أو القانون كما زعم بعض الكُتَّاب المعاصرين، بدليل قوله رضي الله عنه معلقاً على من جادله بشأنهم: "أيُنقَصُ الدينُ وأنا حيٌّ..؟!".

ولما قال له عمر: "كيف تُقاتلهم وقد قال رسول الله ﷺ: «أُمرتُ أن أقاتلَ النَّاسَ حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فَمنْ قال: لا إله إلا الله، فقد عَصَمَ مني نفسه ومالَهُ إلا بحقه، وحِسابُهُ على الله، أجابه أبو بكر: والله لأقاتلنّ من فرَّق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حقُّ المال، والله لو منعوني عناقاً لقاتلتُهم على منعهم".[4]

---

[1] أنظر نص هذا الكتاب في: ابن كثير: البداية والنهاية ٣٢٠-٣٢١.

[2] محمود شاكر: التاريخ الإسلامي ٦٧/٢، وابن كثير: البداية والنهاية ٣١٤/٦- ٣١٥.

[3] يجب التنبيه إلى أن أخبار أهل الردة متفاوتة فيها بينها، وقد نبّه شيخ الإسلام ابن تيمية على ذلك حيث بقوله: "فمن ذلك ما هو متواتر عند الخاصة والعامة، ومنه ما نقله الثقات، ومنه أشياء مقاطيع ومراسيل يحتمل أن تكون صدقاً وكذباً، ومنه ما يعلم أنه ضعيف وكذب. أنظر: ابن تيمية: منهاج السنة النبوية ٣٢٥/٨.

[4] انظر: البخاري: صحيح البخاري ١٥/٩، ومسلم: ٥١/١. ومحمود شاكر: التاريخ الإسلامي، ص٦٨. وفي رواية أخرى" وَاللَّهِ لَوْ مَنَعُوني عِقَالاً كَانُوا يُؤَدُّونَهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ لَقَاتَلْتُهُمْ". وقد اتسم موقف الخليفة الصديق من المرتدين بالحزم، وغلب على خطابه المبالغة، فمن المعلوم عدم جواز القتال على الحبل الذي يعقل به البعير، لذا فقد أشار كثير من المحققين أن مراد الخليفة الصديق

www.alukah.net
شبكة الألوكة

خامساً: لم يفرقْ أبو بكر في قتال المرتدين بين من أعلنوا الحربَ عليه أو من اكتفوا بردَّتهم، كما لم يقبل منهم غيرَ الإسلام، وكانت رسالتُه صريحة "ولا يُقبلُ من أحدٍ إلا الإسلام، فمن اتبعه فهو خيرٌ له، ومن تركه فلن يُعجِز الله، وقد أَمرت رسولي أن يقرأ كتابي في كل مَجمع لكم، والداعية الأذان، فإذا أذَّن المسلمون فأذِّنوا وكفوا عنهم، وإن لم يؤذنوا عاجِلوهم، وإن أذَّنوا اسألوهم ما عليهم، فإن أبوا عاجلوهم، وإن أقروا قُبِل منهم، وحِملهم على ما ينبغي لهم..". كما رفض أن يقبل ممن عرض عليه أن يؤلف إليه قومَه مقابل جُعْل من المال، كالزِّبْرِقانُ بنُ بدر والأقرعُ بنُ حابس حين قالا: اجعل لنا خَرَاجَ البحرين ونضمنُ لك ألا يرجع من قومنا، فأبى..

سادساً: قيامُ بعض المرتدين باستغلال غياب جيش أسامة والإغارة على المدينة، فضلاً عن قتل بعضهم لمن ثبتَ على دينه من أهلهم، فقد وثبت بنو ذبيان وعبس على من فيهم من المسلمين فقتلوهم.. كما شرع كلٌّ من ادَّعى النبوة في تجييش الجيوش لمحاربة المسلمين قبل أن يُبادروهم، مثال ذلك ما حدث مع طليحة الأسدي وغيره.

سابعاً: بدأت حركة الردَّة برموزٍ من أصحاب الأهواء والطامعين، ثم تبعهتْم جموعٌ غفيرة لا رأيَ لها من أبناء قبائلهم، ولذا كان التخلُّص من أولئك يعني عودة تلك الجموع إلى دين الله أفواجاً، أما بقاؤهم فيعني تأصُّل الكفرُ عند أتباعهم.

ثامناً: كانت حروب الردة استكمالاً لجهود من ثبت من المسلمين في الدفاع عن دينه، فهذا الجارود بن عمرو بن حنش، جادل من ارتد من قومه (بنو عبد القيس)، حتى عادوا لرشدهم، فقاتل بهم من ارتدَّ من أهل البحرين، وكذا تحرك الطَّاهر بن أبي هالة بمن معه نحو تهامة اليمن، فقاتل مَن بها من المرتدين من أهل "عك" و"الأشعريين".

بالعقال؛ هو زكاة عام، وليس الحبل الذي يعقل به البعير، فجاء خطابه على سبيل المبالغة. انظر: وهبة الزحيلي: الفقه الإسلامي وأدلّته ١٥٨/٣. وقد كانت نتائجُ حروب الردَّة خيراً على الإسلام وأهله، منها ترسُّخ الإسلام في قلوب المؤمنين، ورجوع الكثير من القبائل العربية إلى الإسلام، وزيادة الخبرات العسكرية، وبروز قيادات جديدة للجيوش الإسلامية التي ستنطلق لفتح العراق والشام ومصر خلال سنوات قليلة.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الإنجاز الثاني: جمع القرآن الكريم

بعد استتاب الأمن في ربوع الجزيرة العربية، إثر انتهاء حروب الردَّة التي استُشهد فيها عدد كبير من القرَّاء والحفاظ، وبالأخص في معركة اليمامة، فطِن المسلمون إلى حفظ قُرْآنهم من الضياع، فأشار عمر بن الخطاب على الصِّدِّيق بجمع القرآن الكريم، فقال له: "إن القتل قد استحرَّ يوم اليمامة بقُرَّاء القرآن الكريم، وإني أخشى أن يستحرَّ القتل بالقُرَّاء في المواطن كلها، فيذهبَ كثيرٌ من القرآن، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن.

فأجاب أبو بكر: كيف أفعل شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم؟!.

فقال عمر: هذا والله خيرٌ.

قال أبو بكر: فلم يزلْ عمر يُراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر عمر، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر".[1]

ثم أَمَر الصِّدِّيق زيدَ بن ثابت ﷺ بجمعه قائلاً: "إنك رجلٌ شاب عاقل، لا نتَّهمك، وقد كنتَ تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فتتبَّعِ القرآنَ فاجمَعْه".

قال زيد: فوالله لو كلَّفني نقلَ جبل من الجبال ما كان بأثقل عليَّ مما كلفني به من جمعِ القرآن".[2]

عمِد زيدٌ إلى تتبُّع سور القرآن والبحث عنها في العسب والصحف التي كتبت فيها في زمن النَّبي صلَّى الله عليه وسلّم، كما سأل من بقي من الصحابة الحفظة، وجمع القرآن الكريم في مصحف واحد ضمَّ السور القرآنية كاملة.

وقد لاقت عملية جمع القرآن ترحيب الصحابة وثناءهم، فقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "أعظمُ الناسِ أجراً في المصاحف: أبو بكر، فإنه أولُ من جمع القرآن بين اللَّوحين".[3]

---

[1] السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص٧١.

[2] انظر: البخاري: الصحيح/ كتاب الأحكام، باب يستحب للكاتب أن يكون أميناً عاقلاً برقم (٧١٩١).

[3] الإمام أحمد: المستدرك، باب فضائل الصحابة، باب أول أسلم أبو بكر، ص٢٨٠.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الإنجاز الثالث: استخلاف عمر رضي الله عنه

لما عزم أبو بكر على استخلاف عمر، شاور كبار الصحابة من أهل والحل والعَقد، فقال لهم: "قد حضرتُ من قضاء الله ما ترون، وأنه لابدَّ لكم من رجلٍ يلي أمركم ويصلي بكم، ويقاتلُ عدوكم، ويقسم فيأَكم، فإن شئتم اجتهدتُ لكم رأيي، والله الذي لا إله إلاّ هو لا آلوكم في نفسي خيراً، فبكى وبكى الناس، وقالوا: يا خليفة رسول الله أنت خيرُنا وأعلمُنا فاختَرْ لنا، قال: سأجتهد لكم رأيي، وأختار لكم خيرَكم إن شاء الله".[1] وكان ممن شاورهم عبد الرحمن بن عوف، فقال له: هو والله أفضل من رأيك فيه، ولكن فيه غِلظة، فقال أبو بكر: ذلك لأنه يراني رقيقاً، ولو أُفضي الأمر إليه لتركَ كثيراً مما هو عليه، ويا أبا محمد قد رمقته فرأيتني إذا غضبتُ على الرجل في الشيء أراني الرضا عنه، وإذا لِنتُ له أراني الشدة عليه. أما عثمان رضي الله عنه فكان قوله فيه: علمي به أن سريرتَه خيرٌ من علانيته، وأنه ليس فينا مثله.

واشتد المرض بالصديق فأشرف على الناس وهو يقول: أترضون بمن أستخلفُ عليكم، فإني والله ما ألوت من جهد الرأي، ولا وليت ذا قرابة، وإني قد استخلفتُ عمر بن الخطاب فاسمعوا له وأطيعوا، فقالوا: سمعنا وأطعنا، وكتب إليه كتاباً هذا نصُّه: "هذا ما عهدَ به أبو بكر خليفة رسول الله ﷺ عند آخر عهده بالدنيا وأول عهده بالآخرة، وفي الحال التي يُؤمن فيها الكافر، ويتقي فيها الفاجر، إني استخلفتُ عليكم بعدي عمر بن الخطاب، فإن برَّ وعدل، فذلك ظني به وعلمي فيه، وإن جار وبدَّل، فلا علمَ لي بالغيب، والخيرَ أردتُ، ولكل امرئٍ ما اكتسب؛ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ".[2]

ثم إنه بعث إليه فأتاه، فقال: "إني أدعوك إلى أمرٍ مُتعِب لمن وَلِيه، فاتَّقِ الله يا عمر بطاعته، وأطِعْه بتقواه، فإن التقيَّ آمِنٌ محفوظ، ثم إنَّ الأمر معروض لا يستوجِبه إلا مَن عمِل به؛ فمَن

---

[1] الدينوري: الإمامة والسياسة، ٢/٢٥.

[2] محمود شاكر: التاريخ الإسلامي ٢/٩٧- ٩٩.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

أمر بالحق وعمل بالباطل، وأمر بالمعروف وعمل بالمنكر، يوشك أن تنقطع أمنيته، وأن يَحبَط به عمله، فإن أنت وليت عليهم أمرهم، فإن استطعت أن تُحفَّ يديك من دمائهم، ولسانك عن أعراضهم، وأن تَضمُر بطنك من أموالهم، فافعلْ، ولا قوة إلا بالله".

ثم خرج عمر فرفع أبو بكر يديه، وقال: "اللهمَّ إني لم أردْ بذلك إلا صلاحَهم، وخفتُ عليهم الفتنة، فعملتُ فيهم بما أنت أعلم به، فوليت عليهم خيرَهم وأقواهم عليهم، وأحرصهم على ما أرشدهم، وقد حضرني من أمرك ما حضرني فاخلفني فيهم فهم عبادك، ونواصيهم في يدك، وأصلحْ لهم واليهم، واجعله من خلفائك الراشدين، يتبع هدي نبي الرحمة، وأصلحْ له رعيته".[1]

وبالرغم من قيام أبي بكر باستخلاف عمر، إلا أنه حرص على التثبُّت من صحة اختياره، نستنتج هذا المعنى من بعض فقرات كتاب العهد نفسه، إذ يقول في إحداها: "استعملتُ عليكم عمر بن الخطاب، فإن برَّ وعدل فذلك علمي به ورأيي فيه، وإن جار وبدَّل فلا علمَ لي بالغيب، والخيرَ أردتُ، ولكل امرئٍ ما اكتسب، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧].

[1] المنذري: الترغيب والترهيب ١٦٦/٣- ١٦٧.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

سار الصديق على خطى صاحبه ﷺ في الزهد بمتاع الدنيا وأموالها، وتنقل الروايات المتواترة أن أبا بكرٍ خرج في اليوم التالي من توليه الخلافة ليبيعَ ويشتري، فلقيه عمر وأبو عبيدة عند السوق فسألاه: أين تريد يا خليفةَ رسول الله؟

فأجاب بعفويةٍ: السوقَ.

فقالا له: ما هذا الذي تصنعه وقد وليتَ أمر المسلمين؟

أجابهما: فمن أين يأكلُ عيالي؟

فقال له عمر وأبو عبيدة: سنفرضُ لك راتباً.

وبالفعل، تم الإقرار على أن يكون للخليفة راتب سنويٌ.[1]

وعيَّن أبا عبيدة بن الجراح رضي الله عنه –أمين الأمة– مسؤولاً عن بيت مال المسلمين (وزير المالية)، وتشابه عهده من الناحية المالية بعهد النبي ﷺ، فالموارد ذاتها: زكاة، غنائم، فيء وجزية، والسياسة المالية عينها، فأعطى المسلمين بالتساوي دون أن الالتفات إلى نسبهم أو سبقهم في الإسلام.

وكان الإيفاء بالذمم المالية من أولى أولوياته، فعندما أُتي بمال البحرين إلى المدينة المنورة، أعلن أبو بكر على الملأ: "من كان له عند النبي ﷺ عدةٌ فليأتِ (أي من كان وعده النبي بشيء من المال فليأت ليستوفي ما وعده النبي ﷺ)، فجاءه جابر بن عبد الله فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قال: «لو جَاءَ مالُ البَحرينِ أَعطيتُكَ هكذا وهكذا وهكذا»، يعني: ملءَ كفيه، فلما جاء مالُ البحرين أمر الصديق جابراً فغرف بيديه من المال، ثم أمره بِعَدّه، فإذا هو خمسمائة درهم، فأعطاه مثليها معها،[2] وبقيت بقية من المال فقسمها بين الناس بالسَّوية بين الصغير والكبير، والحر والمملوك، الذَّكر والأنثى، فخرج على سبعة دراهم وثلث لكل إنسان، فلما كان العام المقبل جاء مال أكثر من ذلك، فقسمه بين الناس فأصاب كلُّ إنسان عشرين درهماً، قال فجاء ناس من المسلمين فقالوا يا خليفةَ رسول الله إنك قسمت المال فسويت بين

---

[1] ابن سعد: الطبقات ١٨٤/٣.

[2] أنظر: أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم: الخراج، ص٤٥. وابن كثير: تفسير القرآن العظيم ٢٣٩/٥.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الناس، ومن الناس أناسٌ لهم فضلٌ وسوابق وقدم، فلو فضَّلت أهل السوابق والقدم والفضل بفضلهم، فقال: أما ما ذكرتم من السوابق والقدم والفضل، فما أعرفني بذلك، وإنما ذلك شيء ثوابه على الله جل ثناؤه، وهذا معاش فالأسوة فيه خير من الأثرة.[1]

كما سار أبو بكر الصديق رضي الله عنه على سياسة النبي صلى الله عليه وسلم في تأليف قلوب المسلمين على الإسلام أو دفع شرهم عنه أو تثبيتاً لإسلامهم لضعف إيمانهم، كما كان ينفق موارد الدولة كلها أولاً بأول فلا يستبقي من الإيرادات شيئاً، فلما مات لم يجدوا عنده من مال الدولة إلا ديناراً سقط من غرارة.

ولم يفرض أبو بكر رضي الله عنه، للمسلمين عطاءً مقرراً، ولكن كانوا إذا غزوا وغنموا أخذوا نصيباً من الغنائم قررته الشريعة لهم، وإذا ورد إلى المدينة مالٌ من بعض البلاد أُحضر إلى المسجد النبوي وفرقه فيهم على حسب ما يراه.[2]

ولما حضرت أبو بكر رضي الله عنه الوفاة قال: انظروا كم أنفقتُ من مال الله (أي شخصياً)، فوجدوا أنه قد أنفق في سنتين ونصف ثمانية آلاف درهم، قال: اقضوها عني، فقضوها عنه.[3]

---

[1] ابن سعد: الطبقات ١٩٣/٣.

[2] أحمد بن عبد الحليم النميري: السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، ص٤١.

[3] أبو بكر الطرطوشي: سراج الملوك، المطبعة الخيرية، ط١، ص١٠٥-١٠٦. وللمزيد حول السياسات المالية للخلفاء الراشدين أنظر: سعيد ماهر الحاطوم: نظام الرقابة والسياسة المالية في العهد النبوي والخلافة الراشدة، رسالة ماجستير في قسم التاريخ والآثار بالجامعة الإسلامية بغزة (١٤٣٦هـ- ٢٠١٥م).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المطلب الثالث: الحياة السياسية في عهد أبي بكر الصديق ﷺ

لم تستمر خلافة الصديق طويلاً، كما أنه انشغل بحروب المرتدين ومواجهة الفرس والروم، وبالتالي لم يتبلور فكره السياسي خلال هذه المرحلة الحرجة من عُمر الدولة الإسلامية، لكن معالمَ نهجه السياسي تشكَّلت بناءً على ضوء فهمه لكتاب الله وسنَّة نبيه ﷺ، وتبدت معالمها الأساسية في خطبته عقب البيعة، والتي بدأها بتوضيح موقفه من إمامة المسلمين فقال: "والله ماكنت حريصاً على الإمارة يوماً ولا ليلة قطُّ، ولا كنت فيها راغباً، ولا سألتها اللهَ عزَّ وجلَّ لا في سرٍّ ولا علانية، ولكني أشفقتُ من الفتنة ومالي في الإمارة من راحة، وكنت قُلدت أمراً عظيماً مالي به من طاقةٍ ولا يد إلا بتقوى الله عز وجل، ولوددتُ أنَّ أقوى الناس عليها مكاني اليوم".

وبالعودة إلى نص الخطبة التي قال فيها: "أما بعدُ أيها الناس، فإني قد وُليت عليكم ولستُ بخيركم، فإن أحسنتُ فأعينوني، وإن أسأتُ فقوموني، الصدقُ أمانةٌ، والكذبُ خيانةٌ، والضَّعيف فيكم قويٌّ عندي حتى أُرجعَ إليه حقَّه إن شاء الله، والقويُّ فيكم ضعيفٌ عندي حتى آخذَ الحقَّ منه إن شاء الله، لا يدَعُ قومٌ الجهادَ في سبيل الله إلا ضَربهم الله بالذُّل، ولا تشيعُ الفاحشة في قومٍ إلا عَّمهم اللهُ بالبلاء، أطيعوني ما أطعتُ الله ورسولَه، فإذا عصيتُ الله ورسوله فلا طاعةَ لي عليكم". نلمس أبرز المعالم السياسية في هذه الخطبة كالتالي:

أ- مصدر السُّلطة في الإسلام هو شرع الله عزَّ وجل(الكتاب والسُّنة)، فلا حُكم بالقهر والتَّغلُّب، والولاية من الله تعالى "وُليتُ عليكم"، وهذه الشَّرعية لا تعني –بالضرورة- الخيريةَ "ولستُ بخيرِكم". وطاعة المولى عزَّ وجل ورسولُه شرطٌ لازمٌ لطاعة ولي الأمر، " أطيعوني ما أطعتُ اللهَ ورسوله".

ب- وضع الأسس الأولى للمعارضة السياسية وفق الشَّرع أيضاً، "وإن أساتُ فقوموني" فالحاكم لا يسمو فوق النَّقد والمحاسبة.

ت- إرساء مبادئ جديدة في الحكم، من قبيل "الشورى" التي تجلت من خلال مبايعة المهاجرين والأنصار له، ومبدأ "الانتخاب المباشر" للمرشَّحين المختلفين، واختيار الأنسب؛ ومبدأ

شبكة الألوكة - قسم الكتب

"البيعة" من خلال مصافحة النَّاس للخليفة كعلامة رضىً وقبولٍ له. كما سنَّ أبو بكر الخطبة بعد البيعة، لتقديم برنامجه للرعية، وظلت هذه المبادئ والأعراف تقليداً معمولاً به طيلة التاريخ الراشدي، وبعضها استمر على مدار التاريخ الإسلامي، وأسَّس لأصول أبرز الأخلاق السياسية في الإسلام "الصدق أمانةٌ والكذب خيانةٌ".

ث- ارتباط السلطة بالرَّعية قائمٌ على أساس صَون الحقوق، بعيداً عن الإكراه والمحسوبية "القويُّ فيكم ضعيفٌ عندي حتى آخذَ الحق منه، والضعيف فيكم قوي عندي حتى آخذَ الحقَّ له"، فالدولة في فكر الصديق السياسي إحدى أدوات القدرة الإلهية، يدفع بها الظلم والفساد، وهذا أبرز أُطر استعمال الدولة للقوة.

ج- الجهاد دفعاً للمعتدين من أسباب بقاء الدُّول "ما تركَ قوم الجهادَ في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذُّل"، في حين أن الانحطاط الأخلاقي من عوامل سقوطها، "ولا ظهرتِ الفاحشة في قوم إلا عمَّهم الله بالبلاء".

www.alukah.net

المبحث الرابع

الفتوحات في عهد الخليفة أبي بكر ﷺ

بقضاء الجيوش الإسلامية على حركات الردة، وتوطيد دعائم الدولة الإسلامية داخلياً، باتت أنظار أبي بكرٍ ﷺ تتجه نحو تأديب أعداء الدولة، وتأمين حدودها من اعتداءات الفرس والروم، فعمد إلى تجهيز الجيوش لفتح الأمصار، وسنقف عند الفتوحات في عهده باختصار:

الدولة الإسلامية بداية العصر الراشدي

شبكة الألوكة - قسم الكتب

المطلب الأول: جبهة العراق

بدأت عداوة الفرس المتجذرة للمسلمين في عهد النبي ﷺ، عندما أمر ملك الفرس عاملَه على اليمن أن يرسل من عنده رجلاً ليقتلَ رسول الله أو يأسِره، كردٍ على دعوته له إلى الإسلام، ولكن الله أَهْلَكَ ملك الفرس بعدما ثار عليه قومه، ودخل قسمٌ منهم في الإسلام، وبعد وفاة النبي ﷺ ارتد قسمٌ كبير منهم، بل إن سجاح التميمية زحفت بقواتها، وبدعمٍ فارسي من العراق باتجاه الجنوب، كما أرسل كسرى النعمانَ بن المنذر على رأس جيش لمساندتها في حرب المسلمين، فاصطدموا بجيش المثنى بن حارثة الشيباني، فهزمهم وطاردهم حتى دخل جنوبي العراق، ثم استأذن الخليفة أبا بكر في مواصلة الغزو، وكان له ما أراد.

ثم جهَّز الصِّدِّيق جيشين لفتح العراق؛ الأوَّل بقيادة خالد بن الوليد، وكان يومئذٍ باليمامة، فكتب إليه بغزو العراق من جنوبه الغربيّ (الأبلَّة)، والثاني بقيادة عياض بن غنم، وكان بين النِّباج والحجاز، فكتب إليه بأن يغزو العراق من شماله الشَّرقي بادئاً بـ"المسيخ"، ليطبق الجيشان على مدينة "الحيرة" ذات الموقع الاستراتيجي.[1]

تمكَّنت جيوش الفتح الإسلامي بقيادة كل من خالد وعياض، ثم المثنى بن حارثة –انضم لجيش خالد لاحقاً– من فتح مُدن كثيرة؛ فوصل جيش خالد رضي الله عنه الحيرةَ، ودعا أهلها إلى الإسلام، أو الجزية، أو الحرب، فاختاروا أن يدفعوا الجزية ويعيشوا في أمان وسلام، وكانت هذه أوَّل جزية تُؤخذ من الفرس في الإسلام،[2] ثم قصد خالد الأنبار، فهزم أهلها ونزلوا على شروطه، وقبلوا دفع الجزية أيضاً. ثم اتجه إلى "عين التَّمر"، ومنها إلى "دُومَة الجَنْدَل"، وفتحهما عَنوةً بعد أن رفض أهلها الإسلام والجزية وأعلنوا الحرب، فانتصر عليهم، وأَمَّنَ بذلك حدود الدولة الإسلاميَّة

---

[1] علي محمّد الصَّلاَّبي، الانشراح ورفع الضيق في سيرة أبو بكر الصديق، ص٣٢٢- ٣٢٧. و٣٠٥-٣١٠ بتصرف شديد.

[2] الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٥٥١/٢، وابن كثير: البداية والنهاية ٣٧٧/٦.

www.alukah.net

الناشئة من ناحية الفرس، ومن أبرز المعارك التاريخية ضد الفرس في تلك الفترة معركة "ذات السلاسل" و"المذار" و"الوَلجة" و"الفِرَاض".

مسير خالد بن الوليد رضي الله عنه لفتح العراق

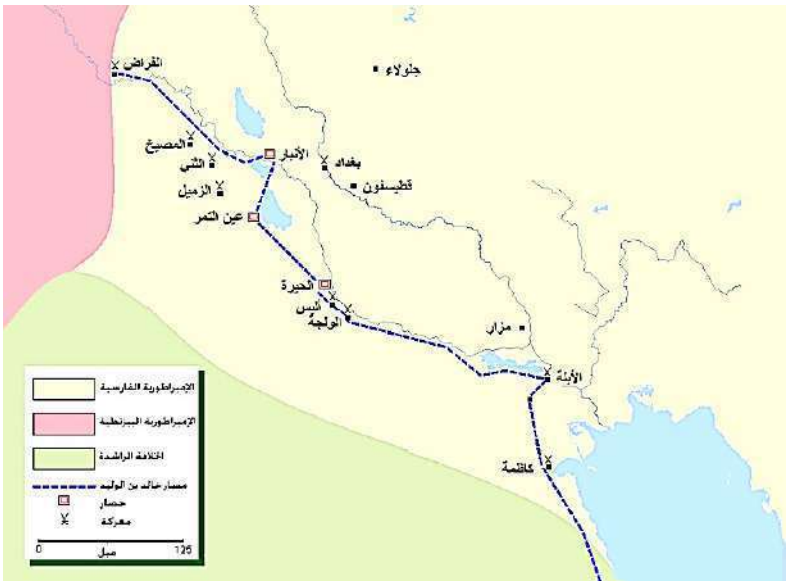

أ- معركة ذات السَّلاسل (كاظمة): وقعت سنة ١٢ هـ بين جيش المسلمين بقيادة خالد بن الوليد وجيش الفرس بقيادة هرمز، أحد أبرز قادة الدولة الساسانية، وكان أميراً على سواد العراق قبيل الفتح الإسلامي، وقد رفض الإسلام والجزية، وحشد لقتال المسلمين، وأمر رجاله بربط أنفسهم بالسلاسل، حتى لا يفروا من أرض المعركة وليستميتوا في القتال، لكن النتيجة كانت انتصار المسلمين ومقتل هرمز وثلاثين ألفاً من جنوده.

ب- معركة المذار (الثني): جرت هذه المعركة في صفر سنة ١٢هـ بين المسلمين بقيادة خالد، على رأس ثمانية عشر ألفاً، والفرس بقيادة قارن بن قرباش في ثمانين ألفاً، وكانت نتيجة المعركة انتصار المسلمين، ومقتل قارن ونوابه "أنوشجان" و"قباذ"، وثلاثين ألفاً من جنودهم، غير من غرق بالنهر، وسيطرة المسلمين على الميناء الوحيد للفرس في العراق وهو ميناء الأبلة، وخضعت لهم منطقة جنوب العراق، لينطلق منها خالد باتجاه الشمال فاتحاً.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ت- معركة الوَلَجَة: وقعت هذه المعركة ف صفر سنة ٢٢هـ، بين جيش المسلمين بقيادة خالد بن الوليد والامبراطورية الفارسية بقيادة "الأندر زغر" و "بهمن جاذويه"، وحلفاءها من منتصرة العرب من تغلب وبكر بن وائل. وقد استطاع خالد بعبقريته العسكرية، أن ينفرد بجيش الأندر، وأن يطبق تكتيك "الكماشة" وينتصر عليه، فيما فرَّ الأندر، ومات عطشاً في الصَّحراء، مما مهَّد الطريق للسيطرة على مدينة الحيرة الاستراتيجية.

ث- معركة نهر الدم (أُلَّيس): جرت أحداثها أواخر صفر سنة ١٢هـ، وسببها غضبُ نصارى العرب من بكر بن وائل من نكبة الوَلَجَة، فاجتمعوا في أليس بقيادة عبد الأسود العجلي، ثمَّ انضمَّ إليهم القائد "جابان" بجيش كبير من الفرس، فاشتبك معهم خالد، وكانت النتيجة نصراً مؤزَّراً للمسلمين، ومقتل سبعين ألفاً من جيش التحالف العربي الفارسي.

ج- معركة الفراض: الفراضُ منطقة على تخوم الشَّام، والعراق، امتدت هذه المعركة من رمضان حتى ذي القعدة سنة ١٢هـ، وفيها انتصر خالدٌ على قوات الرُّوم ومن والاهم من العرب من تَغْلِب وإياد والنَّمِر وبكر وتنوخ، ناهيك عن حشودٍ غفيرة من الفرس،[١] وقتل منهم ما يقارب المئة ألفٍ، فتحطَّمت معنويات الكُفار على مختلف انتماءاتهم.[٢]

وينقل بعض المؤرخين أن خالداً حجَّ بعدها ولم يعلمْ أحدٌ بحجِّه، ولا أبو بكرٍ الصديق إلا بعدما رجع أهل الحج من الموسم، فبعث يعتِبُ عليه في مفارقته الجيش، وكتب إليه: "فليهنِكَ

---

[١] لا بد لنا من الاستفادة من إحدى أبرز العظات في هذه المعركة، وهي تناسي الروم والفرس ما بينهم من صراعات عسكرية، وخلافات عقدية والاجتماع على حرب المسلمين، بالإضافة إلى موالاة الكثير من العرب المنهزمين نفسياً لهؤلاء الغزاة ضد أبناء جلدتهم.. والتاريخ يعيد نفسه، ويتجدد التحالف المجوسي الصليبي ضد أمتنا الإسلامية، ويتهافت الخائرون ممن نصبوا أنفسهم قادةً علينا لتقديم فروض الطاعة والولاء لأسيادهم في الشرق والغرب.

[٢] الطبري: تاريخ الرسل والملوك،٥٨٤/٢، ومحمود شاكر: التاريخ الإسلامي، ٧٩/٢- ٨١. وممَّا قال القعقاع بن عمرٍو في هذه المعركة:

لَقِيْنا بالفراضِ جموعَ رومٍ ... وَفُرْسٍ غَمَّها طولُ السلام
أبدنا جَمْعَهُمْ لمَّا الْتَقَيْنَا ... وَبَيَّتْنَا بِجَمعِ بني رزام

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أبا سليمان النيةُ والحظوة، فأَتْمِمْ يتمِ اللهُ لك، ولا يدخلنَّك عُجْب فتخسر وتُخذَل، وإياك أن تدلَّ بعمل فإن الله له المن، وهو ولي الجزاء".[1]

ح- فتح الحيرة: زحف خالد باتجاه الشمال، ففتح أمغيشيا، ثم قصد الحيرة التي كانت تحت حكم المرزبان آزاذيه، والذي اكتفى بسد مجرى الفرات، وفتح مجاري الأنهار التي ترفده ليحول دون عبور المسلمين، لكن خالدًا نجح في إعادة المياه إلى مجاريها بعد أن انتصر على القوة التي تحمي السد بقيادة ابن المرزبان، ونقل جيشه عبر الماء نحو الحيرة على السفن التي غنمها من الفرس، فانسحب آزاذيه إلى ما وراء نهر الفرات، إذ لم يكن هناك من ينجده بعد موت أردشير، وانشغال أركان الحكم في المدائن في اختيار خلف له، تاركاً الحيرة تواجه الحصار، بعد رفض أهلها ما عرضه عليهم خالد من الإسلام، أو دفع الجزية. وبعد مناوشات خارج أسوارها، تمكن المسلمون من اقتحامها، ليقرَّ وجهاؤها على دفع الجزية، وتوقيع معاهدة الصلح في ربيع الأول سنة ١٢هـ، لتتحول إلى مقر قيادة لخالد ﷺ.[2]

وأدى سقوط الحيرة في أيدي المسلمين إلى نتائج مهمة منها:

- انهيار الروح المعنوية للفرس الذين أنهكهم الصراع على السلطة.
- خضوع الدهاقين (الملاك) المجاورين للحيرة لسلطة المسلمين، فأسلم بعضهم، واكتفى الآخرون بدفع الجزية.
- إقامة حاميات عسكرية لتوطيد الأمن، وحماية أهل الذمة، وجباية الأموال.

---

[1] الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ٣/٣٨٤.

[2] انظر: الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ٣/٣٤٤- ٣٦٤.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

المطلب الثاني: جبهة الشام

كانت الشام خاضعةً للروم؛ الذين ما برحوا يهددون الدولة الإسلاميَّة الناشئة، وقد تمت الفتوحات فيها على مرحلتين:

الأولى: إنفاذ جيش أسامة بن زيد: منعَ تعنُّتُ الروم وتجبُّرهم من قبول دعوة الإسلام، كما حرَّموا حق الحياة على كل من آمن بالله ورسوله، وقد حملهم هذا الموقف على قتل كل من أراد الدخول في الإسلام، كما فعلت بـ فَرْوَة بن عمرو الجُذامي، واليهم على مَعَان.

وكردة فعلٍ على هذا العدوان، شرع رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر صفر من السنة الحادية عشرة من الهجرة بتجهيز جيش لرد عدوان هذه الدولة والحد من صلفها، وأمَّر عليه أسامة بن زيد بن حارثة، رغم صغر سنه، وأمره بالتوجه نحو البلقاء من أرض الشام، بقصد إرهاب دولة الروم، وإعادة الثقة إلى قلوب العرب المقيمين على حدودها.

وتنفيذاً لوصيَّة النبي ﷺ، كان على الصِّديق أن يُرسل جيش أسامة بن زيد رضي الله عنهما إلى وجهته التي حدَّدها له النبيُّ ﷺ قبل وفاته، وهي الإغارة على القبائل الشاميَّة على الطريق التجاري بين مكَّة وغزَّة، رداً على اعتداءاتهم المتكررة على القوافل التجارية للمسلمين، وعلى حدود الدولة الإسلامية الناشئة.

أدرك أسامة حرجَ الموقف في تلك المرحلة الدقيقة التي تتطلب تجميع القوى الإسلامية، خاصَّةً أنَّ جيشه البالغ سبعمائة مقاتل ضمَّ غالبية المهاجرين والأنصار، وقد أبدى بعض الصحابة تحفُّظه على إرسال هذا العدد الكبير من المقاتلين إلى خارج المدينة في ظلِّ أجواء ارتداد القبائل، لكنَّ أبا بكر أبى إلا أن يُنفذ الوصيَّة النبوية قائلاً: "والله لا أحُلُّ عقدةً عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولو أن الطير تَخْطَفُنَا، والسباع من حول المدينة.. لأُجهزنَّ جيش أسامة".[1]

[1] الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٤٦٢/٢، وابن كثير: البداية والنهاية ٣٣٥/٦.

www.alukah.net

أما السبب الثاني لإصرار الصديق فيتمثل في قاعدة "خير وسيلة للدفاع هي الهجوم"، ولو بقي الجيش الإسلامي في المدينة بانتظار هجوم القبائل المتربصة المحيطة بالمدينة فالنتيجة هي عجزه عن المدافعة والثبات أمام الأعداد الضخمة للغزاة، وستكون المدينة المنورة حينها في خطر حقيقي، ثم إن أبا بكر يعلم أن النبي ودعوته نُصِرا بالرُّعب، لذا فإن خروج جيش أسامة يعلن بما لا يدع مجالاً للشك أن الإسلام باقٍ على قوته التي كان عليها أثناء حياة النبي ﷺ، وبالفعل؛ كلما مر الجيش على قبيلة من المرتدين، أو سمعت به وبوجهته لقتال الروم قالوا: "ما أخرجَ أبو بكر هذا الجيش إلا وعنده غيره"، وكانت هذه الفكرة بداية الهزيمة النفسية للمرتدين الذين ألقيَ الهلع في قلوبهم، مما دفعهم إلى العدول عن ردَّتهم خوفاً من مواجهة الجيوش الإسلامية.

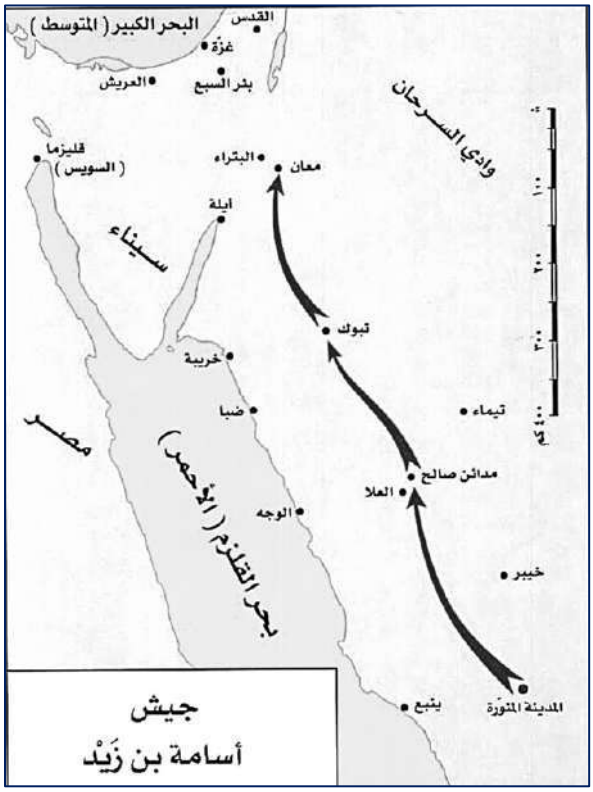

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الثانية: إرسال الحملات العسكرية: حرص أبو بكر على إرسال الحملات العسكرية لصد اعتداءات الروم، مما زاد من ثقة المسلمين بأنفسهم، ومن هيبتهم في عيون القبائل، سيما وأن هرقل إمبراطور الروم جمع قوَّاته على حدود فلسطين؛ وحرَّض العرب المجاورين له على حرب المسلمين، فاستنفر أبو بكر الناسَ لحرب الروم، وأعلنَ التعبئة العامَّة، وبَعث خالد بن سعيد بن العاص ليُرابط بقوَّاته قرب مناطق يسيطر عليها الروم والقبائل العربيَّة النصرانيَّة التي تحالفهم، ثم تحرَّكت أربع جيوش من "المدينة المنورة" باتجاههم على النحو التالي:

- الأول بقيادة "عمرو بن العاص"، ووِجْهَتُه فلسطين.
- والثاني بقيادة "يزيد بن أبي سفيان"، ووجهته دمشق.
- والثالث بقيادة "شرحبيل بن حسنة"، ووجهته بصرى ووادي الأُرْدُنِّ.
- أما الرابع فكان على رأسه "أبو عُبَيْدَة بن الجرَّاح"، ووجهته حمص.

جرت المعركة الأولى بين المسلمين والروم في "موآب"، التي وشكلت في الماضي خط الدفاع الروماني المتأخر في أطراف فلسطين الرومانية، وانتهت بنصر المسلمين بقيادة يزيد بن أبي سفيان، ثم حشد هرقل العرب المتنصرة مثل تنوخ وغسان وغيرها، فانتصر عليها يزيد، ثم حشد القائد سرجيوس في مدينة "داثن" ليهزمه المسلمون ويلقى حتفه في ٢٤ ذي الحجة سنة ١٢هـ، ثم تابع يزيد زحفه، فاجتاز حوران، وغوطة دمشق حتى وصل إلى أبواب مدينة دمشق، وتمركز حولها، ومنع حاميتها من الاتصال بالقيادة المركزية الرومية في أنطاكية، ثم اتصل ببقية الجيوش الإسلامية.[1]

نقل هرقل مقرَّ القيادة من أنطاكية إلى حمص ليكون أقرب من مَيْدَان القتال، وبلغ تعداد جيوشه ما يقارب مئتين وسبعين ألفاً موزعين على عدة جبهات.

ولنقف بشيء من التفصيل عند أبرز المعارك: مرج الصُّفَّر وأجنادين واليرموك.

---

[1] البلاذري: أنساب الأشراف، ص١١٧، الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٤٠٦/٣.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أ- معركة مرج الصُّفر: جرت في محرم سنة ١٣هـ: تقع منطقة مرج الصفر إلى الجنوب من دمشق، وقد حشد الروم قواتهم فيها مع المؤازرات القادمة من حمص، فبلغ عددهم أكثر من عشرة آلاف مقاتل، فواجههم خالد بن سعيد، لكن الرُّوم تمكنوا من الالتفاف حول جيشه، فلاذ خالد بالفرار، ليتمكَّن عكرمة بن أبي جهل من إعادة تنظيم صفوفه، والانسحاب من ميدان المعركة، وعسكر على مقربة من الشام.[١]

ب- قدوم خالد إلى الشام: بعد الانتصارات المبهرة التي حققها خالد في العراق، وإثر تعقُّد الوضع على جبهات الشام، ومطالبة القواد فيها بمؤازرات عسكرية، وتعيين قيادة عامة واحدة وكفؤة للجيوش الإسلامية فيها، خاطب الخليفة أبو بكر خالداً، وأمره بالالتحاق بجيوش الفتح في الشام. وبالفعل؛ تحرك يتحرك بسرعة ليقطع المسافة بين الحيرة في العراق، وبصرى في بلاد الشام، والتي لا تقل عن ستمائة ميل، بوقت قياسي، بلغ ثمانية عشر يوماً مختاراً طريق عين التمر- قراقر-سوى - أرك-تدمر-القريتين -الغوطة - بصرى، لخلوه من قلاع الفرس والبيزنطيين، افتتح خلاله تدمر والقريتين وحوارين، وعسكر قليلاً قرب دمشق، وصالح عاملها منصور بن سرجون، ليحمي مؤخرة جيشه ويتابع الزَّحف باتجاه الجنوب، حيث التقى بالجيوش الإسلامية الثلاثة.[٢]

---

[١] الطبري: ٣٨٨/٣-٣٩١. وقد اصطدم الجيش الإسلامي بقيادة خالد بن الوليد بالروم مرةً أخرى في منطقة مرج الصُّفر في ١٧ جمادى الآخرة ١٣هـ لاعتراض القوة البيزنطية القادمة لفك الحصار عن دمشق، وأسفر عن انتصار المسلمين.

[٢] اجتاز خالد مع قواته المفازة بمساعدة الدليل رافع بن عميرة الطائي، فكان يسير في الليل مهتدياً بكوكب الصبح ويستريح في النهار، ولتأمين الماء للحملة خصص خالد -بناء على اقتراح رافع- عدداً من الإبل السمان، فأعطشها أياماً، ثم أوردها الماء حتى امتلأت أجوافها، ثم قطع مشافرها حتى لا تجتر، كما اصطحب كل جندي معه معدات المياه المنفردة، فكان كلما نزل مكاناً للراحة ينحر عشراً من تلك الإبل، ثم يشق بطونها، ويأخذ ما فيها من الماء فيروي الخيل منه، ويطعم أفراد الجيش من لحومها، ويرتوي هؤلاء مما حملوا من الماء على ظهور الإبل، ثم يتابع سيره إلى أن أشرفت المفازة على نهايتها، وأشرفت الإبل على النفاذ، كما نفذ الماء المحمول على ظهورها، وأضحى الجيش عرضة للهلاك عطشاً، وكان فجر اليوم الخامس حين بلغ الجيش موقع سوى، فخشي خالد أن يهلك أفراده عطشاً، فنادى رافعاً، وسأله عن الماء فطمأنه قائلاً: "خير، أدركتم الري، وأنتم على الماء"، ودلهم على بئر ماء مطمور، فحفروا ونبع الماء، فشرب الجند والإبل والخيل، واستراح أفراد الجيش برهة في سوى، ثم تابعوا سيرهم حتى وصلوا إلى تدمر، فصالح أهل مصيخ بهراء، بعد أن اصطدم بهم. انظر: البلاذري: فتوح البلدان، ص١١٨-١١٩. الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٤٠٩/٣-٤١٠.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ت- معركة أجنادين (١٣هـ): بعد فتح بصرى صُلحاً على يد خالد بن الوليد وعمرو بن العاص، وإثر سلسلة من المناوشات بين المسلمين والروم، جهَّز هرقل جيشاً كبيراً بلغ تعداده ثمانين ألفاً لقتال المسلمين بقيادة تيودور، فانطلق عمرو بن العاص لملاقاته، ولحق به خالد، وبعد معركة حامية الوطيس، هُزمَ الرومُ هزيمة منكرة، لينتقل الرُّوم بعدها إلى اعتماد أسلوب توزيع القوى في مدن مستقلة، مما حال دون التعاون فيما بينها، حيث شغلت كل مدينة بالدفاع عن نفسها، وأضعف قدرتها على المقاومة، وكونت في نفوس سكانها عقلية دفاعية هزيلة يسَّرتْ على المسلمين.[١]

ث- معركة اليرموك (١٣هـ): تمكنت الجيوش الإسلامية بعد معركة أجنادين من بسط سيطرتها على أجزاء كبيرة من بلاد الشام، فاستعد هرقل لمعركة فاصلة تعيد له هيبته وتسترد له ما اقتُطِع من دولته، فزحف باتجاه الجنوب.

قبل أن يتحرك أبو عبيدة بجيشه، دعا حبيب بن مسلمة (عامله على الخراج) وقال له: "اردد على القوم الذين كنا صالحناهم من أهل البلد ما كنا أخذنا منهم، فإنه لا ينبغي لنا إذا لم نمنعهم أن نأخذ منهم شيئاً، وقل لهم: نحن على ما كنا عليه فيما بيننا وبينكم من الصلح، لا نرجع فيه إلا أن ترجعوا عنه، وإنما رددنا عليكم أموالكم أنَّا كرهنا أن نأخذ أموالكم ولا نمنع بلادكم..".[٢]

بدأ خالد بن الوليد تنظيم قواته البالغة ٤٦ ألف مقاتل، بينهم ألف صَحَابِيّ، مِنْهُم مائَة مِمَّن شهد بَدْراً. وقسَّم الجيش إلى ٣٦ كردوساً (كتيبة) تضم ما بين ٦٠٠ إلى ١٠٠٠ رجل، أما جيش الروم فضمَّ نحو مائتي ألف مقاتل، يقودهم "ماهان"، وضم جموع العرب المتنصّرة من لخم وجذام وغسان، وعلى رأسها جبلة بن الأيهم.

---

[١] الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٤١٨/٣.

[٢] البلاذري: فتوح البلدان، ص١٨٧.

www.alukah.net

واجه المسلمون هذا الهجوم الكاسح بكل ثبات، وتمكنوا من الفصل بين فرسان الروم ومشاتهم، فأمر خالد بمحاصرة الفرسان حتى أُنهكوا؛ ففتح المسلمون أمامهم ثغرةً فخرجوا منها طالبين النجاة، ثم زحف خالد بفرسانه الذين لم يقاتلوا بعدُ، فانهار الروم تماماً، وقُتل منهم خمسون ألفاً، وقضى خمسون ألفاً في الهاوية أثناء انسحابهم، ثم غادر هرقل بفلول جيشه المتبقية، وهو يقول: "السلام عليك يا سوريا، سلاماً لا لقاءَ بعده، ونعمَ البلد أنت للعدو وليس للصَّديق، ولا يدخلك روميٌّ بعد الآن إلا خائفاً".[1]

خريطة معركة اليرموك

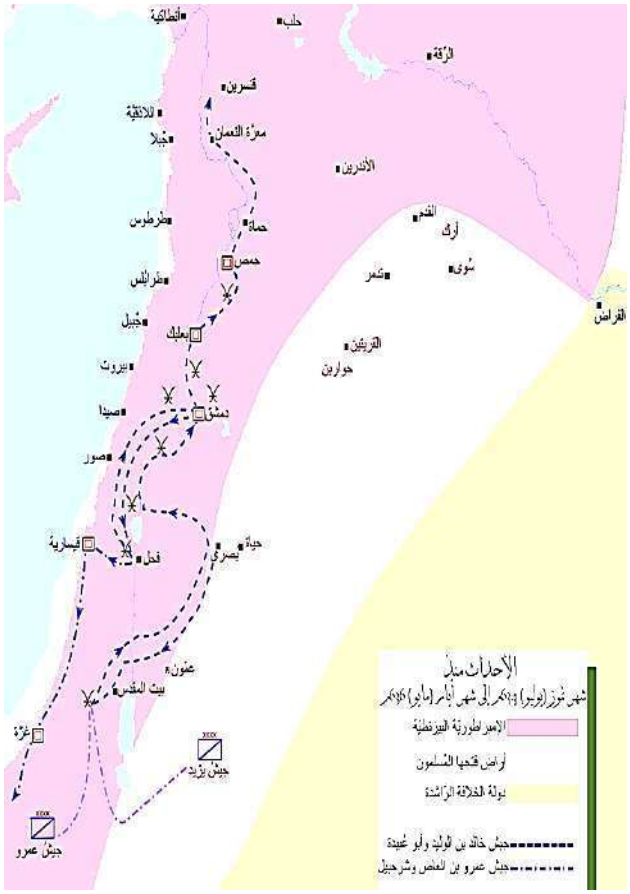

[1] انظر: ابن كثير: البداية والنهاية ١٤/٧. ومحمد الخضري بك: محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية، ص١٩٦.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

المبحث الخامس

أبرز الشبهات المثارة سيدنا ضد أبي بكر الصديق

بدأ الطَّعن في الشيخين (أبي بكر وعمر) من قبَل غُلاة الروافض خلال فترات لاحقة لخلافتهما، والدليل أن علياً نفسه قد أشاد بهما، وبايعهما، بل إن الخوارج (وهم أشدُّ الناس تعصباً) راضون عنهما في سيرتهما، وكذا الشيعة الأولى من أصحاب علي كانوا يقدمون عليه أبا بكر وعمر.[1]

الشبهة الأولى: اغتصاب أبي بكرٍ الخلافة

تتلخَّص فحوى هذه الشُّبهة –كما زعم الشيعة الروافض– أن أبا بكر اغتصب الأمر (الخلافة) من علي وآل البيت رضي الله عنهم.

وقد أشرنا سابقاً إلى قضية إمامة أبي بكر الصديق ﷺ وثبتناها. وذكرنا أولاً تلك الواقعة المشهورة، وهي طلب النبي ﷺ أثناء مرضه من أبي بكر أن يصلي بالناس، والتي اعتبرها أهل السنة إشارةً إلى انتقال الخلافة إلى أبي بكرٍ، ولا غروَ، فالصلاة أهم مطالب الدين وأول أركانه العملية، وأهل السنة قاسوا الإمامة الكبرى (الخلافة) على الإمامة الصغرى (الصلاة) إذ ليس في أركان الإسلام بعد التَّوحيد أفضل من الصلاة، وبهذا فإن أمر النبي ﷺ لأبي بكر بأن يصليَ بالناس في مرضه، وقيامه بالصلاة خلفه كان قصداً لتنبيه السلمين إلى أن الصديق أحق بالرياسة في الدين بعده، وأنه لا مطمعَ لأحدٍ بعده غير الصديق.[2]

وقد تركت إمامة الصلاة أثرها في مفهوم الإمامة الكبرى فارتبطت فكرة الخلافة بالدين لأن الصلاة أهم مطالبه، فوجب أن يكون الخليفة متولياً لشؤون الشريعة، فالتعريف السُّني للإمامة أنها "موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدُّنيا". [3]

---

[1] ابن تيمية: منهاج السنة، ١٤٢/٣.

[2] محمد بن حاتم بن رنجويه. الروض الأنيق في إثبات إمامة أبي بكر الصديق، ورقة رقم ٣٩ مخطوط، سنة ٧٤٣هـ- ١٣٤٢م بمكتبة بلدية الإسكندرية رقم (٣٦٠٣٣).

[3] الماوردي: الأحكام السُلطانية، ص٥.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كما يُستدل بعض أهل السنة بما كان من امرأة أتت النبي ﷺ فكلمته في شيء، فأمرها أن ترجع إليه فقالت: يا رسولَ الله أرأيت إن جئتُ ولم أجدكَ- كأنها تريد الموت- قال «إنْ لمْ تجِديني فَأتي أبَا بَكْرٍ».[1] وقد وجد ابن حزم في هذا الخبر نصَّاً جلياً على استخلاف أبي بكر، ويضيف إليه نصين آخرين يراهما دليلاً على الاستخلاف:

- أولهما: إجماع المسلمين الأوائل جميعاً على تسميتهم أبي بكر خليفة رسول الله ﷺ، ومعنى الخليفة في اللغة هو الذي يستخلفُه لا الذي يخلفه دون أن يستخلفَه، وقد اتفقوا مع إخوانهم الأنصار في إطلاق هذا الاسم على أبي بكر، وهم لم يقصدوا به خلافته على الصلاة لسببين:
  - أ- لأن أبا بكر لا يستحقُّ هذا الاسم في حياة الرسول ﷺ.
  - ب- أنه لم يستحقَّ أحدٌ ممن استخلفه الرسول ﷺ في حياته كعلي في غزوة تبوك، وابن أم مكتوم في غزوة الخندق، وعثمان بن عفان في غزوة ذات الرقاع، وغيرهم، لقب خليفة رسول الله، فصح يقيناً بالضرورة التي لا محيدَ عنها أنها للخلافة.[2]
- أما النصُّ الثاني فهو قول النبي ﷺ للسيدة عائشة أثناء مرضِهِ، «ادْعِي لِي أَبَا بَكْرٍ، أَبَاكِ، وَأَخَاكِ، حَتَّى أَكْتُبَ كِتَاباً، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَتَمَنَّى مُتَمَنٍّ وَيَقُولُ قَائِلٌ: أَنَا أَوْلَى، وَيَأْبَى اللَّهُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَّا أَبَا بَكْرٍ».[3]

ويذهب الرازي إلى أنَّ أصحاب الحديث وجدوا في طلب النبي ﷺ إحضارَ دواةٍ وقرطاس ليكتبَ لأبي بكر نصَّاً جلياً في إمامته،[4] في حين يستنتج ابن خلدون من هذه الحادثة أن أمر الإمامة لم يكن مُهماً لأنها من المصالح العامة المفوَّضة إلى المسلمين كافة، ولم يستخلف فيها

---

[1] الماوردي. الأحكام السلطانية، ص٢ و٥.

[2] ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل ١٠٨/٤.

[3] مسلم: صحيح مسلم- كتاب فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، بَابُ مِنْ فَضَائِلِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ﷺ، برقم (٤٥٢).

[4] محمد بن الحسين الخطيب الرازي: نهاية العقول في دراية الأصول، مخطوط، ص٢٤٤.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

النبي ﷺ لأنها أقلُّ أهمية من الصلاة، ويؤكد ابن خلدون ذلك بقوله: "فلولا أن الصلاة أرفعُ شأناً وأكثر خطراً من السياسة لما صحَّ القياس".[1]

أما ابن تيمية فقد زاد على ذلك بما يراه من أن الإمامة ليست أهمَّ مطالب الدين، بخلاف ما يراه الشيعة، ويضيف: "أن النبي ﷺ لما رأى الشك قد وقع علِم أن الكتاب لا يرفع الشك فلم يبقَ فيه فائدةٌ، وعلم أن الله يجمعهم على ما عزم عليه".[2]

كما أن السبب في عدم استخلاف الرسول ﷺ يرجع إلى خشيته من ظنِّ المسلمين أن من استخلفه قد استمدَّ الأمر على المسلمين بوحيٍ من الله.[3]

وممن تناول هذه النقطة من المستشرقين كلٌ من "فيرث" و"أرنولد"، فيرى الأول أن مرض الرسول ﷺ هو الذي حالَ دون كتابة ذلك الكتاب، بينما ذهب الثاني إلى أن السبب يرجع إلى عدم رغبة الرسول ﷺ مخالفةَ التقاليد العربية التي كانت متبعة في عصره، ومنها أن القبيلة كانت تُترك حرة لتختار من يحميها.

وينقض الدكتور ضياء الدين الريس هذين الاستنتاجين لسببين:

- الأول: لم يقمْ مانعٌ خلال السنين السابقة على وفاة الرسول ﷺ لكتابة ذلك الكتاب كما لم يكنِ المرض من الشدة بحيث يعوقه عن الكتابة فيما لو أراد.
- الثاني: لم يكن هناك تقليد معين للقبائل العربية قبل الإسلام، بل اختلفوا في تقاليدهم وعاداتهم، فضلاً عن أن الإسلام استبدل بها الرابطة الدينية.

ويرى هناك حكمة من عدم تقييد الجماعة الإسلامية بقوانين جامدة لا تتفق مع التطورات إذ أن المشرع حرص أن تظل القوانين الإسلامية مرنةً حتى تعطي مرونتها الفرصةَ للعقل للتَّفكير وللجماعة أن تشكل نظمها وأوضاعَها بحسب المصالح المتعددة.[4]

---

[1] ابن خلدون: المقدمة، ص٢١٩.

[2] ابن تيمية: منهاج السنة ١٣٥/٣.

[3] طه الدليمي: المرجع السابق نقلاً عن: محمد حسين هيكل، الفاروق عمر ٨٩/١.

[4] ضياء الدين الريس: النظريات السياسية، ص٢١.

www.alukah.net

ويرى الشيخ محمد أبو زهرة أيضاً أن الإسلام يقوم على أصول ثلاثة هي: العدالة والشورى والطاعة في طاعة الله، وبذلك استوفت الشريعة الدعائمَ التي يقوم عليها الحكم الإسلامي، ولا ضرورة لتعيين النبي ﷺ طريقاً محدداً لاختلاف الشعوب ونُظُمها.[1]

أما الشيعة فقد تمسّك بعضهم بقول أبي بكر "قد رضيتُ لكم أحدَ هذين الرَّجلين" بأنه لم يكن يعتقدُ وجوب إمامته ولا استحقاقه للخلافة، والردُّ عليهم يكون من أوجه:

- أولها؛ أن ذلك كان تواضعاً منه رضي الله عنه.
- والثاني؛ لتجويزه إمامةَ المفضول مع وجود الفاضل، وإن كان من الحق له فله أن يتبرع لغيره.
- الثالث؛ أنه علمَ أن كلاً منهما لا يرضى أن يتقدَّمه، فأراد بذلك الإشارة إلى أنه لو قدر أنه لا يدخل في ذلك لكان الأمر منحصراً فيهما، ومن ثم لما حضره الموت استخلف عمر لكون أبي عبيدة كان إذ ذاك غائباً في جهاد أهل الشام متشاغلاً بفتحها.[2]

---

[1] أنظر: محمد أبو زهرة: المذاهب الإسلامية، ص٣٨- ٤٠.

[2] العسقلاني: فتح الباري ١٦٢/١٢.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الشبهة الثانية: عدم مبايعة علي لأبي بكر رضي الله عنهما

زعم الشيعة الروافض ومن تابعهم أن علياً لم يبايعْ أبا بكر، أو أنه تأخَّر عن بيعته، فمكث نحواً من ستة أشهر لا يأتيه، وقد ظل مدةَ خلافته مُكرَهاً على السُّكوت عن حقه في الإمامة. وهذا زعم باطلٌ يصوِّر الإمارة غُنماً يتنازعه صحابة النبي ﷺ، وهدف الشيعة الخبيث من وراء ذلك هو الحطُّ من قدر ذلك الرعيل المبارك من الصحابة الكرام.

ولدحضِ هذه الشُّبهة لا بدَّ من الوقوف بشيء من التفصيل عند بعض المرويات الثابتة، ونقل آراء علماء السَّلف الثقات بها، خاصة سيرة أبي بكر وعلي رضي الله عنهما، والتي تبرز ما كان بينهما من توادٍّ ومصاهرات، ناهيك عن ملازمة علي لأبي بكر ونُصحه له في خلافته، بل إنه لم يفارقه قطُّ، ولم ينقطعْ عنه في جماعة، وشاركه في المشورة، وفي تدبير أمور المسلمين، وفي هذا دليلٌ قاطع يبطل كلياً وهمَ الضَّغينة المدَّعاة فيما بينهما، فعن أبي سعيد الخدري قال: ".. فلما قعد أبو بكر على المنبر نظر في وجوه القوم، فلم يرَ علياً، فسأل عنه، فقام ناسٌ من الأنصار فأتوا به، فقال أبو بكر: ابنَ عمِّ رسول الله ﷺ وخَتْنَه؛ أردتَ أن تشقَّ عصا المسلمين؟! فقال: لا تثريبَ يا خليفةَ رسولِ الله، فبايَعه".[1]

أما أبو بكر فقدم تعليلاً أشبه ما يكون باعتذارٍ إلى علي وغيره ممن تخلف عن بيعته: "أما والله ما حملنا على إبرام ذلك دون من غاب عنه إلا مخافةَ الفتنة، وتفاقُم الحدثان، وإن كنتُ لها لكارهاً، لولا ذلك ما شهدها أحدٌ كان أحبَّ إليّ أن يشهدها منك إلا من هو بمثل منزلتك"، ثم أشرف على الناس فقال: أيها الناس، هذا عليُّ بن أبي طالب فلا بيعةَ لي في عنقه، وهو بالخيار من أمره، ألا وأنتم بالخيار جميعاً في بيعتكم إياي، فإن رأيتم لها غيري فأنا أول من يبايعه، فلما سمع ذلك علي من قوله، تحلَّل عنه ما كان قد دخله، فقال: لا حِلَّ، لا نرى لها أحداً غيرك، فمدّ يده فبايعه هو والنَّفر الذين كانوا معه، وقال جميع الناس مثل ذلك، فردُّوا الأمر إلى

[1] أحمد: المسند ١٨٥/٥- ١٨٦، وقال الهيثمي في الزوائد ٨٩٣٨/٥: رواه الطبراني وأحمد ورجاله رجال الصحيح.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أبي بكر، وقالوا: خليفةَ رسول الله ﷺ، وذلك لأنه استخلفه على الصلاة بعده، فكانوا يسمّونه خليفة رسول الله ﷺ حتى هلك".[1]

ومن زعم أن علياً بايعه ظاهراً، وخالفه باطناً، فقد أساء إلى عليّ، وقال فيه أقبحَ القول، وقد فعل في مبايعة أبي بكر ومؤازرة عمر ما يليق بفضله وعلمه وسابقته وحسن عقيدته، وجميل نيته في أداء النُّصح للراعي والرعية، وقال في فضلهما ما نقلناه في كتاب الفضائل، فلا معنى لقول من قال بخلاف ما قال وفعل.[2]

قال عبد الملك الجويني: "أما إمامة أبي بكر رضي الله عنه فقد ثبتت بإجماع الصحابة، فإنهم أطبقوا على بذل الطاعة والانقياد لحُكمه.. وما تخرَّص به الروافض من إبداء علي شراساً وشماساً في عقد البيعة له كذبٌ صريح، نعم؛ لم يكن ﷺ في السقيفة وكان مستخلياً بنفسه قد استفزه الحزن على رسول الله ﷺ ثم دخل فيما دخل الناس فيه، وبايع أبا بكر على ملأٍ من الأشهاد.[3]

وقال الحافظ ابن كثير: "قد اتفق الصحابة رضي الله عنهم على بيعة الصديق، حتى علي بن أبي طالب والزبير بن العوام رضي الله عنهما".[4]

أما ما يتناقله الروافض من روايات تفيد بتأخُّر عليٍّ ﷺ عن بيعة أبي بكر إلى أن ماتَتْ فاطمة، فهي واهيةٌ باطلة، والرد عليها بما صحَّحه ابنُ حِبَّان وغيره من حديث أبي سعيدٍ الخدري وغيره: "أن عليّاً بايع أبا بكرٍ في أوَّل الأمر"، وأمَّا ما وقع في "مسلمٍ" عن الزُّهري أن رجلاً قال له: "لَم يُبايع عليٌّ أبا بكرٍ حتى ماتت فاطمة؟ قال: لا" فيُحمل قول الزهري: لم يبايعه علي في تلك الأيام، على إرادة الملازمة له والحضور عنده، وبِهذا تندحض دعوى الرافضة في زعمهم أنَّ الصحابة لم يتَّفِقوا على مبايعة أبي بكر، وإنكارهم إجماعَ الصحابة على بيعته، وتبيّن أنَّ ما

---

[1] البيهقي: الاعتقاد ص٣٥١. والحديث مرسل. وانظر: الحاكم: المستدرك، ٤/١٣٥- ١٣٦ برقم (٤٤٢٢). ووافقه الذهبي، وصححه ابن كثير في السيرة النبوية ٤/٤٩٦.

[2] البيهقي: الاعتقاد ص١٧٩-١٨٠.

[3] الجويني: الإرشاد ص٣٦١.

[4] ابن كثير: البداية والنهاية ٦/٣٤٠.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

استُدِلَّ به من بعض الأخبار الواردة في كتب التاريخ بتخلُّف بعض الأفراد عن بيعة أبي بكر لا تثبتُ عند التحقيق، ولا تَقْوى على معارضة الرِّوايات الصحيحة، الدالَّةِ على إجماع الصحابة على بيعة أبي بكر التي تناقلها المحَدِّثون في كتبهم، وحكموا عليها بالصِّحة والثُّبوت، وما نصَّ عليه المحقِّقون من أهل السُّنة من القطْع بإجماع الصحابة على بيعة الصديق.[1]

وبالعودة إلى كتب الروافض، سنجد بعض الأدلة على محبة علي لأبي بكر، وبيعته له، منها:

١) يقول علي بن أبي طالب ﷺ وهو يذكر بيعته لأبي بكر: ".. فمشيتُ عند ذلك إلى أبي بكر فبايعته، ونهضتُ في تلك الأحداث حتى زاغ الباطل وزهقَ، وكانت كلمة الله هي العليا ولو كره الكافرون، فتولى أبو بكر تلك الأمور فيسَّر وسدَّد وقارب واقتصد، فصحبته مُناصِحاً، وأطعتُه فيما أطاعَ الله فيه جاهداً".[2]

٢) ومما قاله عنه وعن صاحبه عمر: "وكان أفضلَهم في الإسلام كما زعمت، وأنصحهم لله ولرسوله الخليفةُ الصديق، والخليفة الفاروق، ولَعَمري إن مكانهما في الإسلام لعظيمٌ، وإن المصاب بهما لجرح في الإسلام شديدٌ، رحمهما الله وجزاهما بأحسن ما عملاً".[3]

---

[1] أنظر: إبراهيم الرحيلي: الانتصار للصَّحب والآل من افتراءات السماوي الضَّال، ص٤٧٠- ٤٧١.

[2] الثقفي: الغارات ٣٠٥/٢.

[3] الميثم: شرح نهج البلاغة ٣١/١. ومنها أيضاً ما نقله ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ٤٨/٦: "إنا نرى أبا بكر أحقَّ الناس بها، وإنه لصاحب الغار وثاني اثنين، وإنا لنعرف له سنّه، ولقد أمره رسول الله بالصلاة وهو حيٌّ".

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الشبهة الثالثة: حرق عمر لبيت فاطمة وهدمه عليها وإسقاطها جنينها

ابتدع الرافضة قصةً ملخصُّها أن أبا بكر ﷺ آذى عليّاً لامتناعه عن البيعة، وبعث إليه عمر بن الخطاب فاقتحم بيت فاطمة وحرَّقه وهدمه، وأنَّ عمر ضغط فاطمة بين الباب والجدار فأُسقط جنينها من بطنها، ثم أخرجوا عليّاً بذلٍ وهوان؛ لإجباره على البيعة لأبي بكر، وقد رويت القصة عند بعض أهل السنة، منها ما نقله الطبراني: ".. فأما الثلاث اللاتي وددت أني لم أفعلهنَّ فوددتُ أني لم أكنْ كشفتُ بيت فاطمة وتركته..".[1]

والقصة باطلةٌ من عِدة وجوه:

أولاً: إن اعتداء رجلٍ على امرأة يُعد من الأمور المنكرة، فكيف بنفرٍ منهم، ومن الصحابة الكرام، وعلى ابنة النبي ﷺ، يحرقون بيتها، ويُسقطون جنينها؟.

ثانياً: يدعي الروافض لعليٍ ﷺ علمَ الغيب، وفائق الشجاعة، فلمَ لم يحذِّر فاطمة من أولئك المعتدين؟ وأين شجاعته وقوته في التَّصدي لهم دفاعاً عن عِرضه؟.

والادعاء بأن عليّاً كان ضعيفاً مُستَضعفاً، فيه إهانة لأحدِ أشجع صحابة النبي ﷺ، وهو أمر لا يقبله حتى عُقلاء الشيعة.[2]

ثالثاً: الرواية منٌ حيث سندها فيها انقطاع واضح، ولا تقوم بها حُجَّة عند، لأنَّ أَسْلَمَ العَدَوِيَّ مولى عمر بن الخطاب لم يعاصِرْ هذه الواقعة ولم يحضُرْها، فقد كان من سَبْيِ عين التمر سنة ١٢هـ، في حين أن السيدة فاطمة رضي الله عنها تُوُفِّيَتْ في شهر رمضان سنة ١١هـ.[3]

---

[1] انظر: الطبراني: المعجم الكبير ٦٢/١. وقد نقدها وأثبت بطلانها جمعٌ من علماء أهل السنة، نذكر منهم: الهيثمي: مجمع الزوائد ٥/ ٢٠٣، والعقيلي: ضعفاء العقيلي ٤١٩/٣، والذهبي: ميزان الاعتدال ١٠٨/٣، وكل الروايات غير موثقة.

[2] انظر: محمد حسين آل كاشف الغطاء: جنة المأوى ص١٣٥، وهبة الله ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ٦٠/٢.

[3] ابن كثير: البداية والنهاية ٢٩٩/١٢. وللمزيد حول متون هذه القصة وأسانيدها أنظر: فيصل نور: شبهة الهجوم على بيت فاطمة، حرق الدار، كسر الضلع، ضلع الزهراء، إسقاط المحسن. على الرابط: http://www.fnoor.com/main/articles.aspx?article_no=5597#_ftnref2

شبكة الألوكة - قسم الكتب

رابعاً: إذا كان الروافض يعتقدون حَقاً بصحة هذه الرواية، فآخِرُها ينسف دِينَهم مِن أساسه، وعقيدتهم التي تقوم على وجود اثني عشر إماماً بعد النبي ﷺ، وإنَّ عليّاً وَصِيُّه.[1]

خامساً: أن عليَّاً ﷺ كان مُستشاراً لِعمر ﷺفي خلافته، وكان يَحْضُر مَجَالِسه، بل ويستشيره عمر ويُشير عليه. وكان مما أشار به عليّ ﷺ حدُّ الْخَمْر.

سادساً: أن عمر ﷺ خَطَب أم كلثوم ابنة عليّ، فزوّجه إياها، ولو كان بينهما عداوة هل كان عليّ يُزوّجه ابنته؟. كما أن عليّاً سمّى ابنيه: عمرَ وعثمانَ.

وممن دحض هذه الشبهة من علماء الشيعة الشيخ حسين المؤيد بقوله: "ذكرنا أن حادثةَ كسر ضلع الزهراء عليها السلام غير ثابتة، بل القرائن المنطقية تدلل على أنها غير صحيحة، ولم تكن هذه الحادثة سبباً لوفاتها عليها السلام. وإنما المستفاد من النقول التاريخية أنها مرضت ووافاها الأجل سلام الله عليها. وكان رسول الله ﷺ وسلم قد أخبرها بأنها أول أهل بيته لحوقاً به.[2]

---

[1] ابن تيمية: منهاج السنة النبوية ٢٠٨/٨.

[2] انظر: الموقع الرسمي المعتمد لآية الله المرجع المؤيد http://www.almaiad.com/question/questions/qu-25.htm

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الشبهة الرابعة: اغتصاب أبي بكر ﷺ سهم فدك من فاطمة الزهراء

من المعلوم أن أبا بكر الصديق ﷺ لم يعطِ فاطمة وآل البيت رضي الله عنهم أرض فدك -كميراث- عندما طالبوه بذلك، وأجابها بقول النبي ﷺ «إنّا معاشرَ الأنبياءِ لا نُورّثُ، ما تَرَكْناهُ صَدَقةٌ».[1] والحديث صحيح عند الفريقين السُّنة والشيعة. لكنه أعطاهم حقهم فيها وفي غيرها كفيء. لكن الروافض اعتبروا هذه الحادثة مأخذاً على الخليفة أبي بكر ﷺ، بل ومنعاً لها من أبسط حقوقها.

بداية؛ لا بد من التعريف بأرض فدك: وهي قريةٌ في الحجاز كان يسكنها طائفة من اليهود، ولما فرغ النبي ﷺ من خيبر، قذف الله عز وجل في قلوبهم الرُّعب، فصالحوا النبي ﷺ على فدك، فكانت مُلكاً له لأنها مما لم يُوجف عليها بخيلٍ ولا رِكاب.

وللردِّ على هذا الافتراء، لا بدَّ من التأكيد على النقاط التالية:

١. لم تتفرد فاطمة رضي الله عنها بهذا الطلب، بل طلبه كذلك أزواج النبي ﷺ، والعباس ﷺ، ولم يكن طلبهم في جميع الإرث وإنما طلبوا مال الفيء، وهذا يدل على علمهم بالحديث.

٢. قبول فاطمة بحكم أبي بكرٍ في المسألة وقولها: "فأنتَ وما سمعتَ من رسول الله ﷺ".[2]

٣. اتفاق حُكم علي مع حكم أبي بكرٍ في أرض فدك: كان علي ﷺ يرى أنّ فدك لم تكن لا إرثاً ولا هبةً، فلمّا استُخلفَ على المسلمين لم يُعطِ فدك لأولاده بعد وفاة أمهم فاطمة، فلماذا يُشنَّع على أبي بكر في شيء فعله علي بن أبي طالب نفسه؟! ولما استُخلفَ ﷺ كُلّمَ في ردِّ فدك، فقال: إني لأستحيي من الله أن أردَّ شيئاً منعَ منه أبو بكر وأمضاه عمر".[3]

---

[1] أحمد: المسند ١٧٨/١ برقم (٥٨). وصححه محمود شاكر في تعليقه على المسند. وانظر: المجلسي: مرآة العقول ١١١/١. والغريب أن علماء الشيعة يتغاضون عنه رغم شهرته عندهم، ويستخدمونه في الحديث في ولاية الفقيه ويُهملونه في قضية فدك.

[2] أحمد: المسند ١٠/١. والمعتزلي: شرح نهج البلاغة ٢١٨/١٦- ٢١٩.

[3] المرتضى: الشافي في الإمامة، ص٢٣٠.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الفصل الثاني

عمر بن الخطاب رضي الله عنه

(١٣- ٢٣هـ)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المبحث الأول

ترجمته وخصائصه

المطلب الأول: ترجمته

اسمه: عمر بن الخطاب بن نُفيل بن عبد العزى، القرشي العدوي.

مولده ونسبه: ولد عمر ﷺ ولد بعد عام الفيل بثلاث عشرة سنة، يلتقي مع النبي ﷺ في الجد السابع كعب بن لؤي، وأمه حنتمةُ بنت هشام بن المغيرة بن مخزوم، أخت أبي جهل بن هشام. كان وجيهَ بني عديٍ، وسفيرَ قريشٍ في الجاهلية.[1]

كنيته: الفاروق، لأن الله جعل الحقَّ على لسانه. وقيل: لأنه أظهر الإسلام بمكة ففرق بين الكفر والإيمان، وهو قولُ أمنا عائشة، وسيدنا علي بن أبي طالب.[2]

لقبه: أبو حفص، نسبة لأمنا حفصة ابنته.

وصفه: كان عمر ﷺ طويل القامة، ضخم الجسم، كثير شعر البدن، انحسر شعره عن جانبي رأسه، أبيض البشرة، شديد الحمرة، يخضب بالحناء، له شارب كثيف.[3]

زوجاته وأولاده: تزوج أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه عدداً من النساء منهن:

١. قريبة بنت أبي أمية بن المغيرة بن مخزوم، أخت أم المؤمنين أم سلمة، بقيت على شِركها، فسرَّحها عمر لما نزلَ قوله تعالى: ﴿ولا تُمَسِّكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾ [الممتحنة- ١٠].

٢. زينب بنت مظعون، ولدتْ له عبدَ الله وعبد الرحمن وأم المؤمنين حفصة. وقد أسلمت.

٣. أم كلثوم بنت جرول الخزاعية، ولدت زيداً الأصغر وعبيد الله. طلقها لبقائها على شركها.

٤. جميلة بنت ثابت بن أبي الأقلح الأنصارية، ولدت له عاصم بن عمر.

٥. أم حكيم بنت الحارث المخزومية: ولدت له فاطمة.

٦. عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل: ولدت له عياضاً.

---

[1] البلاذري: أنساب الأشراف ٢٨٦/١٠. وقيل ابنة عم أبي جهل. وانظر: محمود شاكر: التاريخ الإسلامي، ص١١٠.

[2] الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٤٠٦/٢. والطبري: الرياض النضرة في مناقب العشرة ١٣١/١.

[3] ابن سعد: الطبقات ٢٦٥/٣. وابن حجر: الإصابة في تمييز الصَّحابة، ٥٨٨/٤.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

٧. أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب: ولدت له زيداً ورقية.[١]

وله من الأولاد عبد الرَّحْمَن الأوسط، وأمه لهية من الإماء، وعبد الرَّحْمَن الأصغر، وزينب من فكيهة، وهي أيضاً من الإماء.

إسلامه: كان إسلامه في السنة السادسة من البعثة، ببركة دعاء النبي ﷺ «اللَّهمَّ أعزَّ الإسلامَ بأحبِّ هذينِ الرَّجُلَيْنِ إليكَ، بأبي جَهْلٍ أو بعُمرَ بنِ الخطَّابِ».[٢] وذلك بعد إسلام حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه بثلاثة أيام، متمماً لأربعين.

وبقدر شدَّته التي كانت على المسلمين، صار بأضعاف ذلك على المشركين؛ قال ابن مسعود: "كان إسلام عمرَ فتحاً، وهجرته نصراً، وإمارته رحمة، ولقد كنَّا وما نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر، فلما أسلم قاتَلَ قريشاً حتى صلى عند الكعبة وصلَّينا معه"، وعنه قال: "ما زلنا أعزةً منذ أسلمَ عمر".[٣] وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: "لما أسلم عمر قال المشركون: اليوم انتصف القومُ منا".[٤]

وقد تعدَّدت الروايات في سبب إسلامه، أشهرُها أنه لما علِم أن أخته فاطمةَ وزوجَها سعيد بن زيد أسلَما، غضبَ وجاء إليهما وعندهما خباب يُقرئهما، فاختبأ خباب، فبطش بخَتَنه وأقبلَتْ أخته لتكفَّه عن زوجِها، فشجَّها، فأدْماها، ثم ندم وقال: أعطِني هذه الصحيفة التي سمعتُكم تقرؤون آنفاً، فقالت له: إنك مشرك نجسٌ، وإنه لا يمسُّها إلا الطاهر، فقام فاغتسل، ثم قرأ منها سطراً واحداً، (يُقالُ: في سورة طه) وقال: ما أحسَنَ هذا الكلامَ وأكرمَه، فخرَج إليه خبَّاب ووعَظه، وقال له: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ أمسِ يقول: «اللهم أيِّد الإسلامَ بأبي الحَكَم بن هشام أو بعُمرَ بن الخطاب»، فاللهَ اللهَ يا عمر، فقال له عمر: دلَّني على محمد، فقال سعيد: هو في بيتٍ عند الصفا مع نفرٍ من أصحابه، فجاء فاستأذنَ، فارتاع مَن هناك لاستئذانه،

---

[١] انظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٢١٢/٢.

[٢] الترمذي: الصحيح برقم (٣٦٨١)، وأحمد: المسند برقم (٥٦٩٦).

[٣] السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص١١٥. والبخاري: الصحيح، كتاب فضائل الصَّحابة، باب مناقب عمر، ٤١/٧، برقم (٣٦٨٤).

[٤] البخاري: الصحيح ٢٩٤/٢، وابن أبي شيبة: المصنف ٣٥٤/٦. وابن سعد: الطبقات ١٤٥/٣. والطبراني: المعجم الكبير ٢٥٥/١١.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فقال حمزة ﷺ: نأذَنُ له، فإن كان يريد خيراً بذَلناه له، وإن كان يريد شرّاً قَتَلْنَاهُ بِسَيْفِهِ، فلما دخل أخذهُ النبي ﷺ من مَجمع ردائه وَجذبه جذبةً شديدةً وقال: «مَا جاءَ بكَ يا ابنَ الخطَّاب؟! فوالله ما أرى أنْ تنتهيَ حتى يُنزِلَ اللهُ بكَ قَارعةً»، فقال عمر يا رسول الله جئتك لأومن بالله ورسوله وبما جاء من عند الله. فكبَّرَ رسولُ اللهِ وكبَّر المسلمونَ معهُ.

وينقل بعض المؤرخين رواية أخرى يرويها عمر عن إسلامه فيقول: كنتُ صاحبَ خمر في الجاهلية.. فخرجت ليلة أريد جلسائي، فلم أجدْ منهم أحداً.. فقلت: لو أني جئت الكعبة فطفت بها، فجئت المسجد لأطوف، فإذا رسول الله صلى الله وعليه وسلم قائمٌ يصلي، وكان إذا صلى استقبل الشام وجعل الكعبة بينه وبينها فقلت لو أني استمعت إلى ما يقول محمد هذه الليلة، ولئن دنوت منه لأروعنه، فدخلت تحت ثياب الكعبة، ومشيت حتى أصبحت أمام رسول الله صلى الله وعليه وسلم، وليس بيني وبينه غير ثياب الكعبة، فلما سمعت القرآن رقَّ له قلبي فبكيت، فلم أزلْ واقفاً في مكاني حتى انتهى رسول الله صلى الله وعليه وسلم من صلاته وانصرف، فتتبعته حتى أدركته، فلما سمع رسول الله حِسي عرفني، فظن أني تبعته لأؤذيه، فزجرني وقال: «ما جاءَ بكَ يا ابن الخطاب في هذهِ السَّاعة؟». قلتُ: لأومن بالله ورسوله وبما جاء من عند الله، فحمد الله وقال: «قوَّاكَ اللهُ يا عُمَرُ». ومسحَ صدري ودعا لي بالثبات.[1]

صحبته: لازم عمر رسول الله ﷺ بعد إسلامه، في سفره وحضره، وشهد معه المشاهد كلها، ولما طُعن جعل يألم، فقال له ابن عباس: يا أمير المؤمنين لقد صحبتَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فأحسنتَ صحبته، ثم فارقته وهو عنك راضٍ، ثم صحبتَ أبا بكرٍ فأحسنتَ صحبته، ثم فارقته وهو عنك راضٍ، ثم صحبتَ صحبتهم، فأحسنت صحبتهم، ولئن فارقتهم لتفارقنهم وهم عنك راضون، فقال عمر: أمَّا ما ذكرتَ من صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضاه، فإنما ذاك مَنٌّ مِنَ الله تعالى مَنَّ به عليَّ، وأما ما ذكرتَ من صحبة أبي بكرٍ فإنما ذاك مَنٌّ مِن

[1] أبو نعيم: الحلية ٣٩/١. وابن كثير: البداية والنهاية ٨١/٣. ومحمود شاكر: التاريخ الإسلامي، ص١١٨-١١٩.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الله جل ذكره مَنَّ به عليَّ، وأما ما ترى من جزعي، فهو من أجلك وأجل أصحابك، والله لو أن لي طِلاع الأرض ذهباً، لافتديت به من عذاب الله عز وجل قبل أن أراه.[1]

مروياته من السُّنة الشَّريفة: روى عمر عن النبي ﷺ خمسمائة وسبعة وثلاثين حديثاً، وروى عنه كثير من الصَّحابة وكبار التابعين أمثال: علي، وابن مسعود، وابن عباس، وأبو هريرة..[2]

استشهاده: سأل عمر رضي الله عنه ربَّه الشهادة في سبيل الله، فقد سمعتْهُ ابنتُه؛ أم المؤمنين حَفْصَة رضيَ الله عنها يدعو ربه: "اللهمَّ ارزقني قتْلاً في سبيلكَ، ووفاةً في بلد نبيّكَ". قالت: قلتُ: وأنَّى ذلك؟ قال: "إنَّ الله يأتي بأمره أنَّى شاء".[3]

وحجَّ في العام الذي قُتل فيه، وسأل الله في حجَّته حُسْنَ الختام؛ فأناله الله تعالى بغيته على يد غلام فارسيٍ حاقد يدعى فيروز المجوسي، ويكنى أبا لؤلؤة.

كان من سياسته أنه لا يأذنُ لسَبْيٍ بقيَ على كفره أن يدخل المدينة، أو يعمل فيها؛ حتى كتب إليه المغِيرَة بنُ شُعْبَة رضي الله عنه واليه على الكوفة يذكر له غلاماً عنده صانعاً، ويستأذنه في أن يدخله المدينة، ويقول: "إن عنده أعمالاً تنفع النَّاس، إنه حدَّادٌ نقَّاشٌ نجَّارٌ"؛ فأَذِنَ له، فضرب عليه المغيرة كل شهر مائةً، فشكى إلى عمر شدَّة الخَراج، فقال له: "ما خراجكَ بكثيرٍ في جنب ما تعملُ". فانصرف ساخطاً، فلبث عمرُ ليالِيَ، فمرَّ به العبد فقال: ألم أحدَّث أنكَ تقول: "لو أشاءُ، لصنعت رَحًى تطحن بالرِّيح". فالتفت إليه عابساً فقال: "لأصنعنَّ لك رحًى يتحدَّث النَّاس بها". فأقبل عمر على من معه فقال: "توعَّدني العبدُ".[4]

فلمَّا كان فجر يوم الأربعاء، قبل نهاية ذي الحجَّة بأربعة أيام، كَمَنَ أبو لؤلؤة في المسجد، ومعه سكينٌ مسمومةٌ ذات طرفَيْن، فوقف عمر يعدل الصفوف للصلاة، فلما كبَّر يصلي بالنَّاس، طعنه العبد؛ فقال عمر:﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَراً مَقْدُوراً﴾ [الأحزاب: ٣٨].[5] ثم أخذ العبد يسعى

---

[1] البخاري: الصحيح برقم (٣٦٩٢). عن المسور بن مخرمة رضي الله عنه.

[2] البخاري: الصحيح ٥٠٤/١ و١٦٨/٨، و٤١٠/١٢. المزي: تهذيب الكمال، تحقيق: بشار عواد معروف، ٣١٦/٢١-٣٢٦.

[3] ابن سعد: الطبقات ٢٥٢/٢.

[4] ابن سعد: الطبقات ٢٦٢/٣، والطبري: تاريخ الرسل والملوك ٥٥٩/٢.

[5] ابن سعد: الطبقات ٢٦٥/٣.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يميناً وشمالاً حتى طعن ثلاثةَ عشرَ رجلاً، مات منهم سبعةٌ، فلما رأى ذلك رجلٌ من المسلمين؛ طرح عليه بُرْنُساً، فلما ظنَّ العِلْجُ أنه مأخوذٌ؛ نَحَرَ نفسَه.

وتناول عمر يد عبد الرحمن بن عوف؛ فقدَّمه للصلاة بالنَّاس، فصلَّى بهم صلاةً خفيفةً، وحُمِلَ عمر إلى بيته وقد غلبه النَّزْف حتى غُشيَ عليه، فلما أسفر الصُّبح استيقظ فقال: أَصَلَّى النَّاس؟ قالوا: نعم. قال: لا إسلامَ لمن ترك الصَّلاة. ثم توضَّأ وصلَّى.[1]

وظنَّ عمر أن له ذنباً إلى النَّاس لا يعلمه، فدعا ابن عباس، وكان يحبُّه ويُدْنِيه، فقال: أحبُّ أن تعلم عن مَلاءٍ منَ النَّاس كان هذا؟ فخرج، لا يمرُّ بمَلاءٍ من النَّاس إلا وهم يبكون؛ فكأنما فقدوا أبكارَ أولادهم؛ فأخبره. قال ابن عباسٍ: فرأيت البِشْرَ في وجهه".[2] ثم قال: "لا تعجلوا على الذي قتلني. فقيل: إنه قتل نفسه. فاسترجع عمر؛ فقيل له: إنه أبو لؤلؤة المجوسي؛ فقال: الله أكبر، الحمد لله الذي لم يجعل قاتلي يحاجَّني عند الله بسجدةٍ سجدها قطُّ".[3]

ثم أرسل ابنه عبد الله إلى عائشة، وقال: "انطلقْ إلى عائشة أمِّ المؤمنين؛ فقُلْ: يقرأ عليكِ عمرُ السَّلامَ ولا تَقُلْ: أميرَ المؤمنين، فإنِّي لست اليوم للمؤمنين أميراً، وقُلْ: يستأذن عمر بن الخطاب أن يُدْفَنَ مع صاحبَيْه"، وإنما قال ذلك لئلاَّ تفهم عائشة أنه أمرُ الإمام؛ وطاعته واجبةٌ، فترك لها الخيار، فأذنتْ له.[4] فلما توفي ﷺ صلَّى عليه صُهَيْبٌ الرُّومي في المسجد النبوي ودُفِنَ بجانب صاحبَيْه؛ رسول الله ﷺ وأبي بكر ﷺ.

اتفق مؤرخو الإسلام أن مقتلَ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب مثَّل فاجعةً كبرى؛ فقد كان حصن الإسلام الحصين، ودِرْع الأمة المتين. قالت أمُّ أيمن رضيَ الله عنها يوم أصيب عمر: "اليوم وَهَى الإسلام".[5]

---

[1] ابن سعد: الطبقات ٢٦٣/٣.

[2] الطبراني: الأوسط برقم (٥٧٩)، وحسن إسناده الهيثمي في مجمع الزوائد ٧٤/٩ـ ٧٥.

[3] أحمد: فضائل الصَّحابة برقم (٣٢٩) وانظر: العسقلاني: فتح الباري ٨١/٧.

[4] محمد الخضري بك: إتمام الوفاء في سيرة الخلفاء، ص١١٧.

[5] الهيثمي: مجمع الزوائد ٧٧/٩.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وبكاه سعيد بن زيد رضيَ الله عنه وقال: "على الإسلام أبكي، إنَّ موت عمر ثَلَمَ الإسلام ثَلْمَةً لا تُرْتَقُ إلى يوم القيامة". وقال أنسٌ رضيَ الله عنه: "ما من أهل بيتٍ من العرب حاضرٌ وبادٍ، إلاَّ قد دخل عليهم بقتل عمر نَقْصٌ".[1]

المطلب الثاني: أخلاقه

- ورعه وتقواه؛ امتاز عمر ﷺ –مع شدته وجرأته في الحق– بالورع والخشية والخوف من الله تعالى، فكان أواهاً مخبتاً منيباً، ذلَّت له نفسه في الله، بل ذلَّ له شيطانه فلم يجرؤ أن يسير في طريقٍ سلكه عمر، وإذا رآه ولى مدبراً، قال له رسول الله ﷺ: «إِيهِ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ سَالِكاً فَجاً قَطُّ إِلا سَلَكَ فَجاً غَيْرَ فَجِّكَ».[2]

و«إِنِّي أَنْظُرُ إِلَى شَيَاطِينِ الْجِنِّ وَالإِنْسِ قَدْ فَرُّوا مِنْ عُمَرَ».[3]

وقال ﷺ: «بينا أنا نائمٌ، رأيتُ الناسَ يُعرضون عليَّ وعليهمْ قُمُصٌ؛ منها ما يبلغ الثُّدِيَّ، ومنها ما دون ذلك، وعُرض عليَّ عمرُ بن الخطَّاب وعليه قَميصٌ يجرُّهُ، قالوا: فما أوَّلتَ ذلك يا رسولَ اللهِ؟ قال: "الدِّينُ».[4]

وقال أنس: "خرجت مع عمر يوماً، فدخل حائطاً، فسمعته يقول وبيني وبينه جدار: "عمر بن الخطاب أمير المؤمنين، والله لتتقِيَنَّ الله –ابنَ الخطاب– أو ليعذبنَّك".[5]

- زهده: اشتهر عمر ﷺ بالزهد والعزوف عن متاع الحياة الدنيا، متأسياً في ذلك بصاحبيه، النبي ﷺ وأبي بكر ﷺ، مع أن الدنيا بُسطت بين يديه وتحت قدميه، وأتته راغمة، فما طرفت لها عينه، ولا رغب بها قلبه. يقول الأحنف بن قيس "كنا جلوساً بباب عمر فمرَّت

---

[1] انظر: ابن سعد: الطبقات ٢٨١/٣- ٢٨٦.

[2] البخاري: الجامع الصحيح، باب بدء الخلق ١٢٥٣/٣ برقم (٣٢٩٤). ومسلم: الصحيح، باب فضائل الصحابة ٥٩/١٨ برقم (٢٣٩٦).

[3] .الترمذي: السنن برقم (٣٦٩١).

[4] البخاري: الجامع الصحيح برقم: (٣٦٩١).

[5] ابن عبد البر: الاستذكار ١٥٠/٢٨.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

جارية، فقالوا: سُرَّية أمير المؤمنين، فقالت: ما هي لأمير المؤمنين بسُرَّية وما تحلُّ له، إنها من مال الله، فقلنا: فماذا يحلُّ له من مال الله؟ فما هو إلا قدر أن بلغت وجاء الرسول فدعانا، فأتيناه، فقال: ماذا قلتم؟ قلنا: لم نقلْ بأساً، مرت جارية فقلنا: هذه سرية أمير المؤمنين، فقالت: ما هي لأمير المؤمنين بسرية، وما تحلُّ له، إنها من مال الله، فقلنا: فماذا يحلُّ له من مال الله؟ فقال: أنا أُخبركم بما أستحلُّ منه، يحل لي حُلَّتان، حلة في الشتاء، وحلة في القيظ، وما أحجُّ عليه وأعتمر من الظهر، وقوتي وقوت أهلي كقوت رجلٍ من قريش، ليس بأغناهم ولا بأفقرِهم، ثم أنا بعدُ رجلٌ من المسلمين، يُصيبني ما أصابهم".[1]

ودخلتْ عليه مرة أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها وقد رأت ما هو فيه من شدة العيش والزهد فقالت: إن الله أكثرَ من الخير، وأوسع عليك من الرزق، فلو أكلتَ طعاماً أطيبَ من ذلك، ولبست ثياباً ألين من ثوبك؟ قال: سأخصمك إلى نفسك، فذكر أمر رسول الله ﷺ وما كان يلقى من شدة العيش، فلم يزل يُذكرها ما كان فيه رسول الله ﷺ وكانت معه حتى أبكاها، ثم قال: "إنه كان لي صاحبان سَلكا طريقاً، فإن سلكتُ الشديد، لعلي أن أُدركَ معهما عَيشهما الرخيَّ".[2]

- **رحمته:** تميز عمر رضي الله عنه -على شدته- بقلب رحيم، ودمعة سخية، وحنان على رعيته. عن زيد بن أسلم عن أبيه قال: خرجتُ مع عمر بن الخطاب إلى السوق، فَلَحِقَتْ عمرَ امرأةٌ شابَّة، فقالت: يا أمير المؤمنين، هلكَ زوجي وترَكَ صِبيَةً صغاراً، والله ما يُنْضِجُون كُرَاعاً، ولا لهم زرعٌ ولا ضَرع، وخشيتُ أن تأكلهم الضَّبُع، وأنا بنتُ خُفَافِ بن إيماءَ الغفاريّ، وقد شهد أبي الحُدَيْبِيَةَ مع النبي ﷺ، فوقَفَ معها عمر ولم يَمضِ، ثم قال: مرحباً بنسب قريب، ثم انصرف إلى بعيرٍ ظَهِيرٍ (قويُّ الظَّهر) كان مربوطاً في الدار، فحمَل عليه غرارتين ملأهما

---

[1] ابن سعد: الطبقات، ٢٠٩/٣.

[2] ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٧٢/٢٤.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

طعاماً، وحمل بينهما نفقةً وثياباً ثم ناولها بخطامه، ثم قال: اقتاديه فلن يَفنى حتى يأتيكم الله بخير، فقال رجل: يا أمير المؤمنين، أكثرتَ لها! فقال عمر: ثَكِلَتْك أمُّك، واللهِ إني لأرى أبا هذه وأخاها قد حاصَرا حِصناً زماناً فافتَتحاه، ثم أصبحنا نَستفيءُ سُهْمانَهُما فيه.[1]

ولا بدَّ –هنا– من التوقف عند رواية وأد عمر بن الخطاب لإحدى بناته في الجاهلية، وهي رواية باطلةٌ تناقلها بعض المؤرخين دون تمحيص، وتدحضها رواية النعمان بن بشير عن عمر بن الخطاب يقول: "جاء قيس بن عاصم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إني وأدتُ ثماني بناتٍ لي في الجاهلية. فقال ﷺ: «أعتقْ عن كل واحدةٍ منها رقبةً». فقال قيس: إني صاحب إبل. فقال ﷺ: «أَهْدِ إن شئتَ عن كل واحدةٍ منهنَّ بَدَنَةً».[2] فكيف يشير عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى كفارة من وقع منه الوأد في الجاهلية، ولا يذكر ذلك عن نفسه؟ مما يدل على عدم وقوع الوأد المنسوب إليه رضي الله عنه.

ثم إن ميلاد أمنا حفصة كان قبل البعثة بخمس سنين، فهي أكبر بنات عمر، ولم يئدها، فلماذا يئدُ من هي أصغر منها؟ ولمَ انقطعت أخبار من وُئدت فلم يذكرها أحدٌ من أقاربها؟.[3]

- تواضعه: كان عمر مع شدته في دين اللَّه، وعلى أعداء اللَّه، وشجاعته وهيبة الناس له، متواضعاً، وقَّافاً عند حدود اللَّه، يقول: "أحبُّ الناس إليَّ من أهدى إليَّ عُيوبي".[4]

عن الحسن البصري قال: خرج عمر رضي الله عنه في يوم حارّ واضعاً رداءه على رأسه، فمرَّ به غلامٌ على حمار، فقال: يا غلام، احملني معك، فوثب الغلام عن الحمار، وقال: اركب يا أمير المؤمنين، قال: لا، اركبْ وأركبُ أنا خلفَك، تريد تحملني على المكان الوطئ،

---

[1] البخاري: صحيح البخاري برقم (٤١٦٠). والشوكاني: نيل الأوطار ٨/ ٢٣٦.

[2] الطبراني: المعجم الكبير ٣٣٧/١٨ والهيثمي: مجمع الزوائد ٢٨٣/٧، وقال: رجال البزار رجال الصحيح غير حسين الأيلي وهو ثقة.

[3] عباس محمود العقاد: عبقرية عمر، ص٢٢١- ٢٢٢. وقد شكك العقاد في صحتها.

[4] ابن الجوزي: مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، ص١٥٤.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وتركب أنت على الموضع الخشن، فركبَ خلف الغلام، فدخل المدينة، وهو خلفَه والناس ينظرون إليه.

وعن عروة بن الزبير رضي الله عنهما قال: رأيتُ عمر بن الخطاب رضي الله عنه على عاتقه قربة ماء فقلت: يا أمير المؤمنين، لا ينبغي لك هذا، فقال: لما أتاني الوفود سامعين مطيعين، دخلت نفسي نخوةٌ، فأردت أن أكسرها.[1]

ولما قدم الشام عرضت له مخاضةٌ، فنزل عن بعيره، ونزع خُفَّيه، وأمسكهما بيده، وخاض الماء ومعه بعيره، فقال له أبو عبيدة: قد صنعتَ اليوم صُنعاً عظيماً عند أهل الأرض، صنعت كذا وكذا، فصكَّ عمر في صدره، وقال: "أوَّه، لو غيرُك يقولها يا أبا عبيدة، إنكم كنتم أذلَّ الناس، وأحقرَ الناس، وأقلَّ الناس، فأعزكم الله بالإسلام، فمهما تطلبوا العزة بغيره يُذلُّكم الله.[2]

- شجاعته ورباطة جأشه: وهي السمة التي لازمته طيلة حياته، وتبدَّت في طريقة إشهار إسلامه، ذلك أن قريشاً لم تعلم بإسلامه، فقال: أي أهل مكة أفشى للحديث؟ فقالوا: جميل بن معمر الجمحي، فأتاه فقال: يا جميل إني قد أسلمتُ. فقال: فوالله ما ردَّ عليه كلمة، حتى قام عامداً إلى المسجد، فنادى أندية قريش فقال: يا معشر قريش إن ابن الخطاب قد صبأ.

فقال عمر: كذبَ، ولكني أسلمتُ وآمنت بالله وصدَّقتُ رسوله.

فثاوروه فقاتلهم حتى ركدت الشمس على رءوسهم، وفتر عمر، وجلس فقال: افعلوا ما بدا لكم، فو الله لو كنا ثلاثمائة رجل لقد تركتموها لنا أو تركناها لكم.[3]

---

[1] القشيري: الرسالة القشيرية ٢٧٩/١.

[2] ابن كثير البداية والنهاية ٦٠/٧. وابن الجوزي: مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، ص١٥٠.

[3] ابن حبان: الصحيح كِتَابُ إِخْبَارِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ مَنَاقِبِ الصَّحابة، وصف إسلام عُمَرَ رِضي الله عنه، برقم (٧٠٠٥).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

كما تبدَّت في المعارك التي شهدها مع النبي صلى ﷺ، ولم يتخلَّف عن أي منها؛ كبدر، وأُحد، والخندق، والحديبية، وحُنين.. ففي يوم أُحد اختلف مع أخيه زيد حول من سيلبس الدرعَ رغبة في الشَّهادة في سبيل الله تعالى، فقال لأخيه: "خُذ درعي هذه يا أخي"، فقال له: "إنِّي أُريد من الشَّهادة مثلَ الذي تريد، فتركاها جميعاً"، وفي فتح مكة عندما كان على رأس الكتيبة الخضراء.[1]

- ثَباته على الحق، ولو على نفسه وأهلِ بيته، ومهما كان الثمن، فلم يكن يداهِن ولا يجامِلُ أحداً، كائناً مَن كان؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «إن اللهَ جعَل الحقَّ على لسانِ عُمرَ وقلبِه».[2]

وقال فيه أيضاً: «مَثَلُكَ يَا عُمَرُ فِي الملائِكَةِ، كَمَثَلِ جِبْرِيلَ؛ يَنْزِلُ بِالْبَأْسِ وَالشِّدَّةِ وَالنِّقْمَةِ عَلَى أَعْدَائِهِ، وَمَثَلُكَ فِي الأَنْبِيَاءِ كَمَثَلِ نُوحٍ إِذْ قَالَ: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً﴾ [نوح: ٢٦].[3]

يروي طارق بن شهاب أن حذيفة بن اليمان خطبهم فقال: والله ما أعرف رجلاً لا تأخذه في الله لومة لائم غير هذا الرجل: عمر بن الخطاب فكيف أنتم لو قد فارقكم؟.[4]

- عدله: إذا ذُكِر عمر ذُكر العدل، وإذا ذُكر العدل ذُكر عمر، الذي كان يأخذ من بيت مال المسلمين وقت الحاجة، فإذا كان عنده مالٌ من غنيمة أو غيرها أنفق منه وأمسك عن الأخذ، وإذا نفذ ما عنده أخذ من بيت مال المسلمين قائلاً: "إِنِّي أَنْزَلْتُ نَفْسِي مِنْ مَالِ اللَّهِ مَنْزِلَةَ مَالِ الْيَتِيمِ، إِنِ اسْتَغْنَيْتُ اسْتَعْفَفْتُ، وَإِنِ افْتَقَرْتُ أَكَلْتُ بِالْمَعْرُوفِ".[5]

---

[1] أبو الفرج نور الدين الحلبي: السيرة الحلبية، ٧١/٢.

[2] الترمذي: السنن ٥ /٦١٧.

[3] السيوطي: جمع الجوامع، الجامع الكبير في الحديث والجامع الصغير وزوائده ٥٦/١.

[4] ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق ٣٣٢/٤٤.

[5] ابن شبة: تاريخ المدينة ٦٩٤/٢ و ٦٩٨، وابن سعد: الطبقات ٢٧٦/٣- ٢٧٦.

www.alukah.net

وكان عمر يخشى من استغلال ذويه لمنصبه، فتهلكهم الدنيا، لذا كان يحرص على البدء بهم عند كل أمرٍ أو نهي، فعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قَالَ: كَانَ عمر إِذَا نَهَى النَّاسَ عَنْ شَيْءٍ دَخَلَ إِلَى أَهْلِهِ – أَوْ قَالَ: جَمَعَ – فَقَالَ: "إِنِّي نَهَيْتُ عَنْ كَذَا وَكَذَا، وَالنَّاسُ إِنَّمَا يَنْظُرُونَ إِلَيْكُمْ نَظَرَ الطَّيْرِ إِلَى اللَّحْمِ، فَإِنْ وَقَعْتُمْ وَقَعُوا، وَإِنْ هِبْتُمْ هَابُوا، وَإِنِّي وَاللَّهِ لَا أُوتَى بِرَجُلٍ مِنْكُمْ وَقَعَ فِي شَيْءٍ مِمَّا نَهَيْتُ عَنْهُ النَّاسَ، إِلَّا أَضْعَفْتُ لَهُ الْعُقُوبَةَ لِمَكَانِهِ مِنِّي، فَمَنْ شَاءَ فَلْيَتَقَدَّمْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَتَأَخَّرْ".[1]

وعندما زاره مبعوثُ كسرى ورآه نائماً تحت شجرة، وقد وضع دُرَّته بجانبه، وعليه ثوبه المرقع، قال كلمته المشهورة: "حكمتَ، فعدلتَ، فأَمِنْتَ، فنِمتَ".[2]

[1] معمر بن راشد: الجامع برقم (٢٠٧١٣) بإسناد صحيح. ومحمود شاكر: التاريخ الإسلامي ٤٠٤/٣.

[2] المحب الطبري: الرياض النضرة في مناقب العشرة ١٨٤/١. والزمخشري: ربيع الأبرار ٣٠٩/١. وقد ضعَّفها البعض. وصاغها أمير الشعراء فقال: و راع صاحب كسرى أن رأى عمراً **** بين الرعية عطلاً وهو راعيها

وعهده بملوك الفرس أن لها **** سورا من الجند و الأحراس يحميها

وقال قولة حق أصبحت مثلاً **** وأصبح الجيل بعد الجيل يرويها

أمنت لما أقمت العدل بينهم **** فنمت نوم قرير العين هانيها

شبكة الألوكة - قسم الكتب

المطلب الثالث: أبرز خصائصه

ولعل أبرز خصائص الفاروق:

١. أحب الرجال إلى رسول الله ﷺ بعد أبي بكر رضي الله عنه: ولا غرابةَ في ذلك، فهما وزيراه، ورفيقاه في الجنة. يقول عمرو بن العاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: بعثني النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى جَيْشِ ذَاتِ السُّلاَسِلِ، فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: «عَائِشَةُ»، فَقُلْتُ: مِنَ الرِّجَالِ؟، فَقَالَ: (أَبُوهَا)، قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ عُمَرُ بْنُ الخَطَّاب»، فَعَدَّ رِجَالاً.[١]

٢. أول من آمن بالله ورسوله جهراً، والوحيد الذي هاجر من مكة إلى المدينة المنورة جهراً.

٣. شهادة النبي ﷺ له بالشهادة والجنة؛ فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: صعد النبي ﷺ أُحُداً ومعه أبو بكر وعمر وعثمان، فرجف بهم، فضربه برجله، وقال: «اثْبُتْ أُحُدُ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ، وَصِدِّيقٌ، وَشَهِيدَانِ».[٢] ومعلوم من هما النبي والصديق، أما الشهيدان فهما عمر وعثمان، اللذان قُتلا بيد أعداء الأمة ومنافقيها.

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: كنت مع النبي ﷺ في حائط (بستان) من حيطان المدينة، فجاء رجلٌ فاستفتح، فقال النبي ﷺ: «افْتَحْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ»، ففتحُت له، فإذا أبو بكر فبشرته بما قال النبي ﷺ، فحمِدَ الله، ثم جاء رجلٌ فاستفتح، فقال ﷺ: «افْتَحْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ»، ففتحت له فإذا هو عمر، فأخبرته بما قال النبي ﷺ فحمدَ الله.[٣]

٤. شهادة النبي ﷺ له بعلو المنزلة: بلغ المدح النَّبوي لعمر منزلة رفيعة اختُصَّ بها دون غيره من الصَّحابة، فقال عليه الصلاة والسلام: «لَوْ كَانَ بَعْدِي نَبِيٌّ لَكَانَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ».[٤]

---

[١] البخاري: الصحيح برقم (٣٦٦٢)، ومسلم: الصحيح برقم (٢٣٨٤).

[٢] البخاري: الصحيح كتاب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم باب قوله ﷺ: «لو كنت متخذاً خليلاً» برقم (٣٥٠٥).

[٣] البخاري: الصحيح، باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي رضي الله عنه' برقم (٣٥٢٣).

[٤] الترمذي: السنن. شاكر ٦١٩/٥. يقول المناوي في فيض القدير ٣٢٥/٥: وقد خُصَّ عمرُ بالذكر؛ لكثرة ما وقع له في زمن المصطفى صلى الله عليه وسلم من الواقعات التي نزل القرآن بها، ووقع له بعده عدَّة إصابات.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٥. موافقاته القرآنَ الكريم: كان عمر سديد الرأي، ألمعياً، وكثيراً ما يوافق رأيُه القرآنَ الكريم، مما يدل على صدق رأيه، وحسن اجتهاده في الوصول إلى الحق، وعلى قراءته للواقع واستشرافه للمستقبل. قال عمر: "وافقتُ ربي في ثلاثٍ؛ قلت: يا رسول الله لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلىً، فنزلت: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾، وقلت: يا رسول الله إن نساءَك يدخل عليهن البرُّ والفاجر فلو أمرتهن أن يحتجبنَ. فنزلت آية الحجاب، واجتمع على رسول الله صلى الله عليه وسلم نساؤه في الغيرة، فقلت لهن: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجاً خَيْراً مِنْكُنَّ﴾، فنزلت كذلك". كما وافقه في قضايا أخرى مثل: موافقته في الاستئذان، وموافقته في ترك الصلاة على المنافقين، وفي قتل أسرى بدرٍ حتى لا يعودوا لمناوأة المسلمين.[١]

٦. علمه وفقهه: امتاز عمر ﷺ بسعة فقهه وإلمامه بالقضايا الشرعية وتفاصيلها ومآلاتها؛ وكان أحوذياً ذا نظر ثاقب، وفقه متجدد، ونظرة صائبة للأمور، وقد وصفه رسولُ الله ﷺ بالعلم فقال: «بينا أنا نائمٌ، أُتيتُ بقدحِ لبنٍ، فشربتُ حتى إنِّي لأرى الريَّ يخرجُ في أظفاري، ثمَّ أَعطيتُ فَضليَ عمرَ بنَ الخطاب»، قالوا: فما أوَّلتَه يا رسول الله؟ قال: «العِلمُ».[٢]

كما أنه تولَّى القضاءَ على عهد أبي بكر الصدِّيق، وأثبت جدارته في مهمته، وكانت لو مواقف مشهودة في حمل الناس على الحق وقبوله، «قد كان يكونُ في الأمم قبلكم مُحدَّثون؛ فإن يَكُنْ في أمتي منهم أحدٌ، فإن عمرَ بن الخطاب منهم».[٣] ومن تلك المواقف ما جرى يوم السقيفة، لَمَّا قُبض رسولُ الله ﷺ دون تحديد خليفته، فقال الحباب بن المنذر الأنصاري ﷺ: منا أمير ومنكم أمير، فأتاهم عمر فقال: يا معشر الأنصار، ألستم تعلمون أن رسولَ الله قد أمرَ أبا بكرٍ أن يؤمَّ الناس؟ فأيُّكم تطيب نفسُه أن يتقدم أبا بكر؟.

---

[١] صحيح البخاري، برقم (٣٩٣). والصلابي: مرجع سابق، ص٤٢-٤٣.

[٢] البخاري: الصحيح، كتاب العلم، باب فضل العلم، برقم (٨).

[٣] مسلم: صحيح مسلم ١٨٦٤/٤.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وفي رواية أخرى أنه قال: ".. وإن الله قد جمع أمركم على خيركم؛ صاحبِ رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثاني اثنين إذ هما في الغار، فقوموا فبايعوه، فبايع الناسُ أبا بكر بيعة العامة، بعد بيعة السقيفة". فقالت الأنصار: نعوذ بالله أن نتقدم أبا بكر!.[1]

وحرصاً منه على الاستفادة من علم كبار الصَّحابة، وصحبيهم لرسول الله ﷺ، فقد منعهم عمر من مغادرة المدينة إلا لضرورة، وكان يستشيرهم فيما يستجدُّ من أمورٍ، ويستفتيهم في المشكلات الطارئة، ومن أبرز هؤلاء عثمان وعلي وعبد الرحمن بن عوفٍ.[2]

من جملة اجتهاداته الفقهية جعل جلد حدِّ الخمر ثمانين جلدةً، بعد استشارة الصحابة الكرام، وعلى رأسهم علي بن أبي طالب، وتفيه نصر بن حجاج من المدينة المنورة إلى البصرة، لافتتنان بعض النساء بجماله،[3] ونهيه عن التزوُّج من كتابيةٍ، لا تحريماً منه لأمر أحله الله تعالى، فالإجماع قائمٌ بين العلماء على جواز نكاح الكتابية المحصَنة، غير أن عمر أراد قطع دابر الفتنة عن نساء وشباب المسلمين، فحين أراد حذيفة رضي الله عنه أن يتزوج بيهودية كتب إليه عمر أن خلِ سبيلها، فكتب إليه أحرامٌ يا أمير المؤمنين؟ فكتب إليه عمر: "أعزمُ عليك ألا تضعَ كتابي هذا حتى تخليَ سبيلها؛ فإني أخافُ أن يقتديَ بك المسلمونَ فيختاروا نساءَ أهل الذمَّة لجمالهنَّ، وكفى بذلك فتنةً لنساءِ المسلمينَ".[4]

٧. حِصْنٌ للمسلمين من الفتن: عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: كنا جلوساً عند عمر رضي الله عنه فقال: أيُّكم يحفظ قولَ رسول الله صلى الله عليه وسلم في الفتنة؟ قلت: أنا؛ كما قاله. قال: إنك عليه –أو عليها– لجريءٌ، قلتُ: فتنةُ الرجل في أهله وماله وولده وجاره تكفرها الصلاة والصوم والصَّدقة والأمر والنهي، قال: ليس هذا أريد، ولكن الفتنة

---

[1] ابن كثير: السيرة النبوية ٤٩٠/٤. وابن هشام: السيرة النبوية ٦٦٠/٢.

[2] محمود شاكر: التاريخ الإسلامي، ص٢٠٥.

[3] ابن القيم: أعلام الموقعين ٢١١/١. وسيد سابق: فقه السنة ١٨٣/٢.

[4] الجصاص: أحكام القرآن ٣٢٤/٣. وقد رفض حذيفة تطليقها، ثم طلَّقها لاحقاً، حتى لا يظن الناس أنه أتى ما لا يحلُّ له.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

التي تموج كما يموج البحرُ، قال: ليس عليك منها بأسٌ يا أميرَ المؤمنين، إن بينك وبينها باباً مغلقاً، قال: أيُكسَرُ أم يُفتحُ؟ قال: يُكسرُ، قال: إذاً لا يغلقُ أبداً، قلنا: أكان عمرُ يعلم الباب؟ قال: نعم، قال: شقيق- الراوي عن حذيفة- فهبنا أن نسألَ حذيفة، فأمَرْنا مسروقاً فسأله فقال: البابُ عمر.[1]

كما أنه طرد رجلاً وأمر بتغريبه لأنه يكثر من إثارة المتشابه من القرآن.[2]

٨. أول قاضٍ في الإسلام: عيَّن الخليفة أبو بكر الصديق عمراً كأول قاضٍ في الإسلام، لما لمس عنده من التقوى والفقه، ولم يأته مدة ولايته القضاء متخاصمان؛ فرسوخ الإيمان، وعمق رابطة الأخوة في الإسلام، منعت الناس من التخاصم، فإذا اختلفوا، استفتوا، ونزلوا عند إفتاء من يفتيهم من الصَّحابة.

٩. أول من سُمي بأمير المؤمنين: بعد وفاة النبي ﷺ خلفه أبو بكر، ولُقبَ بخليفة رسول الله، فلما توفي أبو بكر وخلفه عمر بن الخطاب، قيل له "خليفةَ خليفةِ رسول الله". فاعترض عمر على ذلك قائلاً: "فمن جاء بعد عمر قيل له خليفة خليفة خليفة رسول الله فيطول هذا ولكن أجمعوا على اسم تدعون به الخليفة يدعى به من بعده الخلفاء" فقال: "نحن المؤمنون وعمر أميرنا". فدُعي عمر أمير المؤمنين.[3]

١٠. أول من درأ الحدَّ بالضَّرورة؛ عملاً بقول النبي صلى الله عليه وسلم: «ادْرَؤُوا الحُدودَ عنِ المسلِمينَ ما اسْتطَعْتم؛ فإنْ وَجدتُمْ لمسلمٍ مخْرَجاً فخلُّوا سَبيلَهُ»،[4] وذلك من خلال اجتهاداته التي اتصفت بالعمق في الاستدلال، والتعامل البعيد عن مجرد الاعتماد على ظاهر اللفظ؛

---

[1] البخاري: صحيح البخاري في خمسة مواضع؛ في الصلاة برقم (٥٢٥)، وفي الزكاة برقم (١٤٣٥)، وفي الصوم برقم (١٨٩٥)، وفي المناقب برقم (٣٥٨٦)، وفي الفتن برقم (٧٠٩٦) ومسلم برقم (١٤٤)، والترمذي برقم (٢٢٥٨).

[2] هو صبيغ بن عسل، وقد ضربه عمر بشدة ثم نفاه. انظر: الآجري: الشريعة ٤٨٣/١ برقم (١٥٣).

[3] إبن عساكر: تاريخ دمشق ٩/٤٤. وقال الذهبي في "تاريخ الإسلام": ١٣٨/٢ "أول من حيا عمر بأمير المؤمنين المغيرة بن شعبة، في حين يرى البخاري في "الأدب المفرد" حديث رقم (١٠٢٣) أن لبيد بن ربيعة، وعدي بن حاتم هما أول من أطلق هذا اللقب على عمر.

[4] الحاكم: المستدرك ٤٢٦/٤ برقم (٨١٦٣) وصححه.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

بعد أن استجدت في عصره قضايا راعى فيها –ومن معه من الصَّحابة– اختلاف الأوقات وتنوُّع الأحوال، وهو ما أدى بهم إلى تغليب اجتهاد على اجتهاد، كمثل إيقاف تطبيقه لحد السَّرقة في عام الرمادة، وعدم إقامة الحد على غِلمَان حاطب بن أبي بلتعة حين سرقوا بُلْغَة لرجل من مزينة، فأمر عمر أول الأمر بقطع أيديهم، ثم تأمل في حالهم، وأمر برفع الحكم عنهم، وعلل ذلك فقال: "لولا أنكم تجيعونهم حتى إن أحدهم أتى ما حرَّم الله لقطعت أيديهم، ولكن –والله– لئن تركتَهم لأغرِّمنَّك فيهم غرامة توجعك"، وهذه الحادثة لم يَرِد ما يدل على أنها كانت في عام الرمادة، بالإضافة إلى عدم رجمه لبعض الزناة المحصنين، فقد قدم السَّتر والتوبة على عصاة المؤمنين فيما بينهم وبين الله تعالى، على معاقبتهم، فعندما خطب شرحبيل بن السمط الكندي فقال: "أيها الناس، إنكم في أرضٍ الشرابُ فيها فاشٍ، والنساء فيها كثير، فمن أصاب منكم حداً فليأتنا فلنُقم عليه الحد، فإنه طهوره"، وبلغ ذلك عمر فكتب إليه: "لا أحِلُّ لك أن تأمرَ الناس أن يهتِكوا سترَ الذي سترهم".[1]

ومما يروى في السَّتر على حالات الجنوح، أنَّ امرأة من همدان في اليمن ارتكبت الفاحشة فقدم عمُّها إلى المدينة، وذكر ذلك لعمر بن الخطاب، فقال له عمر: "لو أفشيت عليها لعاقبتُك، إذا أتاكَ رجلٌ صالح ترضاهُ فزوِّجها إيَّاه". وقال عمر لرجل آخر في حالة مماثلة: "أنكَحْها نِكاحَ العَفيفة المسلمة".[2]

ولا بأس بإيراد بعض القصص التي لا تصحُّ حول عمر ﷺ، لو عرضت عليه في حياته لأنكرها، منها أنه رؤيَ في المنام فقيل له: ما صنع الله بك فقال: جاء الملكين ليسألاني فمسكتهما وقلت لهما من ربكما.

---

[1] إذا فضحت جريمة الزنا، ورفع الناس الأمر إلى القضاء، فإن الدولة كانت تقيم الحدود دون هوادة.

[2] أكرم ضياء العمري: بحث حول الخلافة الراشدة، نقلاً عن: عبد الرزاق: المصنف ١٩٧/٥- ١٩٨، وانظر ابن أبي شيبة: المصنف ١٥/١٠، وعبد الرزاق: المصنف ٣٧٠/٧ - ٣٧١. والشافعي: الأم ٤٣٣/٥. والمسلحة هم مقاتلون يراقبون العدو في الثغر الذي يسكنونه لئلا يباغتهم، ويتكفلون بصده عمن وراءهم.

www.alukah.net

وأنه كان إذا تذكَّر أمرين بكى لأحدهما وضحك للآخر، إذا تذكَّر أنه دفن ابنته وهي على قيد الحياة بكى، وإذا تذكَّر أنه كان يعبد صنماً من التمر، فإذا جاع أكله، ضحكَ.

ومنها ما ذكر من أن أهل مصر كانت لهم عادة قديمة وهي ألا يجري النيل في السنة حتى يلقوا فيه جارية بكراً عليها من الحلي والثياب أفضل ما يكون، وقد كتب والي مصر عمرو بن العاص رضي الله عنه إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الأمر فرد عليه أمير المؤمنين إني قد بعثت إليك بورقة مع كتابي هذا فألقها في النيل؛ وفي الورقة كتاب عمر رضي الله عنه يخاطب به النيل ويقول فيه: "من عمر بن الخطاب إلى نيل مصر أما بعد: فإن كنت تجري من قبلك فلا تجري، وإن كنت تجري من قبل الله فنسأل الله أن يجريك، فجرى وزاد ستة عشر ذراعا دفعة واحده.

وأنَّه أعطى حلاقاً أحدث بحضرته فتنحنح أربعين درهماً...[1]

[1] لا داعي لذكر المصادر التي أوردت هذه الروايات الباطلة، والله المستعان.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

المبحث الثاني

خلافة الفاروق

المطلب الأول: بيعته

يتساءل الكثيرون عن السبب في اختيار أبي بكر عمرَ بن الخطاب رضي الله عنهما خليفةً له، دون غيره من الصَّحابة الكرام.

لم يكن اختيار أبي بكر لعمرَ بن الخطاب رضي الله عنهما ليكون خليفة المسلمين لمأرب شخصي، أو عن قرابة أو صداقة.. بل لتوفُّر عدة خصائص ومؤهلاتٍ تفرَّد بها الفاروق عمر، ذكرناها آنفاً في سياق الحديث عن خصائصه وأخلاقه، وتحتاجها الأمة الإسلامية التي خرجت لتوها من مِحن واختبارات عسيرة، وباتت تشقُّ طريقها نحو الصدارة على المسرح الدولي، ناهيك عن خبرته السياسية الطويلة، التي جاءت ثمرةً لصحبته للنَّبي ﷺ وخليفته أبي بكر، وعمل معهما كمستشار ووَزير قريب ومؤثِّر من مصدر صنع القرار، كما أنه باشَر أعمالاً قياديَّة؛ فقد بعثه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أميراً على سريَّة إلى هوازن سنة ٧ من الهجرة.

باختصار؛ كان هدفُ الصديق من ترشيح عمر خدمة الأمَّة الإسلامية وتقديم مصلحتها وبناء دولتها، وبهذا صار عمر بن الخطاب إماماً للمسلمين بعهد أبي بكر، وبرضا الجماعة، مما يثبت صحَّة الطريقة التي اختير بها خليفةً.[1]

اعتبر عمر الخلافة ابتلاءً له وللمسلمين فقال في خطبته بعد البيعة: "أما بعد، فقد ابتليتُ بكم، وابتليتُم بي، وخُلِّفْتُ فيكم بعد صاحبي، فمن كان بحضرتنا باشرناه بأنفسنا، ومهما غاب عنّا، ولينا أهل القوة والأمانة فمن يحسن نرده حسناً ومن يسيء نعاقبه ويغفر الله لنا ولكم.[2]

---

[1] أنظر: الجويني: غياث الأمم، ص٦٥. والقاضي عبد الجبار: المغني ٦/٢.

[2] ابن سعد: الطبقات ٢٠٨/٣.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المطلب الثاني: سياسة الرعية

تتلخص سياسة الفاروق لرعيَته من خلال مقولته الشهيرة بعد دفن أبي بكر: " "إنَّما مَثَل العرب مثلُ جمل آنفٍ اتَّبعَ قائده فلينظرْ حيث يقوده، وأمَّا أنا فوربِّ الكعبة لأحملنَّكم على الطريق". وقوله في أول خطبة له بعد مبايعته بالخلافة "ثم إني قد وَلِيتُ أمورَكم أيها الناس، فاعلموا أن تلك الشدة قد أضعفت، ولكنها إنما تكون على أهل الظلم والتعدي على المسلمين، فأما أهل السلامة والدِّين والقصد، فأنا ألينُ لهم من بعضِهم لبعض".[1]

وقد كان عمر مثالاً للحاكم الورِع العادل، شديدَ الحرص على رعيته، شديد المحاسبة لنفسه، والأمثلة كثيرةٌ، منها أنه كان مشغولاً ذات يوم ببعض الأمور العامة، فجاءه رجل فقال: يا أمير المؤمنين، انطلق معي فأعني على فلان، فإنه ظلمني، فرفع عمر الدَّرة، فخفق بها رأس الرجل، وقال: تتركون عمر وهو مقبلٌ عليكم، حتى إذا اشتغل بأمور المسلمين أتيتموه، فانصرف الرجل متذمراً، فقال عمر: علَيَّ بالرجل، فلما أعادوه ألقى عمر بالدرة إليه، وقال: أمسكِ الدَّرة، واخفقني كما خفقتُك.

قال الرجل: لا يا أمير المؤمنين، أَدعُها لله ولك.

فقال عمر: ليس كذلك: إما أن تدعها لله وإرادة ما عنده من الثواب، أو تردها عليَّ، فأعلمْ ذلك.

فقال الرجل: أدعها لله يا أمير المؤمنين، وانصرفَ الرجل، أما عمر فقد مشى حتى دخل بيته ومعه بعض الناس منهم الأحنف بن قيس، فافتتح الصلاة فصلى ركعتين ثم جلس، فقال: يا ابن الخطاب؛ كنتَ وضيعاً فرفعكَ الله، وكنت ضالاً فهداك الله، وكنت ذليلاً فأعزَّك الله، ثم حملكَ على رقاب المسلمين، فجاء رجلٌ يستعديك، فضربتَه، ما تقولُ لربك غداً إذا أتيته؟ فجعل يعاتب نفسه ويبكي..

---

[1] ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٤٢٧/٢.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وعن علي رضي الله عنه قال: رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه على قتب يعدو، فقلت: يا أمير المؤمنين أين تذهب؟.

قال: بعيرٌ ندَّ من إبل الصدقة أطلبه.

فقلت: أذللت الخلفاء بعدك.

فقال: يا أبا الحسن لا تلُمني فو الذي بعث محمداً بالنبوة لو أن عناقاً أُخذت بشاطئ الفرات لأُخذ بها عمر يوم القيامة.

وكان دائم المتابعة والمحاسبة لولاته وعماله، يطلب منهم أن يوافوه في موسم الحج، ويسأل الناس عنهم، ويقول: " أَلَا إِنِّي وَاللَّهِ مَا أَبْعَثُ إِلَيْكُمْ عُمَّالاً لِيَضْرِبُوا أَبْشَارَكُمْ وَلَا لِيَأْخُذُوا أَمْوَالَكُمْ، وَلَكِنْ أَبْعَثُهُمْ إِلَيْكُمْ لِيُعَلِّمُوكُمْ دِينَكُمْ وَسُنَّتَكُمْ، فَمَنْ فُعِلَ بِهِ سِوَى ذَلِكَ فَلْيَرْفَعْهُ إِلَيَّ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأُقِصَّنَّهُ مِنْهُ".[1]

وقصته مع سيدنا سعيد بن عامر وغيرها مشهورة جداً.

أما مساواته بين رعيته فالأمثلة كثيرة، منها أنه قدمَ قومٌ على عامل لعمر، فأعطى العرب وترك الموالي، فكتب إليه عمر: "أما بعد؛ فبحسبِ المرء من الشر أن يحقر أخاه المسلم، ألا سوَّيت بينهم؟!".[2]

باختصار: أعطى عمر ﷺ بسياسته درساً في أخلاقيات السياسة وممارسة الحكم، ليستفيد منه الحكام عبر العصور، مفاده إمكانية اجتماع الحق والقوة، وأنهما ليسا نقيضين.

---

[1] ابن أبي شيبة: المصنّف، كِتَابُ الْجِهَادِ مَا يُوصِي بِهِ الْإِمَامُ الْوُلَاةَ برقم (٣٢٢٩٥). والطبري: تاريخ الرسل والملوك ٢٧٣/٣.

[2] محمد حميد الله: الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ص٥٢٣.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المطلب الثالث: علاقته بآل بيت رسول الله ﷺ

كانت المحبة في الله عنوان العلاقة بين الفاروق عمر وآل البيت جميعاً، وبالأخص مع عليٍ رضي الله عنه، ومن الأدلة على قوة الرابطة بينهما زواجه من أمَّ كلثوم بنت علي بن أبي طالب، وقد ولدت له زيداً ورقية. وهذا الزواج مشهورٌ ومتفقٌ عليه في الكثير من المصادر السُّنية والشيعية، وأَقَرَّ بهذا الزواج كافةُ أهل التاريخ والأنساب، وجميع محدثي الإمامية، وفقهائهم وأئمتهم.[1]

وكان علي أبرز مستشاري الخليفة عمر، وأقربهم إليه، وفيه قال: "عليٌّ أقْضانا".[2] وقال أيضاً: "أعوذُ بالله من مُعضلةٍ ليسَ لها أبو الحَسن".[3]

كما كان يبدأ بعطائه أهل البيت الكرام، الأقرب فالأقرب مِن رسول الله ﷺ، فيفرض للعباس، ثم لعليّ، حتى والى بين خمس قبائل، حتى انتهى إلى بني عديِّ بن كعب (قومه).[4]

والثابت عند أهل السنة أن علياً كان محباً للشيخين رضي الله عنهم أجمعين، معترفاً بفضلهما، وأقواله في هذا الصَّدد كثيرة، منها ما رواه زر بن حبيش، عن أبي جحيفة قال: سمعت علياً يقول: "ألا أخبركم بخير هذه الأمة بعد نبيها؟. أبو بكر، ثم قال: ألا أخبركم بخير هذه الأمة بعد أبي بكر؟. عمر".[5]

---

[1] انظر: ابن سعد: الطبقات ٤٦٣/٨، والإمام أحمد: فضائل الصَّحابة ٧٥٨/٢-٧٦٥ برقم (١٣٤٧)، والحاكم: المستدرك ١٤٢/٣ كتاب معرفة الصَّحابة، والبيهقي: السنن الكبرى ٦٤/٧. ومن مصادر الشيعة المعتبرة التي أثبتت هذا الزواج: كتاب "الأصيلي في أنساب الطالبين"؛ لابن الطِّقطقي الحسني المتوفى سنة ٧٠٩هـ، حيث قال في ص ٥٨: "وأم كلثوم أمها فاطمة الزهراء عليها السلام تزوجها عمر بن الخطاب، فولدت له زيداً، ثم خلف عليها عبد الله بن جعفر". وفي كتاب الكافي (فروع كتاب الطلاق - باب المتوفى عنها زوجها) المجلد١١٥/٦-١١٦: "وروي عن سليمان بن خالد أنه قال: سألت أبا عبد الله الصادق عن امرأة توفي عنها زوجها أين تعتد؟ في بيت زوجها أو حيث شاءت؟. قال: بلى، حيث شاءت، ثم قال: إن علياً لما مات عمر، أتى أمَّ كلثوم فأخذ بيدها؛ فانطلق بها إلى بيته. وقد صححها المجلسي في مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول ١٩٩/٢١. وينظر أيضاً: كتاب إعلام الورى بأعلام الهدى للشيخ الطبرسي ٣٩٧/١، وكتاب الصراط المستقيم لعلي العاملي ١٢٩/٣. ومن جملة ما أقطعه الفاروق لعلي ينبع. أنظر: البيهقي: السنن الكبرى، كتاب إحياء الموات، باب إقطاع الموات ١٤٤/٦.

[2] الذهبي: الخلفاء الراشدون من تاريخ الإسلام ٢٤٩/٢.

[3] الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ١٥/١.

[4] ابن سعد: الطبقات ٣٠١/٣، والبلاذُري: فتوح البلدان ص٤٤٠، وابن أبي شيبة: المصنف ٣٢٥/١١ برقم (٣٣٤٤٣).

[5] الامام أحمد: المسند ١٢٥/١. وابن الجوزي: مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، ص٣٦.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

فهذه شهادة من عليٍّ بخيرية أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ولم يكتفِ بهذا القول، بل حذر كل من يفضله عليهما بأن يجلده حدَّ المفتري، فعن الحكم بن جحل قال: سمعتُ علياً يقول: "لا يفضلني أحدٌ على أبي بكر وعمر إلا جلدتُّه حدَّ المفتري".[١]

وعندما أُتي عمر بسيف كسرى ومنطقته وزبرجده قال: "إن أقواماً أدَّوا هذا لذوو أمانة، فقال علي: "إنك عففتَ فعفَّتِ الرَّعية".[٢]

وحين مات عمر بن الخطاب قال: "ما خلفت أحداً أحب إلي أن ألقى الله بمثل عمله منك، وأيم الله أني كنت لأظنُّ أن يجعلك الله مع صاحبيك، وحسبت أني كنت كثيراً أسمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «ذهبتُ أنا وأبو بكر وعمر، ودخلتُ أنا وأبو بكر وعمر، وخرجتُ أنا وأبو بكر وعمر».[٣] وقوله في نفس المناسبة: "إني لأرجو الله أن ألقى الله تعالى بصحيفة هذا المسجى". والحديث مُثبتٌ حتى في كتب الشيعة أنفسِهم.[٤]

ونقل عنه أيضاً قوله: "لله بلاء فلان –أي عمر– فقد قوَّم الأود، وداوى العمد، خلَّف الفتنة، وأقام السُّنة، ذهب نقيَّ الثوب، قليلَ العيب، أصاب خيرها، وسبق شرها، أدّى إلى الله طاعته واتقاه بحقه".[٥]

وكان علي يكثر من لبس ثوب فُسئل عن ذلك فقال: "إنه كسانيه خليلي وصفيي وصديقي وخاصَّتي عمر بن الخطاب، إنَّ عمرَ ناصَحَ الله، فنصحه اللهُ، ثم بكى".[٦]

---

[١] السيوطي: تاريخ الخلفاء، أبو بكر الصديق ٢٨/١ بلفظ مشابه.

[٢] ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق ٤٠٩/٢٤.

[٣] البخاري: صحيح البخاري، ٢٠٤/٢.

[٤] انظر: الشريف المرتضى: الفصول المختارة، ص٥٨، والحسن بن محمد الديلمي: إرشاد القلوب، ص٣٣٦.

[٥] الشريف الرضي: نهج البلاغة ٥٠٥/٢.

[٦] ابن أبي شيبة: المصنف، كتاب الفضائل، باب ما ذكر في فضل عمر ابن الخطاب رضي الله عنه، باللفظ المذكور ١١٦/١١ برقم (٣٢٥٣٣)، ومن طريقه: الدارقطني: فضائل الصَّحابة ص٣٧- ٤٠.

www.alukah.net

أما أبناؤه الكرام من أهل البيت عليهم السلام، فالأمثلة كثيرة جداً، لا يتسع المقام لذكرها، لكننا نورد بعضاً منها، فقد سُئل علي بن الحسين رضي الله عنهما عن أبي بكر، وعمر، ومنزلتهما من النبي ﷺ فقال: كمنزلتهما اليوم، هما ضَجيعاه".[1]

وعن بسام بن عبد الله الصيرفي، قال: سألتُ أبا جعفر قلت: ما تقول في أبي بكر وعمر؟ فقال: "والله إني لأتولاهما وأستغفرُ لهما، وما أدركنا أحداً من أهل بيتي إلا وهو يتولاهما".[2]

[1] ابن الجوزي: مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، ص٣٦.

[2] الذهبي: تاريخ الإسلام ٣/٤١٠.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

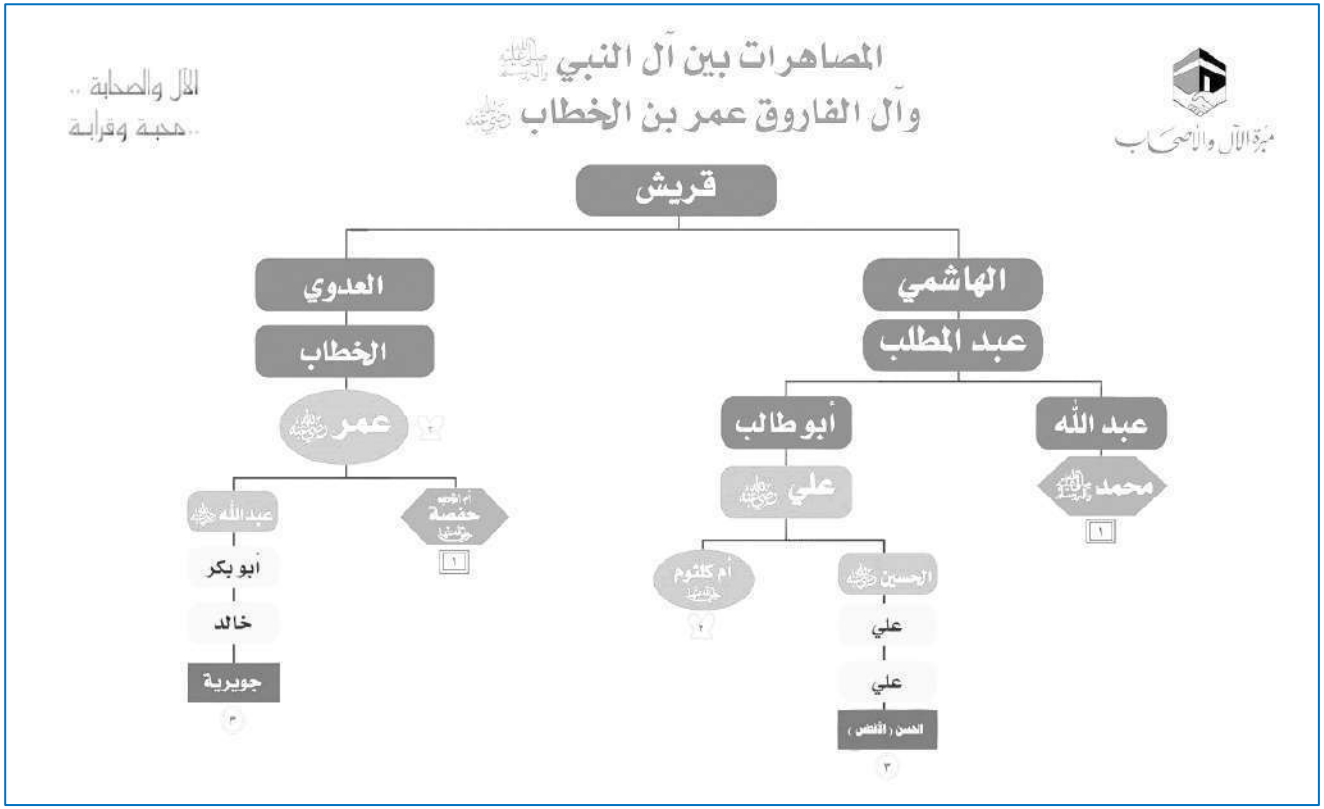
المصاهرات بين آل النبي ﷺ
وآل الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه
الآل والصحابة ..
..محبة وقرابة
مبرة الآل والأصحاب
قريش
الهاشمي
عبد المطلب
عبد الله
محمد ﷺ
١
أبو طالب
علي رضي الله عنه
أم كلثوم رضي الله عنها
٢
الحسين رضي الله عنه
علي
علي
الحسن (الأفطس)
٣
العدوي
الخطاب
عمر رضي الله عنه
٢
أم المؤمنين
حفصة رضي الله عنها
١
عبد الله رضي الله عنه
أبو بكر
خالد
جويرية
٣

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المبحث الثالث

أهم منجزات الخليفة عمر بن الخطاب

المطلب الأول: العبقرية الإدارية عند عمر بن الخطاب

واكبتْ ولايةَ عمر مسائلُ مستجدة؛ كترشيح الخليفة السابق، وتنوُّع الاجتهاد السياسي عند الخلفاء، وقضايا في الأموال والأراضي، ومعاملة الشعوب المفتوحة وغيرها، ولا نبالغُ إن قلنا إن عمر رضي الله عنه أرسى قواعد الدولة الإسلامية الناشئة، تأكيداً لقوله ﷺ «فلمْ أرَ عبقرياً في النَّاس يَفري فَرِيّه».[1]

أولاً: التراتيب الإدارية في عهد عمر

تتلخص أهم التراتيب الإدارية في عهد عمر بن الخطاب فيما يلي:

١) تقسيم الدولة إلى ولايات: اتَّسَعَتْ رقعة الدولةُ الإسلامية في عهْد عمر مع توسُّع الفُتُوحات؛ في العِراق، وفارس، والشام، ومصر، مما استلزم وضعَ نظام إداريّ حقيقيّ لإدارة الدَّولة الواسعة، والإشراف على تنْظيمِ مواردِها، فقسم الدولة إلى ولايات؛ أهمها:

- العراق؛ ويتكون من ولايتين كبيرتين هما الكوفة والبصرة وما يتبعهما.
- بلاد فارس: تضم إقليم الأحواز، وسجستان، وكرمان، ومكران، وطبرستان وخراسان، بالإضافة إلى البحرين.
- بلاد الشام: وتضم دمشق، وحمص، والأردن، وفلسطين.
- مصر: وقسَّمها إلى ثلاث ولايات، مصر العليا، والسفلى، وإقليم الصحراء الواقع غرب مصر ممتداً إلى ليبيا.

٢) بناء مدن جديدة: نتيجة لاستقرار حركة الفتوح نسبياً، وجَّه عمر بن الخطاب ببناء بعض المدن في الأمصار المفتوحة، وأن يجتمع فيها المسلمون لتكون قواعد انطلاق للجيوش الإسلامية، وأن تُختار مواقعها بدقة، فتكون قريبة من الماء والمراعي. وبالفعل؛ بنى عتبة بن

---

[1] البخاري: صحيح البخاري: كتاب التعبير، ومناقب عمر بن الخطاب ١٣٢٩/٣ برقم (٣٤٣٤).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

غزوان مدينة البصرة سنة ١٦هـ، بالقرب من ميناء الأبلة، وبنى سعد بن أبي وقاص مدينة الكوفة سنة ١٦هـ في العراق، لأن المسلمين استوخموا جو المدائن، ولعله خشيَ غلبة عادات أهلها وترفهم على المسلمين، وأول ما شُيد من أبنيتها المسجد الجامع، وشيدت دار الإمارة بجوار المسجد، وسميت قصر سعد، وأقام الجند منازلهم حول فناء المسجد، فاختارت كل قبيلة مكاناً نزلت فيه وجعلت به خيامها. كما بنى عمرو بن العاص مدينة الفسطاط في مصر سنة ٢١هـ، **وأنشأ** لها طرقاً جديدة، وبنى القنوات والفنادق عليها..

٣) الجهاز الحكومي: أبقى عمر على الجهاز الحكومي في البلاد المفتوحة، وبقيت الدواوين كما هي، مع بعض التعديلات، وبقي عمالها الذين لم يغادروا البلاد إبان الفتح العربي الإسلامي لدرايتهم بأعمالهم، وسمح لهم بالكتابة في سجلاتهم ودفاترهم بلغة بلادهم، فكانت دواوين الشام يُكتب فيها بالرومية، ودواوين فارس بالفارسية، ودواوين مصر بالقبطية والرومية معاً، ويرجع السبب في ذلك إلى أن المسلمين الفاتحين لم يكن لهم من النظم الإدارية أو المالية ما يمكنهم من إحداث التغيير في نظم هذه البلاد المفتوحة.

٤) اختيار الولاة ومُتابعتهم: عنيَ عمر باختيار الولاة ممن يَتَوَسَّم فيهم الصلاح والكفاءة الإدارية، وكان مِن أبرز ولاته: سعد بن أبي وقاص، المغيرة بن شعبة، سعيد بن عامر، وهم من أتقى الصحابة وأزهدهم، كما أنه عين أربعة رجالٍ من دهاة العرب وهم: معاوية بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، وزياد بن سمية رضي الله عنهم، وقد عهد عمر رضي الله عنه إلى الثلاثة الأوائل بأكبر مناصب الدولة، وعيَّن عبد الله بن الأرقم رضي الله عنه كاتباً.[١] وكان من مهام الوالي: إمامة الناس في الصلاة، والقضاء بينهم بالحقِّ، وتقْسيم الغنائم والعُشُور، وجَمْع الزكاة والجِزْية والخَرَاج.

[١] لم يولِّ عمر أحداً من آل البيت الكرام، ولا من أكابر الصحابة؛ لأنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يُولِّهم شيئًا؛ خشية أن يُدنِّسهم العمل، من خلال الأخطاءَ التي قد يرتكبونها، والتي لا يستطيع الفاروق السكوت عليها، وسيقع في الحرج في حال إنزال العقوبة المناسب بهم، وذلك لا يُريده، أمَّا السكوت عن تجاوزاتهم وأخطائهم فهو أشدُّ عليه، ثُمَّ إن الحاجة إلى مشورتهم وفقههم كبيرة، لذلك فإنَّه لم يولِّ عليَّ بن أبي طالب أو العباس بن عبد المطلب أو عثمان بن عفان أو عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم أجمعين.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومن الأمثلة الحية على اختيار عمر لولاته ومستشاريه، ما جرى يوم خرَج آذِنُ عمرَ، وبالباب عيينة بن حصن، والأقرع بن حابس، وفلان، وفلان، فقال الآذن: أين بلال؟ أين صهيب؟ أين سلمان؟ أين عمار؟ فتمعَّرَتْ وجوه القوم، فقال سهيل: لِمَ تتمعَّرُ وجوهُكم؟ دُعُوا ودُعِينا، فأسرعوا وأبطأنا، ولئن حسدتموهم على باب عمرَ، فما أعدَّ الله لهم في الجنة أكثر..[1]

كما كان عمر يشترط على من يستعمله ألا يركبَ بَرَذوناً،[2] ولا يلبسَ ثوباً رقيقاً ولا يأكل نقياً، ولا يغلقَ باباً دون حوائج المسلمين، ولا يتَّخذَ حاجباً.[3]

وكان عمر يتابِع ولاته متابَعةً دقيقة، تنمُّ عن حرْصه على مصالِح الرعية، فكان يسأل وُفُود الحجيج عن أحوال أمرائِهم وسيرتهم فيهم، فكان مما يقول لهم: "هل يعود مرْضاكم؟ هل يعول العبيد؟ كيف صنيعه بالضعيف؟ وهل يجلس على بابه؟ فإن قالوا لخصْلة منها: لا، عَزَلَهُ". وكان يسأل القُضاة ويستحلفهم عن مدى تطْبيق الوالي للعدْل، ثم عيَّن محمدُ بن سلمة كأول مُفوَّضٍ رسميّ لمتابعة أعمال الوُلاة، وتلقي شكايات الرعية.[4]

وبالمقابل؛ كان عمر يكْرَه أن يتطاوَل أحدٌ على العمَّال، فعندما شكا إليه أهلُ الكوفة سعدَ بن أبي وقاص، وطَلَبَ وفْدٌ منهم عَزْلَه، فقال: مَن يعذِرني مِن أهل الكوفة؟ إن ولَّيتُهم التَّقيَّ ضعَّفوه، وإن وليتهم القوي فجَّروه.

فأجابه المغِيرة بن شُعبة: يا أمير المؤمنين، إنَّ التَّقيَّ الضعيف له تقْواه ولك ضعْفه، وإنَّ القويَّ الفاجِر لك قوته وعليه فُجُوره.

فقال عمر: "صدقْتَ"، وولاه الكوفة.[5]

---

[1] الجاحظ: البيان والتبيين ٣١٧/١. وفي هذا دلالةٌ على نهج مدرك لنوعية النُّخب المعاونة للخليفة، بعيداً عن الأعراف الجاهلية.

[2] البرذون هو الركوبة الفاخرة.

[3] ابن سعد: الطبقات ٣٠٧/٣.

[4] الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٤٧/٤.

[5] الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٥٤٥/٢.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

٥) المركزية واللامركزية[١] في الإدارة العمرية: يصف معظم المؤرخين أسلوب عمر بن الخطاب بالمركزية في الإدارة، فقد حرص على معرفة أدق التفاصيل عن أقاليم دولة الخلافة، ووجه عمَّاله وقُواده، وتابع أعمالهم.

ولكن؛ وبقراءة متأنية لبعض المصادر التاريخية، سنقف على كثير من الحالات التي يفوِّض فيها عمرُ الرأيَ لعمَّاله وقواده؛ كي يتصرفوا في مواجهة المواقف، وفق ما يقتضيه واقع الحال، خصوصاً أنه من الصعب جدّاً الرجوع إلى الخليفة في كل صغيرة وكبيرة في دولة مترامية الأطراف، وفي زمن لم تتوفر فيه وسائل النقل والمواصلات، ومن ذلك قوله لمعاوية بن أبي سفيان حين بيَّن له أسباب اتِّخاذه مظاهرَ الملك: "لا آمُرك ولا أنهاك"، وردُّه على أبي عبيدة حين استشاره في دخول الدروب خلف العدو بقوله: "أنت الشاهد وأنا الغائب، وأنت بحضرة عدوِّك، وعيونُك يأتونك بالأخبار"، وقوله لمحمد بن سلمة: "إنَّ أكملَ الرجال رأياً مَن إذا لم يكن عنده عهْد من صاحبه، عمل بالحزم، أو قال به"، إلى غير ذلك من النصوص التي تدلُّ على أن عمر بن الخطاب كان ينتهج المنهج اللامركزي في الإدارة.[٢]

---

[١] المركزية: تعني مدى درجة تركيز السلطة في الهيكل التنظيمي للمنشأة ، أي أن حق الاحتفاظ بالسلطات يتركز في يد شخص واحد أو في المستويات الإدارة العليا.
اللامركزية: تعني درجة توزيع السلطة بين الأشخاص أو المستويات الإدارية المختلفة في المنشأة أي تفويض السلطة اتخاذ القرارات إلى الرؤساء والإداريين في المستويات الأقل.

[٢] أنظر: محمد بن سالم بن علي جابر: التراتيب الإدارية في عهد عمر بن الخطاب، شبكة الألوكة الثقافية؛ ثقافة ومعرفة، تاريخ التحرير ٢٠٠٩/٥/١٢م- ١٤٣٠/٥/١٧هـ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثانياً: القضاء والأمن والحسبة

ازداد اختلاط العربُ بسكان البلاد المفتوحة في عهد عمر، وازدادَتِ –بالتالي– القضايا وتنوعت المخالفات، وتعذَّر على الخليفة النظرُ فيها، وضاق وقت الولاة عن النظر فيها كلها، فكان لا بدَّ من فصل القضاء عن الولاية، وتعيين قضاة مستقلين في البلاد المفتوحة، فولَّى عمرُ أبا الدرداء قضاءَ المدينة، وشريحاً الكندي قضاء الكوفة، وعثمانَ بن أبي العاص قضاء مصر، وأبا موسى الأشعري قضاء البصرة، وأجرى عليهم الرواتب..[1]

كتب عمر إلى أحد قُضاته يوصيه: "لا يمنعنَّك قضاءٌ قضيتَه بالأمس هُديتَ فيه إلى رُشدك أن ترجع فيه إلى الحق، فإن الرُّجوع إلى الحق خيرٌ من التَّمادي في الباطل".[2]

ومن نوادر القضاء في عهده أنه ساوم بفرس فركبه ليجربه فعطب، فقال لصاحبه: خذْ فرسك. فأبى الرجل، فاحتكما إلى شريح، فقال شريح: يا أمير المؤمنين خذ ما ابتعتَ أو رُدَّ كما أخذتَ. فقال عمر: وهل القضاءُ إلا هكذا؟ فبعثه إلى الكوفة قاضياً.

ومنها أيضاً أنه تخاصمَ مع الصحابي الجليل أبي بن كعب فيُ ملكية بستان، فحكَّما زيد بن ثابت، فأتياه في منزله، فلما دخلا عليه قال له عمر: جئناك لتقضي بيننا، وفي بيته يؤتى الحكم. فتنحى له زيد عن صدر فراشه، فقال: هاهنا يا أمير المؤمنين. فقال عمر: جُرتَ يا زيدُ في أول قضائك، ولكن أجلسني مع خصمي. فجلسا بين يديه. فادعى أبي وأنكر عمر. فقال زيد لأُبي: أعفِ أمير المؤمنين من اليمين، وما كنتُ لأسألها لأحدٍ غيره. فحلفَ عمر. ثم حلف عمر لا يُدرك زيد القضاء حتى يكون عمر ورجل من عرض المسلمين عنده سواء.[3]

أنشأ عمر أول حبسٍ خاصٍ بالمتهمين، بعد أن كانوا يُعزلون في المسجد، واستحدث نظام "العسس" للتَّجول والمراقبة ليلاً من أجل مساعدة القاضي في إثبات التهم وتنفيذ الأحكام ضد

---

[1] البلاذري: فتوح البلدان، ص١٤٦. والذهبي: سير أعلام النبلاء ٤٠/٤.

[2] ابن قدامة: المغني ٧/١٠.

[3] أكرم ضياء العمري: عصر الخلافة الراشدة: محاولة لنقد الرواية التاريخية وفق مناهج المحدثين ١٦/١٠.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

المذنبين، ويُعتبر هذا النظام بمثابة النواة التي قامت عليها فيما بعد "الشرطة"، وأول عسّاس في الإسلام عبدُ الله بن مسعود.

أما المحتسب، فتتمثل مهمته في مراعاة أحكام الشَّرع، وإقامة الشعائر الدينية، والمحافظة عليها، والنظر في الآداب العامة، وفي البيوع الفاسدة في السوق، والموازين والمكاييل، وقد مارسها عمر بنفسه، ومن أمثلتها أنه كان يطوف في الأسواق حاملًا درته يؤدب بها المخالفين، فعن أنس بن مالك ﷺ قال: "رأيت على عمر إزاراً في أربع عشرة رقعة وما عليه قميصٌ ولا رداء، معتمٌّ معه الدرة يطوف في سوق المدينة".[1] بل إن احتسابه فشمل حتى الحيوانات؛ فقد روى المسيب بن دار قال: "رأيت عمر بن الخطاب يضرب رجلًا ويقول: حملت جملك ما لا يطيق.[2]

ومن صور احتسابه فيما يتعلق بالآداب العامة والأخلاق؛ ما حكاه الماوردي عن إبراهيم النخعي: "أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه نهى الرجال أن يطوفوا مع النساء، فرأى رجلًا يصلي مع النساء فضربه بالدرة، فقال الرجل: والله إن كنت أحسنت لقد ظلمتني، وإن كنت أسأت فما علمتني.

فقال عمر: أما شهدت عزمتي؟.

قال: ما شهدت لك عزمة.

فألقى عمر الدرة إليه وقال: اقتص.

قال: لا أقتص منك اليوم.

قال: فاعفُ عني.

قال: لا أعفو، فافترقا على ذلك ثم لقيه من الغد فتغير لون عمر، فقال له الرجل: يا أمير المؤمنين كأني أرى ما كان مني قد أسرع فيك. قال: أجل، قال: فأشهد الله أني قد عفوت عنك".[3] كما فوَّض الحسبة أحياناً إلى غيره، وأطلق عليه لقب "المحتسب".

---

[1] ابن سعد: الطبقات ٣/٣٣٠.

[2] ابن الجوزي: مناقب أمير المؤمنين عمر، ص٩٧.

[3] الماوردي: الأحكام السلطانية، ص٣٢٦.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثالثاً: تدوين الدواوين

يمثل "الديوان" نواة المؤسسة الإدارية في النظام الإسلامي الذي أسَّسه عمر بن الخطاب، مستفيداً من تجارب الشعوب البلدان المفتوحة..

ذكرنا سابقاً أن الأموال تدفَّقت على المسلمين بسبب الفتوح، وكان لا بد لهذه الأموال من نظام يتحكَّم فيها، وينظم توزيعها، ويحفظ ما زاد منها؛ لذلك بدأَتِ التنظيمات الإسلامية تتبلْور؛ نتيجة الحاجة الماسَّة إليها، واتخذت نظماً تنسجم مع واقع العرب والدين الإسلامي، فاستحدث ديوان بيت المال، وجعل عليه معيقيب بن أبي فاطمة.[1]

وقد اخْتُلف في تحديد نشأة الديوان؛ فحدده الطبري بالعام الخامس عشر للهجرة، بينما ذكره الماوردي في الأحكام السلطانية في العام العشرين. ومن الدواوين التي أوجدها عمر:

- ديوان الإنشاء (الرسائل)، رتَّب عمر البريدَ ليسهل عملية الاتصال بين المدينة المنورة والعمال وقادة الجيش في الولايات، فكتب إلى معاوية بن أبي سفيان في الشام يحثه على استعمال النار في الإشارات لنقل الرسائل والأخبار وإقامة الحرس على مناظرها واتخاذ المواقد لها. وقسّم الطرق إلى محطات بريدية، تشتمل على الحرس والزاد والماء.[2]
- ثم أنشأ ديوان العطاء، وديوان الجند الذي سجَّل فيه أسماء المقاتلين، ووجهتهم، ومقدار أعطياتهم وأرزاقهم.
- ديوان الجباية، يهدف إلى إحصاء خَراج البلاد المفتوحة، وتنظيم الإنفاق في الوجوه التي يجب الإنفاق فيها، وكان أولَ من وضع العُشر في الإسلام، فقد كتب أهل منبج إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "دعنا ندخلُ أرضك تجاراً وتعشرنا"، فشاور عمر أصحابه في ذلك فأشاروا عليه به؛ فكانوا أول من عُشِّر من أهل الحرب.[3]

---

[1] ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٤٧٧/٣.

[2] البلاذري: فتوح البلدان، ١٣٤/١.

[3] أبو يوسف: الخراج، ص١٣٥. وعبد الرزاق: المصنف ٩٧/٦. والعشور هو الحق المأخوذ من التجارة الصادرة من البلاد الإسلامية أو الداخلة إليها.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

رابعاً: ابتكار العمل بالتقويم الهجري

لم يكن للعرب في الجاهلية تقويم محدد يؤرخون به، فكانوا يُؤرِّخون بالأحداث المهمة، كعام بناء الكعبة، وعام الفجار، وعام الفيل، عام سيل العرم.. وبعد أن أشرقت شمس الإسلام، أرَّخ المسلمون بالأعوام الشهيرة كعام الحزن، وعام الوداع، ولما هاجروا إلى المدينة، أطلقوا على كلِّ سنةٍ اسماً خاصّاً بها، فقالوا –مثلاً–: عام الخندق، وعام الرمادة في عهد عمر رضي الله عنه.[1]

إثر توسُّع الدولة الإسلامية، وازدياد المراسلات مع عمال الولايات، وتكرُّر قسمة الأموال، ظهرت الحاجة إلى ضبط ذلك بتحديد تأريخ ثابت يعتمده الجميع. وكان السبب المباشر لهذا "الابداع الإداري" هو ما كتبه والي العراق أبو موسى الأشعري إلى الخليفة عمر: "إنه تأتينا منك كتبٌ ليس لها تأريخ. وقيل: أنه رُفع إلى عمر صكٌّ محله شعبان، فقال: أي شعبان؟ الذي هو آتٍ، أو الذي نحن فيه؟. ثم قال: ضعوا للناس شيئا يعرفونه.

وقيل: إن يعلى بن أمية كتب إليه من اليمن كتاباً مؤرخاً، فاستحسنه عمر.. ومهما كان السبب، فقد جمع عمر مستشاريه من المهاجرين والأنصار وعرض عليهم الأمر، فاقترح بعضهم التأريخ بتقويم الروم، ورأى آخرون أن يؤرخوا بتأريخ الفرس، فكره ذلك عمر، فلا بدَّ للأمة الوليدة من تأريخٍ خاص بها، وعادت الاقتراحات بالتأريخ بمولد النبي ﷺ، وأخرى بمبعثه، وثالثة بوفاته، لكنها لم تنلْ قبولَ عمر، فكان أن اقترح علي بن أبي طالب مهاجره إلى المدينة، فاستحسن عمر ذلك..

وعاد النقاش حول الشهر الذي يستهلون به، هل برجب أم برمضان، فقال عثمان بن عفان: أرخوا من المحرم، فإنه شهرٌ حرام، وُمنصرف الناس من الحج. فاعتُمد المحرم، وقد تم ذلك سنة ١٦هـ على أرجح الأقوال.[2]

---

[1] انظر: ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ٢٢٦/٤- ٢٢٧.

[2] الحاكم: المستدرك،١٤/٣، وصححه ووافقه الذهبي. وأنظر: العسقلاني: فتح الباري ٢٦٨/٧.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المطلب الثاني: التكافل الاجتماعي في عهد عمر بن الخطاب

يعتبر التكافل الاجتماعي من أهم الركائز التي قام عليها المجتمع الإسلاميُّ منذ العهد النبوي، مروراً بالعهد الراشدي، مما ضمن له الاستمرار ضمن إطارٍ من التآخي والمودة والأمن، ولهذا أوجد العديد من أشكال العطاء الديني التي من خلالها يتحقق التكافل الاجتماعي ومن بينها: الزكاة والصدقة والوقف والكفارات والنذور.

وتتلخص سياسة الفاروق في التكافل الاجتماعي وإغاثة الرعيَّة في مقولته: "إني حريصٌ على ألاّ أدع حاجةً إلاّ سددتها ما اتَّسع بعضنا لبعض، فإذا تآسينا في عَيشنا نستوي في الكفاف". ومقولة: "والله الذي لا إله إلَّا هو، ما أحدٌ إلَّا وله في هذا المال حقٌّ... وليؤتينَّ الراعي نصيبه من هذا المال وهو بجبل صنعاء ودمه في وجهه".[1]

وكان من جملة الفوائد التي عادت بها الدواوين، تنظيم حياة الرعيَّة، فكان عمر يعرف منها المحتاجين إلى العون، فيكفله من بيت مال المسلمين، وذلك عبر إجراءات، أهمها:

- كفالة كلِّ فردٍ في الدولة الإسلامية، وتوزيع الأعطيات على المحتاجين كلَّ شهر.[2]
- إمضاء رزقٍ لكل مولودٍ يحيا به، فكانت سابقةً على مستوى التاريخ البشري؛ فأمر باتخاذ دفاتر يكتب فيها اسم كلِّ مولود، وفي أول الأمر لم يكن يفرض للوليد حتى يُفطَم، ثم حدث ما جعله يفرض له من يوم ولادته، فقد قدمت إلى المدينة قافلةٌ من التجار، فنزلوا المصلَّى، فقال عمر لعبد الرحمن بن عوف: هل لك أن نحرسهم الليلة من السرقة؟. فباتا يحرسانهم ويصليان، فسمع عمر بكاء صبي، فتوجَّه نحوه وقال لأمِّه: اتَّقي الله وأحسني إلى صبيِّك. ثم عاد إلى مكانه، فسمع بكاءه، فعاد إلى أمه فقال لها مثل ذلك، فلمَّا كان في آخر الليل سمع بكاءه، فأتى أمه فقال: ويحك! إنِّي لأراك أمَّ سوء، ما لي أرى ابنك لا يقرُّ منذ الليلة؟. قالت: يا عبد الله –وهي لا تعرفه– قد أرقتني منذ الليلة، إنِّي أريغه على الفطام فيأبى.

---

[1] ابن سعد: الطبقات الكبرى ٢١٦/٣.

[2] الماوردي: الأحكام السلطانية، ص١٩٢. وابن سعد: الطبقات الكبرى ٢٢٠/٣. وانظر: حاكم المطيري: تحرير الانسان وتجريد الطغيان: دراسة في اصول الخطاب السياسي القرآني والنبوي، ص٤٣٦.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

قال: ولمَ؟

قالت: لأنَّ عمر لا يفرضُ إلَّا للفطم.

قال: وكم له؟ (يسأل عن عُمْر الصبي).

قالت: كذا وكذا شهراً.

قال: ويحك! لا تعجليه.

فصلَّى الفجر وما يستبين الناس قراءته من غلبة البكاء، فلمَّا سلم قال: يا بؤساً لعمر! كم قتل من أولاد المسلمين. ثم أمر منادياً فنادى: ألا تعجلوا صبيانكم عن الفطام، فإنَّا نفرض لكلِّ مولودٍ في الإسلام.[1]

- شمول عطاء عمر فئة اللُّقطاء؛ فكان رضي الله عنه إذا أتي باللقيط فرض له مائة درهم، ورزقاً يأخذه وليُّه كلَّ شهر، بقدر ما يصلحه، وكان يُوصي بهم خيراً.[2]
- الإكثار من الصدقات وإطعام الفقراء، وهو من جملة التكافل العينيَّ، فقد أمرَ –مرة– بجريب من طعام فُعجن، ثم خُبز، ثم برد بزيت، ودعا ثلاثين رجلاً من الفقراء فأكلوا منه غداءهم حتى شبعوا، ثم فعل بالعشي مثل ذلك، وقال: يكفي الرجل جريبان كلَّ شهر.
- الاهتمام بفئة الرقيق المستضعفة، فقد فرض للعبيد قدراً من الطعام مساوياً لِمَا فرضه للأحرار، فقال رجل: والعبيد؟ قال عمر: نعم، والعبيد. ثم إنَّه صعد المنبر فحمد الله ثم قال: إنَّا أجرينا عليكم أعطياتكم وأرزاقكم في كلِّ شهر. وفي يديه المدي والقسط فحركهما، ثم قال: فمن انتقصهم فعل الله به كذا وكذا، ودعا عليه.
- تعهد سكان المناطق النائية، فوصل برنامجه التكافلي أهل العوالي وعيالهم، ففرض لهم، حتى أنه كان يحمل بنفسه ديوان قبيلة خزاعة، فيجتمع الناس عليه، فيعطيهم، ثم ينزل عسفان فيفعل مثل ذلك حتى تُوفِّي.[3]

---

[1] البلاذري: فتوح البلدان، ص٦٣٥.

[2] ابن سعد: الطبقات الكبرى ٢١٧/٣.

[3] ابن سعد: الطبقات ٢٩٨/٣.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

- الاهتمام بأبناء السبيل؛ وبناء أماكن لهم في طرق السفر، تحت شعار: "ابن السبيل أحقُّ بالماء والظل"، وابتنى "دار الدَّقيق" وجعل فيها الدقيق والسويق والتمر والزبيب، وما يُحتاج إليه؛ يعين به المنقطع، والضيف، ووضع في طريق السبل ما بين مكَّة والمدينة ما يصلح من ينقطع به..[1]
- تكافله مع أهل الذمة: كان عمر من أشدَّ الخلفاء تمسُّكاً بحقوق أهل الكتاب، والأمثلة على ذلك كثيرة، منها أنه مرَّ ذات يومٍ ببابِ قومٍ وعليه شيخٌ كبيرٌ كفيفٌ يسأل، فضرب عمر عَضُدَه من خلفه، وقال: من أيِّ أهل الكتاب أنت؟.

فقال: يهودي.

قال: فما ألجأك إلى ما أرى؟!.

قال: أسأل الجزيةَ والحاجة والسِّنَّ.

فأخذ عمر بيده، ومضى به إلى داره؛ فوصله بشيءٍ، ثم أرسل إلى خازن بيت المال، أن انظر هذا وضرباءه، فوالله ما أنصفناه، أن أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرَم!!. ووضع عنه الجزية، وعن أمثاله، ومرَّ بالجابية بقومٍ مجذومين من النصارى، فأمر أن يُعطَوا من الصدقات، وأن يُجرى عليهم القوات".[2]

وأُتي مرةً بمال كثير من الجزية فقال: إني أظنكم قد أهلكتم الناس، فقالوا: والله ما أخذنا إلا عفواً صفواً، فقال: بلا سوط ولا نوط؟ (بلا ضربٍ وتعليق). قالوا: نعم. فحمدَ الله تعالى.[3]

- مضاعفة الجهود التكافلية في فترة الأزمات: وأبرزها ما عُرف بـ"عام الرمادة" سنة ١٨هـ، فكانت أعظم الابتلاءات في عهد عمر؛ حيث أصاب الناس في الجزيرة العربية مجاعةٌ شديدة، وجدبٌ وقحط، واشتدَّ الجوع حتى كان الناس يأكلون الرمة (العظام البالية)، وهرع الناس من أعماق البادية إلى المدينة يقيمون فيها، ويلتمسون إلى أمير المؤمنين حلّاً، فتجمَّع

---

[1] أنظر: الطبري: تاريخ الأمم والملوك ٤/٢١٠- ٢١١. والماوردي: الأحكام السلطانية، ص١٩١.

[2] أبو يوسف: الخراج، ص١٢٦. والبلاذري: فتوح البلدان، ص١٧٧.

[3] القاسم بن سلام: الأموال، ص١١٩.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

بالمدينة –من غير أهلها– حوالي ستين ألفاً من العرب، وبقوا عدَّة أشهر ليس لهم طعامٌ إلَّا ما يُقدَّم لهم من بيت مال المسلمين، ومن أهل المدينة.

وكان أمير المؤمنين عمر أكثر الناس تعرضاً بهذا البلاء، وتحمُّلاً لتبعاته القاسية، فضرب من نفسه القدوة والمثل، فقد تأثَّر حتى تغيَّر لونه، وحرَّم على نفسه السمن واللبن؛ وقال: كيف يعنيني شأن الرعيَّة إذا لم يمسسني ما مسَّهم!، وكان إذا أمسى أتي بخبزٍ قد سرد بالزيت، إلى أن نحروا يوماً من الأيَّام جزوراً فأطعمها الناس، وغرفوا له طيِّبها، فأتي به، فإذا فدر من سنام ومن كبد، فقال: أنَّى هذا؟.

قالوا: يا أمير المؤمنين، من الجزور التي نحرنا اليوم.

قال: بخ بخ، بئس الوالي أنا إن أكلت طيبها وأطعمت الناس كراديسها، ارفع هذه الجفنة، هات لنا غير هذا الطعام، فأُتي بخبزٍ وزيت، فجعل يكسر بيده، ويثرد ذلك الخبز، ثم قال: ويحك يا غلام! احمل هذه الجفنة حتى تأتي بها أهل بيت فلانٍ، فإنِّي لم آتهم منذ ثلاثة أيَّام، فأحسَبُهم مُقفرين، فضعْها بين أيديهم".

وقام عمر بجملة من الخطوات لتجاوز الأزمة الخانقة، منها:

أ- إعداد معسكرات للأعراب الوافدين إلى المدينة.

ب- الاستعانة بأهل الأمصار: بعد أن نفد كلَّ ما بحوزته وما بحوزة أهل المدينة، أغاثه أهل الشام والعراق ومصر وغيرها، مما أَكَّد مبدأ التكافل الاجتماعي بين أبناء الأمة الواحدة.

ت- تأخير دفع الزكاة في عام الرمادة: ومن أوجه التكافل الاجتماعي الملفتة للانتباه في عهد عمر تأخير دفع الزكاة في عام الرمادة لحين انتهاء المجاعة، وعودة الأمور إلى طبيعتها، فجمع الزكاة عن عام الرمادة، فاعتبرها ديناً على القادرين حتى يسد العجز لدى الأفراد المحتاجين والفقراء، وليبقى في بيت المال رصيد بعد أن أنفقه كله.[1]

[1] انظر: ابن كثير: البداية والنهاية ٩٠/٧.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المطلب الثالث: السياسة المالية لعمر بن الخطاب رضي الله عنه

استهل عمر ﷺ عهده، وقد استقرت الأوضاع في جزيرة العرب للمسلمين، فانطلقوا فاتحين بلاد فارس والروم، وكثرت الغنائم، وزادت مالية الدولة الإسلامية، وتنوعت احتياجاتها بعد أن اتصلت بحضارات الدول المفتوحة، مما نبَّه عمر إلى ضرورة الاستفادة من نُظم تلك الدول لحل المشكلات التي تواجهها الدولة الإسلامية المترامية الأطراف، وتنظيم شؤونها الإدارية والمالية.

اختلف عهد عمر عن عهد سلفه أبي بكر رضي الله عنهما، ففاض المال، وتنوعت المسؤوليات بتنوع الرعية وعاداتهم وأساليب عيشهم عن نمط حياة الصحراء التي ألفها المسلمون الفاتحون، فقسمٌ منهم أهلُ حواضر، ولهم متطلباتهم في عيشهم وتنظيم شؤونهم، مما ساهم في تطور الفكر المالي في عهده، لتكون النتيجة تحقيق التوازن بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة ، فأبدع ﷺ في اقتراح الحلول للمشكلات المستجدة الغير مسبوقة بما يوافق شرع الله تعالى، ومما يشهد لميزان قواعد الترجيح في الفكر المالي قوله: "..ألا وأني ما وجدتُ صلاح ما ولاني الله إلا بثلاث: أن يُؤخذ بحق، وأن يُعطى في حق، وأن يُمنع من باطل، ألا وأني في مالكم كولي اليتيم إن استغنيتُ استعففت، وإن افتقرتُ أكلتُ بالمعروف".[1]

ويعتبر عمر بن الخطاب أول مَن وضع أُسُس التنظيم الإداري للدولة الإسلامية. ولو لوقفنا عند السياسة المالية للفاروق، لسجلنا الإنجازات التالية:

- أنشأ عمر بيت المال،[2] والسبب يرويه أبو هريرة ﷺ فيقول: قدِمت من البحرين بخمسمائة ألف درهم فأتيت عمر بن الخطاب فسألني عن الناس فأخبرته، ثم قال لي: ماذا جئت به؟.

  قلت: جئت بخمسمائة ألف.

  قال: ويحكَ! هل تدري ما تقول؟.

  قلت: نعم مائة ألف خمس مرات.

---

[1] الماوردي: الأحكام السلطانية، ص٢٢٢.

[2] انظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك ٣٢/٥. والماوردي: الأحكام السلطانية والولايات الدِّيْنية، ص١٩٩.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

قال: إنك ناعسٌ، ارجع إلى أهلك، فنمْ، فإذا أصبحتَ فائتني. فلما أصبحت أتيته، فقال: ماذا جئت به؟.

قلت: جئت بخمسمائة ألف.

قال: ويحك! هل تدري ما تقول؟!.

قلت: نعم، مائة ألف، حتى عدها خمس مرات، يعدها بأصابعه الخمسة.

قال: أَطيبٌ؟.

قلت: لا أعلم إلا ذلك.

قال: فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، إنه قد جاءنا مالٌ كثير، فإن شئتم أن نكيلكم كيلاً، وإن شئتم أن نعدكم عداً. فقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين، إني قد رأيت هؤلاء الأعاجم يدونون ديواناً لهم. فاشتهى عمر ذلك، واستشار المسلمين في تدوين الدواوين، فوافقوه.[1]

- إنشاء ديوان العطاء: فاضلَ عمر في العطاء بين الناس بحسب أسبقيتهم إلى الإسلام، والفضل في الجهاد، ونصرة رسول الله ﷺ، ثم على قدر نسبهم المتصل برسول الله ﷺ، مستنداً إلى قوله تعالى ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا﴾ [الحديد: ١٠]، وقوله تعالى ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاً وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ [النساء: ٩٥]، وبدأ عمر يجري العطاء على النهج الذي رسمه لنفسه، فبدأ بآل رسول الله ﷺ، وقدم منهم بني هاشم وبني المطلب، ثم باقي البطون القرشية.

[1] ابن خلدون: المقدمة، ص١٧٠-١٧١. والذهبي: دول الإسلام ١/١٧- ١٨.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقد قسَّم عمر الناس في العطاء على النحو التالي:

- ذوو السوابق ممن حصل المال بسابقتهم.[1]
- من يغني المسلمين في جلب المنافع لهم كولاة الأمور والعلماء.
- من يبلي بلاءً حسناً في رفع الضر عنهم؛ كالمجاهدين في سبيل الله من الجنود ونحوهم.
- ذوو الحاجات.[2]

- حث الناس على العمل بالتجارة، والتأكيد على البعد السياسي لها، فعندما فُتِحَت العراق والشام جمع عمر مجلس شوراه وقال لهم: "رأيتُ التجارة بأيدي الموالي، وإني آمركم أن تتجروا" فقال بعضهم: يا أمير المؤمنين؛ أمرٌ كُفيناه، فلماذا نتاجر؟ (أي الموالي كفونا العمل) فأجاب: "لئن قلتم هذا والله ليكوننَّ رجالكم تَبَعاً لرجالهم وليكوننَّ نساؤكم تبعاً لنسائهم".
- حمى عمر أرضاً وخصصها لرعي مواشي المسلمين وخيول الحرب ودواب الصدقة. وقد عُرفت عند الفقهاء "بأرض الحمى، وهي أرضٌ يمنع فيها التملُّك والاستعمال الخاص".[3]
- وضع أول موازنة عامة في الدولة الإسلامية، وأول نظام دقيق للرقابة والتقييم، وطبق فكره المالي وفق قاعدة "المالُ لا يؤخذ إلا من حِله ولا يوضعُ إلا في حَقه".
- الاجتهاد في عدم تقسيم الأراضي العظيمة المفتوحة، بهدف تأمين مورد مالي من مصدرين: الخراج من غلة الأرض، والجزية ممن استغلُّوها، ومن الناحية الإدارية والتنظيمية، فقد سوى بين المسلمين الحاضرين والمقبلين في مستقبل الأيام وفق نظام جديد لم يُسبق إليه، فضلاً عن توسيع أملاك الدولة، وسنتطرق لهذه النقطة عند تناولنا لمبحث الشبهات.
- أسقط الجزية عن أطفال وشيوخ ونساء أهل الذمة، وجعلها مراعيةً لأحوالهم.

---

[1] فرض عمر للمهاجرين والأنصار ممن شهد بدراً خمسة آلاف، وفرض للأنصار الَّذِينَ شهدوا بدراً أربعة آلاف، وفرض لأسامة بن زيد أربعة آلاف، وفرض لعبد الله بن عمر رضي الله عنهما ثلاثة آلاف، فقال: يا أبت، لم زدته علي ألفاً؟ ما كان لأبيه من الفضل ما لم يكن لأبي، وما كان له لم يكن لي، فقال: إن أبا أسامة كان أحب إلى رسول الله ﷺ من أبيك، وكان أسامة أحب إلى رسول الله ﷺ منك". انظر: أبو يوسف: الخراج ص٥٣، والبيهقي: السنن ٣٠٥/٦ وهو ثابت بمجموعه.

[2] الطبري: تاريخ الرسل والملوك: ٣ /٦١٤- ٦١٥.

[3] انظر: ابن كثير: مسند الفاروق ٣٤١/١ بلفظ: يا معشر قريش لا يغلبنكم هذا وأمثاله على التجارة فإنها ثلث الملك.ابن قدامة: المغني: ١٨٩/٦. و ابن عساكر تاريخ مدينة دمشق ١٧٨/١ بتصرف.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

المطلب الرابع: إجلاء اليهود والنصارى من جزيرة العرب

ثبت أن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ﷺ أخرج يهود خيبر إلى تيماء، ونفى نصارى نجران من جزيرة العرب، مما أثار حفيظة المستشرقين ومن سار على نهجهم من المؤرخين، فراحوا يطرحون أسئلة اعتراضيةً من قبيل:

- ما الذي حدث مع عمر حتى رفض وجود دينين أو هويتين في دولة الإسلام؟
- ما الضَّير في أن يبقى بجزيرة العرب من غير المسلمين تحت مُسمى "أقليَّة"؟.
- ألا تعتبر حرية العقيدة جزءاً من دستور الإسلام الخالد؟.
- كيف أقدم خليفة المسلمين العادل الذي اعتُبره الاشتراكيون مثالاً، والتحرريون قدوة على الوقوع في مثل هذا الخطأ الفادح؟.

والحقيقة أن هذا الإجراء بعيدٌ كل البعد عن وصف "العنصرية"، فلم يكن إبعاداً قسرياً أو تهجيراً مبنياً على تخوُّف من عقيدةٍ أخرى، ولم يكن مبعثُه كرهاً لثقافة أو هوية متمايزة غير إسلامية، ويؤيد رأينا سياسة عمر نفسها مع رعيَّته بالعموم، بل إن التاريخ يؤكد لنا أن هذا الخليفة الراشد قد أدرك بسبق زمني قيمة التنوع الثقافي والعقائدي، فلم يكن يرى في التعدُّد ما يبعث على الخوف ويدفع للاضطهاد والإجلاء، وفي العُهدة العمرية خير دليلٍ على احترام الفاروق لأهل الكتاب وعقائدهم.

ولو نظرنا إلى خارطة الدولة الإسلامية في عهد عمر، وقرأناها بعين سياسية اجتماعية، لأدركنا دوافع هذا الإجراء، فقد اتسعت رقعة الدولة الإسلامية، وامتدت من شمال شبه الجزيرة إلى جنوبها، وأصبحت تخضع لسلطة موحدة مقرها المدينة المنورة، ولحاكمٍ واحد هو الخليفة عمر بن الخطاب، وتميزت بعقيدتها الخاصة، وطابعها السياسي المميز، أما على الصعيد المجتمعي، فقد غدت الجزيرة العربية قلعة الإسلام الحصينة، ولم يبقَ سوى يهود المدينة ونصارى نجران على دينهم رغم هذا المد الإسلامي المتنامي.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومن المعروف عن عمر اعتماده سياسة داخلية فريدة سبقت عصرها، وقامت على مبدأ "المواطنة"، فلم ينقل التاريخ أنه فرَّق بين مسلمٍ وذمي، فقد جاءته امرأة عجوز نصرانية لحاجة لها، فقال لها: "أسلمي تسلَمي، إن الله بعث محمداً بالحق"، فقالت: أنا عجوزٌ كبيرة، والموت إليَّ أقرب، فقضى حاجتها، ولكنه خشي أن يكون في تصرُّفه هذا ما ينطوي على استغلال حاجتها لمحاولة إكراهها على الإسلام، فاستغفر الله مما فعل.[1]

واستمرّ عمر على نهج النبي ﷺ وخليفته فترة من الزّمن حتّى وصل إلى مسامعه قولٌ منسوب إلى النبي ﷺ في مرضه الّذي قُبض فيه «لا يجتمعنّ بجزيرةِ العربِ دِينان»،[2] وقوله: «أَخْرِجُوا المشْرِكِينَ مِنْ جَزيرةِ العَرَبِ»،[3] وبلغه قول أبي عبيدة بن الجراح: إن آخر ما تكلم به النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أخْرِجُوا اليَهودَ مِنَ الحِجَازِ»،[4] فأرسل إلى يهود، أنّ الله قد أذِن في إجلائكم، فقد بلغني أن رسول الله ﷺ قال: «لا يَجْتمِعنَّ بجزيرةِ العَربِ دِينانِ»،[5] فمن كان عنده عهدٌ من رسول الله فليأتني به أُنفذه له، ومن لم يكن عنده عهدٌ من رسول الله من اليهود فليتجهز للجلاء.[6]

فالجواب باختصار؛ أن عمر رضي الله عنه أراد ألا يفتن هؤلاء عن دينهم إذا بقوا كأقلية بين ربوع دولة إسلامية شاسعة، ورأى في نقلهم إلى بيئة تناسبُهم خيراً لهم.

كما ينقل مؤرخون آخرون أن اليهود نقضوا عهدهم، واعتدوا على عبد الله بن عمر وهو نائم، ففدعوا (كسروا) يديه من المرفقين، فأجلاهم. أما نصارى نجران، فقد أجلاهم لأنه خافهم على المسلمين، إذ إنهم اتخذوا الخيل والسلاح في بلدهم.

---

[1] القرطبي: تفسير القرآن ١٣/ ١٣١الآية ٢٥٦.

[2] مسلم: صحيح مسلم برقم (١٧٦٧).

[3] مسلم: صحيح مسلم، كتاب الوصية/ باب ترك الوصية لمن ليس لَه شيءٌ يوصي فيه ٣/٢٠ برقم (١٦٣٧). وأبو داود: السنن، كتاب الخراج والإمارة والفيء ٣/٣٠٢٩ برقم (٤٢٣).

[4] الإمام أحمد: المسند، والحديث صحيح.

[5] الإمام مالك: الموطأ، باب ما جاء في إجلاء اليهود من المدينة برقم (١٨) عن ابن شهاب مرسلاً، وعبد الرزاق: المصنف ٤/١٢٦ برقم (٧٢٠٨) و٦/٥٤ برقم (٩٩٨٧) عنه عن الزهري عن ابن المسيب مرسلاً، والبلاذري: فتوح البلدان، ص٤١.

[6] الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٢/٣٠٧.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وبالعودة إلى الحديث السابق، يجدر بنا الإشارة إلى أنه حدث بين أهل العلم خلافٌ حوله؛ فقال المروذي: "سئل أبو عبد الله أحمد بن حنبل عن قول النبي عليه الصلاة والسلام: «أخرجوا المشركين من جزيرة العرب» فقال: "هم الذين قاتلوا النبي عليه الصلاة والسلام، ليست لهم ذِمَّة، ليس هم مثل اليهود والنصارى، أي يخرجون من مكة والمدينة دون الشام، يريد أن اليهود والنصارى يخرجون من مكة والمدينة".[1]

وقال الشوكاني: "وظاهر الحديث أنه يجب إخراج المشركين من كل مكان داخلٍ في جزيرة العرب"، وحكى العسقلاني في الفتح في كتاب الجهاد عن الجمهور أن الذي يُمنع منه المشركون من جزيرة العرب هو الحجاز خاصة، قال: وهو مكة والمدينة واليمامة وما والاها لا فيما سوى ذلك مما يطلق عليه اسم جزيرة العرب، لاتفاق الجميع على أن اليمن لا يمنعون منها مع أنها من جملة جزيرة العرب".[2]

كما خص الشافعي ذلك بالحجاز، فقال: "وإن سأَل من يعطي الجزية أن يعطيها ويجري عليه الحكم على أن يسكن الحجاز لم يكن له ذلك، والمراد بالحجاز مكة والمدينة واليمامة ومخاليفها كلها.. ولا أعلم أحداً أجلى أحداً من أهل الذمة من اليمن، وقد كانت بها ذمة، وليس اليمن بحجاز فلا يجليهم أحدٌ من اليمن، ولا بأس أن يصالحهم على مقامهم باليمن".[3]

وقال ابن قدامة: "فأما إخراج أهل نجران منه فلأن النبي صلى الله عليه وسلم صالحهم على ترك الربا فنقضوا عهده فكأن جزيرة العرب في تلك الأحاديث أريد بها الحجاز.. ولا يمنعون أيضاً من أطراف الحجاز كتيماء وفيد ونحوهما، لأن عمر لم يمنعهم من ذلك".[4]

وقال ابن القيم: "وعلى كلّ حال، لقد أجلى عمر يهود خيبر وفدك، ولم يجلِ يهود تيماء ووادي القرى لأنّ مناطق تيماء ووادي القرى تعتبر من بلاد الشام وليست داخلة في جزيرة العرب،

---

[1] ابن القيم: أحكام أهل الذمة ١٧٧/١. وانظر: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ٤٥٠/٩.

[2] الشوكاني: نيل الأوطار ١٤٣/٨.

[3] الصنعاني: سبل السلام ٤٩٠/٢.

[4] ابن قدامة: المغني ٦٠٣/١٠.

www.alukah.net

على ما روي: "فلما كان زمن عمر بن الخطاب أخرج يهود خيبر وفدك ولم يخرج أهل تيماء ووادي القرى لأنهما داخلتان في أرض الشام، ويرى أن ما دون وادي القرى إلى المدينة حجاز وأن ما وراء ذلك من الشام".[1]

بالمقابل؛ يرى بعض أهل العلم من المعاصرين أن الواجب إخراج الكفار من عموم الجزيرة، وألا يُستعمل فيها إلا المسلمون من بلاد الله، أما الكفار فلا يُستخدمون أبداً إلا عند الضرورة الشرعية، أي: التي يقدرها ولاة الأمر، وفق شرع الإسلام وحده.[2]

[1] ابن القيم: زاد المعاد ٣١٣/٣؛ وانظر أيضاً: البيهقي: دلائل النبوة ٣٦٦/٤.

[2] ابن باز: "فتاوى ومقالات الشيخ ابن باز" (٢٨٢/٣) و(٤٥٤/٦). وابن عثيمين: "مجموع فتاوى ابن عثيمين" (٤١/٣).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

المبحث الرابع

الفتوحات في عهد الخليفة عمر

كان على رأس أولويات الفاروق رضي الله عنه مواصلة الجهاد في سبيل الله لنشر الإسلام في الأرض، وإكمال حركة الفتوحات التي بدأها أبو بكر رضي الله عنه لبلاد الفرس والروم، وقد شملت هذه الفتوحات مختلف الجبهات، ولنقفْ عندها باختصار.

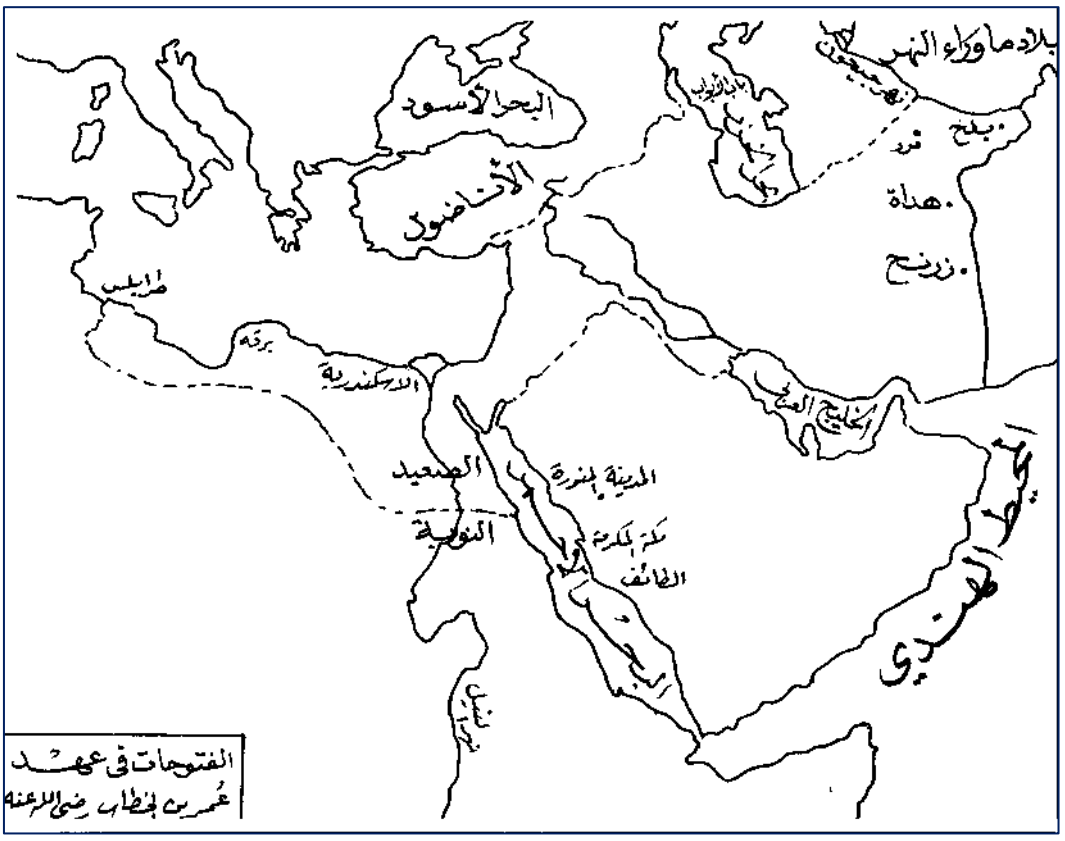

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المطلب الأول: فتح العراق وبلاد فارس

جهَّز عمر بن الخطاب رضي الله عنه جيشاً لردع الفرس عن تجاوزاتهم، ورَغِب في قيادته بنفسه، ولكن كبار الصَّحابة وعلى رأسهم علي بن أبي طالب أشاروا عليه بالبقاء في المدينة لتوجيه جيوش الفتح، وأن يَندُب لذلك رجلاً من كبار الصَّحابة، فوافق عمر على ذلك، واستقر الرأي على سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

ولنقف على سير حركة الفتح على الجبهة الشرقية، وأهم المعارك التي خاضها المسلمون هناك:

أ- معركة الجسر (١٣هـ): وصل أبو عبيد بن مسعود الثقفي إلى منطقة قُسِّ النَّاطف (موضع قريب من الحِيرَة على الضِّفَّة الشرقيَّة لنهر الفرات) بعد عدَّة معارك انتصر فيها على الفرس في النمارق والسقاطية.. وانضمَّ إليه المثنَّى بن حارثة مع قوَّاته، وتقدم الفرس بجيشهم الجرار بقيادة جاذويه، وعسكروا على الجانب الآخر من النهر، واستطاعوا استدراج أبي عبيد لعبور الجسر، وبالتالي الفتك بجيش المسلمين المحاصَر بالفرات من ثلاثة اتجاهات، فكانت الخسارة الأولى —والوحيدة- لهم.

وبعد استشهاد أبي عبيد تسلم الراية المثنى بن حارثة، واستطاع -بما يشبه المعجزة-إصلاح الجسر، وانسحب بجيشه بعد إصابات بالغة أدَّت لاستشهاده بعد ذلك بشهرين رحمه الله.[١]

ب- معركة القادسية (١٥هـ): سار سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه بجيشه نحو العراق، فأرسل الملك (يزدجرد) جيشاً ضخماً بقيادة القائد رستم، قُدرَ بثمانين ألف مقاتل مزودين بالعُدَّة والعَتَاد اللازمين مع ثلاثة وثلاثين فيلاً. وقبل المعركة بعث سعد ربعيَّ بن عامر رضي الله عنه إلى رستم، فدخل عليه وقد جلس على سرير من ذهب، وعليه تاج يبهر الأبصار، فيما عَمرَ مجلسه بالنمارق المذهبة ومفارش الحرير، واليواقيت واللآلئ الثمينة والزينة العظيمة،

[١] البلاذري: فتوح البلدان ٣٠٨/٢، والطبري: تاريخ الرسل والملوك ٦٤٤/٢.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

بينما كان ربعي بثياب رثة وسيف وترس وفرس قصيرة، فلما رأى زينتهم وتطاولهم، أراد أن يُظهر استخفافه بمظاهرهم الكاذبة فدخل بفرسه راكباً عليها حتى داس بها طرف البساط، ثم نزل وربطها ببعض وسائدهم الثمينة، وأقبل عليهم رافع الرأس ثابت الخطى وعليه سلاحه ودرعه، وخوذته على رأسه فقالوا له: ضع سلاحك.

فقال بعزة: إني لم آتكم وإنما دعوتموني فإن تركتموني هكذا وإلا رجعت.

فقال رستم: ائذنوا له.

فأقبل يتوكأ على رمحه فوق النمارق فخرَّق أكثرها. فقال رستم: ما جاء بكم؟

فأجاب ربعي: "إن الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله رب العباد، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه، فمن قبل ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه، ومن أبى قاتلناه.

فطلب رستم الإمهال، فأبوا أن يمهلوه أكثر من ثلاثة أيام. وبعد ذلك التقى الجيشان واقتتلوا قتالاً شديداً لثلاثة أيام عانى فيها المسلمون كثيراً من هذه الأفيال التي كانت تُفْزع خيولهم العربية التي لم تتعود رؤيتها، وفي اليوم الرابع بعث الله ريحاً شديدة فدمرت معسكر المجوس وهربوا وقُتل قائدهم، وتم النصر للمسلمين، وكان من نتائج المعركة عودة القبائل العربيَّة الضاربة في الشمال إلى طاعة المسلمين، كما اعتنق بعضها الإسلام.[1]

[1] ابن كثير: البداية والنهاية ٤٨/٧.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ت- معركة المدائن (١٦هـ): ارتفعت معنويات المسلمين بعد انتصار القادسية، فانطلقوا باتجاه المدائن بعد أن سقطت أمامهم بابل ثم بهرسير، وفر يزدجرد من المدائن إلى حلوان تاركاً حامية عسكرية في المدائن، لكن المسلمين اقتحموا نهر دجلة بجرأة منقطعة النظير، وواجهوا الحامية الفارسية التي عجزت عن صدهم، وسلَّمت على الجزية، ودخل المسلمون القصر الأبيض الذي وعدهم النبي ﷺ وسلم بفتحه، وحوَّله سعد إلى مصلى، وحُملت كنوز كسرى إلى المدينة المنورة، ولبس سراقة بن مالك سواري كسرى كما وعده النبي ﷺ يوم الهجرة.[١]

ث- معركة جلولاء (١٦هـ): بعد فراره من المدائن، بدأ يزدجرد بتنظيم المقاومة من منطقة حلوان، فأرسل سعد ابن أخيه هاشم بن عتبة بن أبي وقاص على رأس جيش، فالتقى بالفرس وهزمهم وفتح حلوان إثر موقعة جلولاء، التي شكل سقوطها انهيار الخطوط الأولى للمقاومة الفارسية، فاعتنق دهاقين السواد الإسلام، فأقرَّهم عمر رضي الله عنه على مراكزهم ورفع عنهم الجزية.[٢]

ج- معركة نهاوند (١٨هـ): "فتحُ الفُتوح": سُمِّيت فتحَ الفتوح؛ لأن الفرس بعد هزيمتهم فيها لم تَقُم لهم قائمة، ولم يستطيعوا أن يعبئوا مِثلَ هذا العدد فيما بعد، بل تشتَّتوا في البلاد، ومالوا إلى الدسائس والمؤامرات على المسلمين.

وسبب هذه المعركة أن مَلِك الفرس حشد جموعاً عظيمة وصلت لمئتي ألف مقاتل بنهاوند، فعين عمر بن الخطاب النعمان بن مقرن قائداً للجيش الإسلامي المكون من أربعين ألف مقاتل، وفيه عددٌ من الصَّحابة مثل: حُذيفة بن اليمان، وعبدالله بن عمر، وجَرير بن عبدالله البَجَلي، والمغيرة بن شعبة رضي الله عنهم، ولما وصل الجيش إلى نهاوند عبأ النعمان كتائبَه

---

[١] للمزيد حول فتح المدائن انظر: الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٦/٤- ٢٤.

[٢] انظر: البلاذري: فتوح البلدان، ص٢٦٤.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وصلَّى بالمسلمين الجمعة، ودارت معركةٌ حامية بين الطرفين، وكان الفُرس قد شدُّوا جنودهم بالسلاسل؛ حتى لا يفرُّوا، لكن الدائرة دارت عليهم فانكسروا، وأصيب النعمان بسهم قاتل، فسقط شهيداً، وحمل الراية حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، واستمر القتال حتى كتب الله النصر لجنده المخلصين، وقُتِلَ عددٌ كبير من الفرس قدرَ بمئة وعشرة آلاف مقاتل.[1]

خارطة بأبرز معارك الفتح الإسلامي في العراق

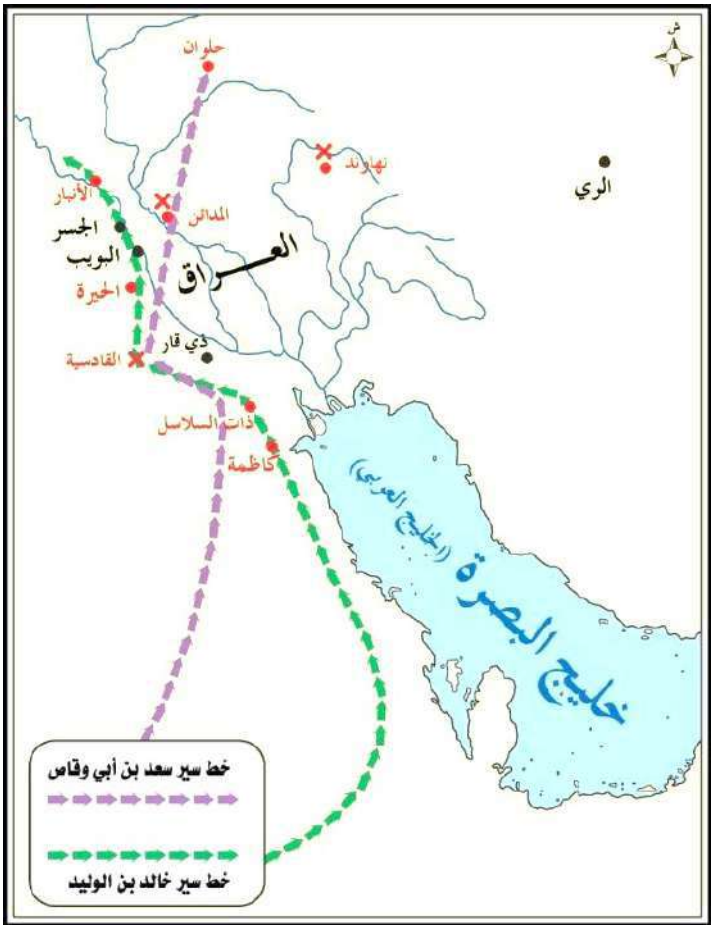

[1] الطبري: تاريخ الأمم والملوك ٥٢٩/٢. وابن الأثير: الكامل ٤١٩/٢.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المطلب الثاني: فتح خُراسان وطبرِستان

عين عمر بن الخطاب الأحنف بن قيس لقيادة الجيش الإسلامي لفتح خراسان، فخرج من البصرة باتجاه أصفهان، ففتح الطبسين وهراة، ثم أرسل فرقة عسكرية بقيادة مطرف بن عبد الله بن الشخير، لفتح نيسابور، وفرقة أخرى لفتح سرخس بقيادة الحارث بن حسان السدوسي، وسار بنفسه باتجاه مرو الشاهجان، حيث يقيم يزدجرد، فلما اقترب منها غادرها يزدجرد إلى مرو الروذ، فطارده الأحنف وأخرجه منها، وافتتح طخارستان وحاصر خوارزم، ولما وصلته الإمدادات من الكوفة انتقل إلى بلاد ما وراء النهر، فافتتح بلخ، وأصبح سيد خراسان.[1]

أما طبرستان ففتحت على يد سويد بن مقرن المزني، بعد سلسلة من الانتصارات في "قومس" و"بسطام" حيث أقام بها، ومنها كاتب ملك جرجان يدعوه إلى الصلح أو الحرب، فبادر الملك الفارسي بالصلح على أن يؤدي الجزية، ولهم الذمة والأمان على أنفسهم وأموالهم ومللهم وشرائعهم، لكن يزدجرد استعان بملوك الترك والصغد والصين في بلاد ما وراء النهر، فأمدوه بجيش كبير استطاع استرداد بلخ، وفر المسلمون إلى مرو الروذ حيث يقيم الأحنف بن قيس، وقد ظل التتار في مدينة بلخ بينما سار يزدجرد إلى مرو الشاهجان فحاصرها واستخرج منها كنوزه وانطلق نحو بلخ حيث ينتظره بها ملوك التتار، ليتم فتحها لاحقاً في عهد الخليفة عثمان رضي الله عنه.[2]

---

[1] البلاذري: فتوح البلدان، ص٥٤٢.

[2] انظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٣/٣٣.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

فتح العراق وفارس وخراسان وطبرستان في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه

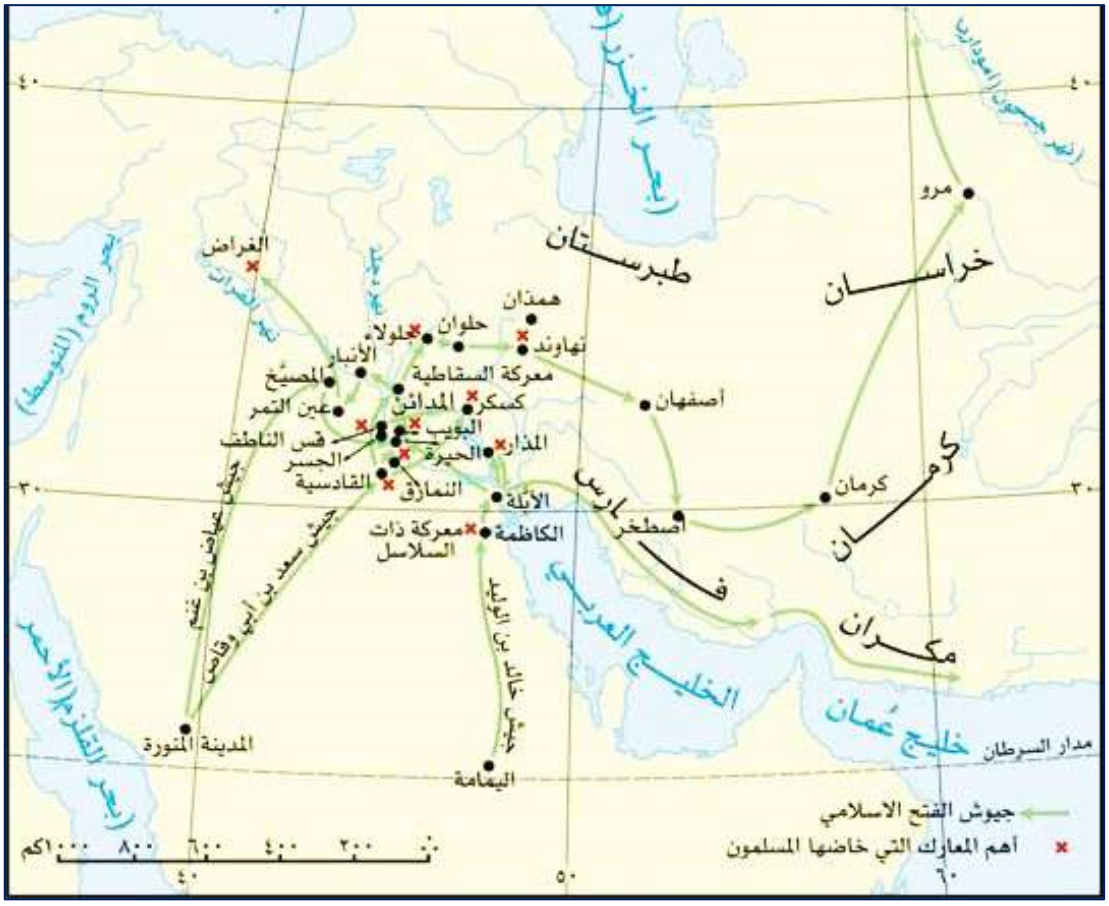

www.alukah.net

المطلب الثالث: فتح بلاد الشام

بدأ عمر بن الخطاب عهده بإجراء تعديل في قيادة الجيوش الإسلامية على جبهة بلاد الشام، فعزل خالد بن الوليد وعين أبا عبيدة عامر بن الجراح بدلاً عنه، وتحول خالد من قائد مغوار إلى جندي بطل ومستشار حاذق.

بدأ الصدام العسكري الفعلي بين الطرفين بمعركة فِحل- بيسان، في ٢٨ ذي القعدة ١٣هـ، مما فتح الطريق أمام المسلمين للسيطرة على جميع مدن وقرى إقليم الأردن بسهولة مثل بيسان وطبرية، فسالموا أهلها، ومنحوهم الأمان على أرواحهم وأموالهم وأماكن عبادتهم مقابل الجزية.

ثم كانت معركة مرج الروم (سهل البقاع في لبنان)، وفيها انتصر المسلمون، وقُتل قائدا الحملة البيزنطية، ليستعد الجميع لجولة جديدة في دمشق.

أ- فتح دمشق: عاود المسلمون حصار دمشق بعد عودتهم من الأردن في محرم سنة ١٤هـ، وتكمن أهميتها في وجود أكبر حامية بيزنطية فيها، فأخذ المسلمون الغوطة وكنائسها عنوة، وتحصن أهل المدينة وأغلقوا بابها، فعمد أبو عبيدة إلى عزل المدينة، وحاصرها حتى يجبر حاميتها وسكانها على الاستسلام، واستمر حصار دمشق سبعين يوماً، وازداد التوتر بين أهلها، وبخاصة بعد أن انسحبت الحامية البيزنطية من مواقعها تاركة للدمشقيين تدبُّر أمرهم بأنفسهم، ولما يئسوا من حصول نجدة تنقذهم من محنتهم، وتجلي المسلمين عن مدينتهم؛ وهنت عزيمتهم، ومالوا إلى الاستسلام.[1]

دخلت الجيوش الإسلامية من غرب دمشق ومن شمالها صلحاً، حتى وصلوا إلى جيش خالد بن الوليد وهو يقاتل، فتم عقد الصُّلح مع الروم.

[1] انظر: الطبري: تاريخ الأمم والملوك ٣ /٤٣٨- ٤٤٠. والبلاذري: فتوح البلدان: ص١٢٧- ١٢٨.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ب- فتح حمص: سار أبو عبيدة بعد فتح بعلبك إلى حمص، فتحصن أهلها ورفضوا التسليم، ولما طال أمد الحصار عليهم، وساءت أحوالهم نتيجة زلزال ضرب المدينة وألحق أضراراً بالممتلكات والسكان، مالوا إلى طلب الصلح، ودفع الجزية حفاظاً على حياتهم وأملاكهم وعقائدهم..

وبالفعل؛ لم يدخل المسلمون المدينة بل أقاموا مخيمهم بالقرب منها على ضفاف نهر العاصي. وكتب أبو عبيدة إلى عمر يبشره بفتح المدينة: "أما بعد، فالحمد لله الذي أفاء علينا وعليك يا أمير المؤمنين أفضل كورة في الشام أهلاً وقلاعاً، وأكثرهم عدداً وجمعاً وخراجاً، وأيسرها على المسلمين فتحاً".[1]

ت- فتح حماة: تابع أبو عبيدة سيره فوصل إلى حماة، فصالحه أهلها على الجزية والخراج على أرضهم. ومضى نحو شيزر، فخرج أهلها وصالحوه على ما صالح به أهل حماة، وتابع تقدُّمه حتى بلغ معرة النعمان ففتحها، ثم قصد أفامية فصالحه أهلها على الجزية والخراج، وبهذه الفتوح أتم المسلمون فتح بلاد الشام الوسطى.[2]

أمر عمر قواده بالتوقف في بلاد الشام ذلك العام، والتركيز على الجبهة الفارسية، حيث كان سعد بن أبي وقاص يستعد للاصطدام بالفرس في القادسية.

ث- فتح بيت المقدس: سار كل من شُرَحْبِيل بن حسنة وعمرو بن العاص باتجاه بَيْسَان، فحاصروا أهلها أيَّاماً وأرغموهم على الصلح، ولما عَلِمَ أهل طبرية بما حلَّ بأهل فِحْل وبَيْسَان طالبوا بعقد صلح مع المسلمين، ثم تابع عمرو إلى أَجْنَادَيْنِ (١٥هـ)، واقتتل المسلمون والروم قتالاً شديداً -لا يقلُّ عن قتال اليرموك- فانهزم قائد الروم أرطبون بعد منازلته لعمرو بن

[1] الطبري: تاريخ الأمم والملوك ٣/٥٩٩- ٦٠٠. البلاذري: فتوح البلدان، ص١٣٦.

[2] ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٢/٣٤٣- ٣٤٤.

www.alukah.net

العاص، فارتدَّ بالفارِّين إلى بيت المقدس، فأَذْعَن أهل بيافا، ونابلس، وعسقلان، وغزة، والرملة، وعكا، وبيروت، ولُدّ، والجبلة من غير قتال، ثم قصد عمرو بيت المقدس، وضرب حولها حصاراً شديداً، إلى أن يئِس الروم، فقرَّر بِطْرِيقهم (صفرونيوس) القيام بمحاولة أخيرة، وكتب إلى عمرو بن العاص يستجديه فكَّ الحصار؛ نظراً لاستحالة احتلال المدينة، وعرض عليه أن يتسلَّم أمير المؤمنين مفاتيح بيت المقدس بنفسه، فأرسل عمرو إلى عمر بن الخطاب، فخرج في مَدَدٍ قاصداً بيت المقدس، فصالحوه على الجزية، وفتحوها له، وكتب لهم "العهدة العمرية"، وكان ذلك في أوائل سنة (١٦هـ).[1]

الفتح الإسلامي لبلاد الشام في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه

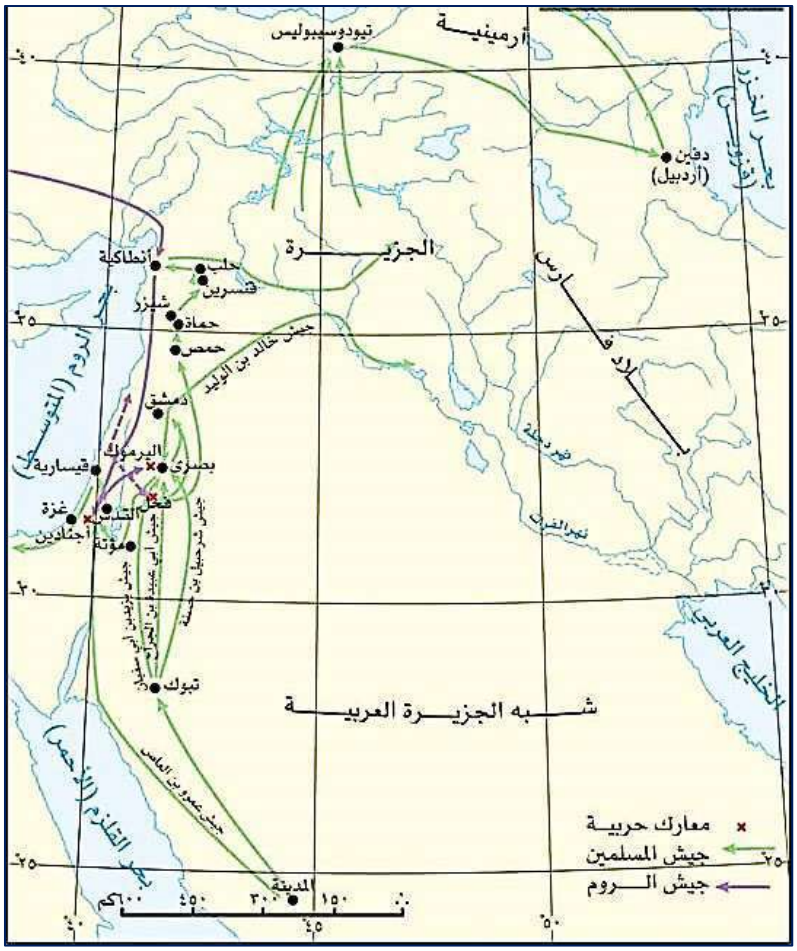

[1] الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٣/١٠٥.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

المطلب الرابع: فتح مصر

تورد معظم المصادر التاريخية أن عمرو بن العاص اجتمع بعمر بن الخطاب في الجابية حين جاء إلى بلاد الشام، وعرض عليه فتح مصر، حتى لا تكون يلاد الشام معرَّضة لخطر مهاجمتها من الروم شمالاً، وجنوباً من مصر عن طريق سيناء، وغرباً من بحر الروم، وبخاصة أن القائد "أرطبون" قد فرَّ من فِلَسْطِينَ ولحق بمصر، وحشد جنود الروم فيها لقتال المسلمين واسترداد بيت المقدس. سار عمرو بن العاص باتجاه مصر، مخترقاً صحراء سيناء، حتى وصل إلى العريش في ١٠ ذي الحجة ١٨هـ، فدخلها دون قتال، ثم غادرها باتجاه الفرما، ففتحها في ١٩ محرم عام ١٩هـ، ثم ضرب الحصار على مدينة بلبيس، وقاتل حاميتها شهراً قبل أن يفتحها، في حين تحصن المقوقس خلف حصن بابليون بانتظار المسلمين الذين وصلهم المدد من الخليفة، والمقدر باثني عشر ألف مقاتل، من بينهم عدد من كبار الصَّحابة، أمثال الزبير بن العوام، وعبادة بن الصامت، والمقداد بن الأسود، ومسلمة بن مخلد وغيرهم، ففتح مدينة الفيوم، ثم حاصر حصن بابليون، مما ألجأ المقوقس إلى التفاوض معه شخصياً، وقبل بالصلح إن وافق الامبراطور، الذي رفض ذلك واتهم المقوقس بالجبن والخيانة، فانتهت بذلك الهدنة، واستأنف الطرفان القتال، حتى منَّ الله على المسلمين بالفتح.[١]

ثم أرسل عمرو بن العاص قوَّةً إلى الصعيد بإمرة عبد الله بن سعد بن أبي سرح بِنَاءً على أوامر الخليفة ففتحها، وكان الوالي عليها، كما أرسل خارجة بن حُذافة إلى الفَيُّوم، ففتحها وصالح أهلها، وأرسل عُمَيْرَ بن وهب الجُمَحِيَّ إلى دِمْيَاط وتِنِّيس وما حولهما؛ فصالح أهل تلك الجهات، ثم سار عمرو بن العاص إلى الغرب، ففتح بَرْقَةَ وصالح أهلها، وأرسل عقبة بن نافع ففتح زَوِيلَةَ، واتجه نحو بلاد النوبة ففتحها فتمَّ بذلك فتح مصر.[٢]

---

[١] البلاذري: فتوح البلدان، ص٢١٤- ٢٢٠. والطبري: تاريخ الأمم والملوك ١٠٢/٤، و ١٠٨- ١٠٩.

[٢] محمود شاكر: التاريخ الإسلامي، الخلفاء الراشدون ١٦٣/٣.

www.alukah.net

ولا بدَّ من التَّنويه إلى أن فتح مصر النهائي واستخلاصها من البيزنطيين، تم في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه سنة ٢٥هـ/٦٤٥م عندما عاود الروم الهجوم على الإسكندرية في عهد الامبراطور كونستانز الثاني خلال (٢١-٤٨هـ/٦٤١-٦٦٨م) الذي أرسل أسطولاً كبيراً هدفه طرد المسلمين عن مصر، واستولى جيش الروم على الإسكندرية، وزحف باتجاه بلاد مصر السفلى، وتزعزع الوجود الإسلامي في مصر، وكان الوالي آنذاك هو عبد الله بن سعد بن أبي السرح، وقد سأل أهل مصر الخليفة أن يرسل عمرو بن العاص لمحاربة الروم، لأن له دراية وخبرة بحربهم، وبالفعل؛ قاتل عمرو الروم، وأجلاهم عن مصر، واستردَّ الإسكندرية عنوة، ثمَّ صَالح أهلها كما قتل تيودور قائد جيش الروم.

فتح مصر في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه

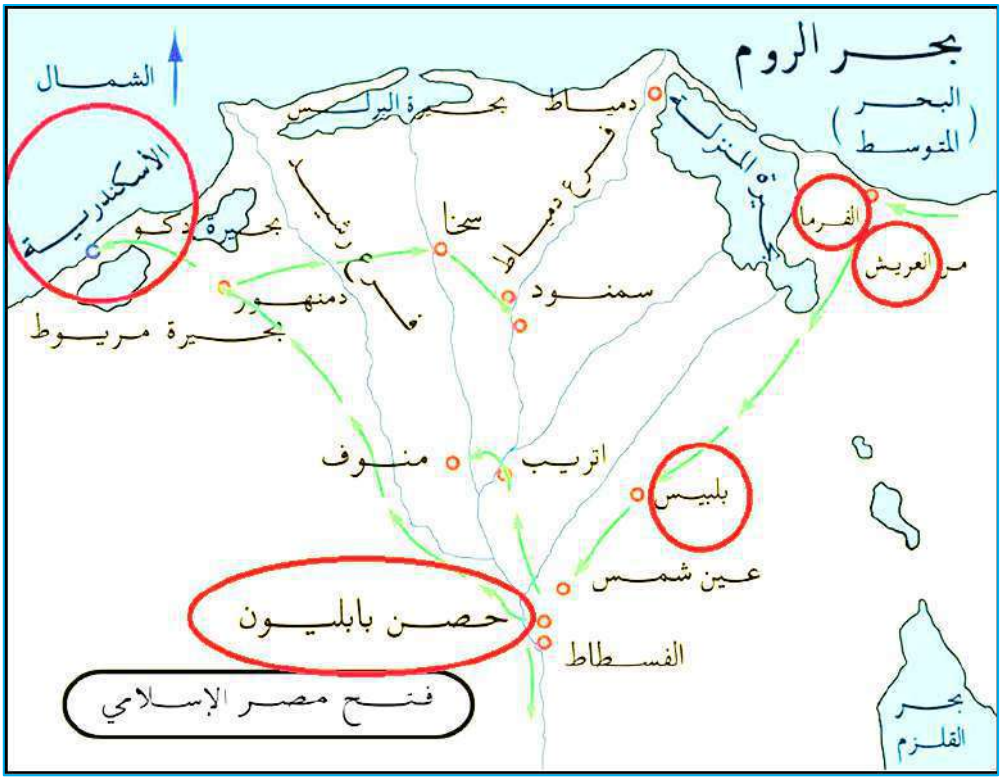

شبكة الألوكة - قسم الكتب

المطلب الخامس: فتح أذربيجان وأرمينية

شكلت مناطق أذربيجان وأرمينية وما جاورها مأوى لمعظم الفرس والآذر والأرمن الفارين من الجيوش الإسلامية بعد هزائمهم في العراق وفارس، بل وحتى في اليرموك، وقد شكّلوا خطراً على الوجود الإسلامي لمعاودتهم الحشد وتجديدهم المواجهة المباغتة لقوات المسلمين.

استنفر إسفنديار حاكم أذربيجان قواته، واصطدم بجيش المسلمين بقيادة نعيم بن مقرن ﷺ في منطقة "واج الروذ"، لتكون الغلبة للمسلمين، ثم انقسمت القوات الإسلامية إلى جيشين؛ الأول بقيادة بكير بن عبد الله، ففتح جنوبي أذربيجان، والثاني بقيادة الصحابي الجليل عتبة بن فرقد من الغرب، والتقى الجيشان قرب العاصمة "أردبيل" ليواجهوا الجيش الآذري بقيادة بهرام بن فرخزاد (أخي اسفنديار)، ويتمكنوا من دخول أردبيل.

أرسل الخليفة عمر حذيفة بن اليمان على رأس جيش تمكن من قمع تمردات الآذر بعد انتشار الجيوش الإسلامية، ثم قاد عبد الرحمن بن ربيعة جيشاً لتأمين السيطرة على المناطق المحيطة بأردبيل، ففتح مدينة "الأبواب" إحدى المدن الرئيسية في المنطقة.[1]

أما فتح أرمينية فبدأ في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ضمن فتوح بلاد ما وراء النَّهر، والتي كانت جزءاً منها؛ حيث توجَّه عياض بن غَنْم رضي الله عنه إلى أرمينية ودخل "بدليس"، ثمَّ تقدَّم إلى "خلاط" في قلب أرمينية، وهنا ارتأى أهلُ تلك البلاد مُصالَحة المسلمين، ورَغْبَتهم في إقرار المسلمين بطريَرْكَهم على حكم البلَد، فقبِل المسلمون الصلحَ، وذلك سنة ٢٠ هجرية.

[1] الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٢/٥٣٦- ٥٣٨. بتصرف.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المبحث الخامس

أبرز الشبهات المثارة ضد سيدنا عمر

طالت ألسنة أعداء الإسلام من روافض ومستشرقين وغيرهم الخليفةَ الراشد الثاني، ورمتْه بشبهاتٍ واهية، وذلك في فترات متأخرة من الخلافة الراشدة وما تلاها، ودليلنا أن علياً نفسه قد أشادَ بعمر وشهد له، كما أسلفنا، كما أن ابن عباس حاول أن يطمئن عمراً حين أشرف على الموت فقال له: "فلا تبكِ يا أمير المؤمنين، فوالله لقد أسلمت فكان إسلامُك فتحاً، ولقد أمرت فكانت إمارتك فتحاً، ولقد ملأت الأرض عدلاً، وما من رجلين من المسلمين يكون بينهما ما يكون بين المسلمين فتُذكَر عندهما إلا رضيا وقنعا بك"، وكان علي حاضراً، فأكد مقولة ابن عباس بقوله: "نعم يا أمير المؤمنين أنا أشهدُ بهذا عند الله".[1]

والحقيقة أن الفتوح الإسلامية أسفرت عن سلسلة من التحولات الاجتماعية في عهد عمر، مما شكَّل دافعاً لكثير من الاجتهادات الشرعية في الفروع، والتي قد يصيبُ فاعلها وقد يخطئ، أما ما نلمسه من غُلاة الروافض من إساءات يتجاوزون بها الحدَّ إلى الطعن في دين الفاروق واتباعه للنبي ﷺ، فهذا لا يعدو كونَه توجهات مذهبية مَقيتة. وقد ادَّعى هؤلاء أنَّ عمر اجتهد أمام النُّصوص الشرعية الثابتة، واستعمل رأيه مقابلها، ففتحَ الباب على مصراعيه أمام غيره.

وللرد على افتراءات هؤلاء نقول: لا يخفى على كل منصفٍ ما في كلام هؤلاء من كذب وتدليس، وقلب الحقائق، وعظيم الجرأة على الصَّحابة الكرام، ورميِهم برفض النصوص، وهجر السُّنة، بل ومعارضتها بالقول والفعل، مع أن المسلَّم به أنه ما عرفت الأمة مثلَهم في شدة الحرص على تطبيق النُّصوص في كافة الظروف والأحوال، وحسن المتابعة لها، وقوة العزيمة في الأخذ بها، والقيام بها حقَّ القيام، حتى غدوا بذلك مضرب الأمثال، وقدوة الأجيال، على مر السنين والقرون، في القوامة بأمر الدين.

---

[1] ابن تيمية: منهاج السنة، ١٤٢/٣.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الشبهة الأولى: رفض تقسيم أرض السواد بين الفاتحين (إلغاء سهم المؤلفةِ قلوبُهم)

تُعرَّف أرض السواد بأنها الأرض التي اغتنمها المسلمون من الفرس في العراق على عهد عمر، وسميت سواداً لسواد الزرع وخضرته الشديدة، وكانت العرب عندما يقبلون من الصحراء يبصرون الزرع والشجر مثل الليل من خضرته ونضارته، فسموه سواداً.[1]

وهذه الشبهة باطلة من عدة وجوه:

- الوجه الأول: أن الثابت من سيرة عمر ﷺ، يدلُّ على زيف دعوى الروافض، فقد كان أشدَّ الناس تمسكاً بالنصوص، والوقوف عندها، وأقواله في ذلك مشهورة، منها: "سيأتي أناسٌ يجادلونكم بشبهات القرآن، فجادلوهم بالسُّنن، فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله"، وقوله أيضاً: "السنة ما سنه الله ورسوله ﷺ، لا تجعلوا خطأ الرأي سُنَّة للأمة".[2] وأسانيد هذه الآثار عن عمر، في غاية الصحة، فكيف يُظَن بمن هذا قوله أن يعارض النصوص برأيه واجتهاده، فإن هذا من أبعد المحال عند التأمل والاعتبار.[3]
- الوجه الثاني: أن اتهام الروافض لعمر بتعطيل سهم المؤلفة قلوبهم جهلٌ بالشرع ومقاصده؛ ذلك أن سهم المؤلفة قلوبهم فُرض في الشرع تألُّفاً لبعض سادات الناس وكبرائهم على الإسلام، وللحاجة إليهم، فلما قوي الإسلام وكثر أتباعه اجتمع رأي الصَّحابة على عدم إعطاء المؤلفة قلوبهم شيئاً؛ لزوال السبب الذي كانوا يعطَون من أجله، وعدم الحاجة إليهم، قال ابن قدامة: "لم يُنقل عن عمر ولا عثمان ولا علي أنهم أعطوهم شيئاً"، وقال القاضي ابن العربي: "الذي عندي أنه إن قوي الإسلام زالوا، وإن احتيجَ إليهم أُعطوا سهمهم كما كان رسول الله ﷺ يعطيهم، فإنَّ في الصحيح: «بدأَ الإسلامُ غريباً وسيعودُ كما بدأ».[4]

---

[1] الماوردي: الأحكام السلطانية، ص٢٦٨.

[2] الآجري: الشريعة، ص٥٢، واللالكائي: شرح أصول اعتقاد أهل السنة، ١٢٣/١.

[3] ابن قيم الجوزية: أعلام الموقعين ٥٤/١-٥٥.

[4] مسلم: صحيح مسلم برقم (١٤٥)، وشرح النووي لصحيح مسلم ٣٥٢/٢.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

- الوجه الثالث: لم يقتصر الاجتهاد بالرأي على عمر، بل إنه ثابت عن سائر الصَّحابة كأبي بكر وعثمان وعليّ وابن مسعود رضي الله عنهم، وهم مأجورون على ذلك، لأن اجتهاداتهم لم تكن مقابل النصوص القرآنية والنبوية، بل في فهم تلك النصوص، أو في الأمور العارضة المستجدَّة، فالصحابي شاهدَ التنزيل، ووقفَ على حكمة التشريع وأسباب النزول، ولازم النبيَّ صلى الله عليه وسلم ملازمةً طويلةً أكسبته معرفة الشريعة،[1] كما أن بعض الصَّحابة كانوا يجتهدون –أحياناً– بما يُخالف النُّصوص لأنها لم تَصلهم، فإذا تبيّنوا الحقَّ أنابوا إليه.

وقد ثبت عن علي ﷺ اجتهادات في مسائل هي أعظمُ من المسائل التي اجتهد فيها عمر، وبالتالي فإن القدْح في عمر بهذا قدحٌ في علي من باب أولى، يقول شيخ الإسلام ابن تيميه: "والجواب أن القول بالرأي لم يختصَّ به عمر، بل عليٌّ كان من أَقْوَلِهِمْ بالرأي، وكذلك أبوبكر، وعثمان، وزيد، وابن مسعود.. وغيرهم من الصَّحابة كانوا يقولون بالرأي، وكان رأي علي في دماء أهل القبلة (القتال في الجمل وصفين).. ونحوه من الأمور العظائم، وعن قيس بن عباد قال: قلت لعلي: أخبرنا عن مسيرك هذا أعهدٌ عهِده إليك رسول الله ﷺ أم رأيٌ رأيتَه؟ فقال علي: ما عهدَ النبي ﷺ إليَّ شيئاً، ولكنه رأيٌ رأيتُه".[2]

- الوجه الرابع: في تعليل عمر رضي الله عنه اجتهاده ما يُسكت هؤلاء، ومما قاله مبرهناً على ترجيح ما يقول مخاطباً عقولَهم وقلوبَهم: "فإذا قُسمت أرض العراق بعُلُوجها، وأرض الشام بعلوجها،[3] فما يُسدُّ به الثغور؟ وما يكون للذرية والأرامل بهذا البلد وبغيره من أهل العراق والشام؟".

وقد أيده على ذلك بعض الصَّحابة كعثمان بن عفان وابن عمر وعلي وطلحة.. مما قواه على ما ذهب إليه قائلاً لمن خالفه: "كيف أقسمهُ لكم وأدَعُ من يأتي بعدَكم بغيرِ قسمٍ؟".[4]

---

[1] عبد الكريم زيدان: الوجيز في أصول الفقه: ص٢٦١.

[2] أبو داوود: السنن، كِتَاب السُّنَّةِ، بَابُ مَا يَدُلُّ عَلَى تَرْكِ الْكَلَامِ فِي الْفِتْنَةِ، برقم (٤١٠٩).

[3] العلج: الرجل غير المسلم، وجمعها علوج.

[4] أبو يوسف: الخراج، ص٣٥.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الشبهة الثانية: شبهة جعل الخلافة شورى ومساواة المفضول بالفاضل

كان عمر بن الخطاب ﷺ كثير المشاورة لأصحابه فيما لم يرد فيه نصٌّ، ولهذا اجتهد في استخلافه الأصلح، ورأى أن هؤلاء الصحابة الستة (عثمان وعلي وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص) رضي الله عنهم أحقُّ من غيرهم، ولم يعين واحداً منهم بالتحديد خشية أن يكون غيره أحقَّ منه وأصلح للولاية، وأن يؤدي ذلك إلى الاختلاف والمنازعة، وهي من طبائع البشر، فرأى الفضل متقارباً في هؤلاء الستة، ورأى أيضاً أنه إذا عين واحداً فقد لا يحسن القيام بإمامة المسلمين فيصبح عمر نفسه مسؤولاً عنه لنسبته إليه، فترك تعيين أحدهم خوفاً من التقصير، ورأى المصلحةَ في أن يبايعوا واحداً منهم باختيارهم.

ولما راجعه المسلمون ليستخلف شخصاً بعينه بالاسم رفض قائلاً: "إن الله تعالى لم يكن يُضيع دينَه ولا خلافَته ولا الذي بَعَثَ به نبيَّه"، فبذلك ترك الأمر لهؤلاء الصَّحابة الذين مات النبي ﷺ وهو عنهم راضٍ، يختارون من بينهم الذي يُجمعون عليه، وله في النبي ﷺ أسوةٌ حسنة؛ إذ إنه حينما رأى المسلمين يجتمعون على أبي بكر استغنى عن كتابة الكتاب الذي عزم أن يكتبه لأبي بكر؛ كما أنه ليس هناك دليلٌ على الاستخلاف.

وكان هؤلاء الستة متقاربين في الفضيلة، فقد كان الصَّحابة في عهد النبي ﷺ يفاضلون أبا بكر ثم عمر ثم عثمان، ولم ينكر عليهم ذلك حينما يبلغه، وهذا التفضيل ثابت بالنص، أما التفضيل الثاني فقد ثبت بإجماع المهاجرين والأنصار على مبايعة عثمان من غير رغبة ولا رهبة، فإنه لم يعطِ أحداً منهم مالاً ولا ولاية، ولم يكن لبني أمية شوكةٌ حينئذ، بل إنهم لم يجتمعوا على بيعة أحدٍ كما اجتمعوا على بيعة عثمان، لأنه لم ينكر أحد من الستة –أو غيرهم– ولايةَ عثمان آنذاك، وفيهم كبار الصَّحابة أمثال عمار بن ياسر وصهيب وأبو ذر والمقداد بن الأسود وابن مسعود والعباس بن عبد المطلب، وأبو أيوب الأنصاري، ومن النقباء مثل عبادة بن الصامت..[1]

[1] ابن تيمية: منهاج السنة ١٦٢/٣- ١٦٦.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الشبهة الثالثة: عزلُ خالد بن الوليد عن إمرة الجيش لحقده عليه

يدعي بعض المغرضين أن عزلَ عمرَ لخالد بن الوليد عن قيادة الجيش الإسلامي أثناء فتح الشَّام جاء نتيجةً طبيعية لما عُرف عن خالد من قسوة وتبذير، ولما بين الرجلين من شحناء وتباغض.

ولدحض هذه الشبهة الباطلة، نوضح أسباب العزل في الأمور التَّالية:

أ- الخوف على عقيدة المسلمين: بات الناس يعتقدون أنَّ النصر حليفُ خالد أينما مضى وحيثما سار، فقرر عمر عزلَه على الفور؛ ليعلم الناس بأن الأمور مرتبطةٌ بقضاء الله تعالى وقَدَره، وقد كتب إلى عماله: إني لم أعزلْ خالداً عن سخطةٍ ولا خيانة، ولكن الناس فُتِنوا به، فأحببتُ أن يعلموا أن الله هو الصَّانع.[1]

ب- اختلاف النَّظر في بعض أوجه صرفِ المال: كان عمر يرى أنَّ مرحلة تأليف القلوب، وإغراء ضعفاء العقيدة بالمال قد انتهت، وبات الإسلام في غنىً عن هؤلاء، وأنَّه يجب أن يوكل النَّاس إلى إيمانهم وضمائرهم، وأنَّ ضعفة المهاجرين أحقُّ بالمال من غيرهم، بينما يرى خالدٌ أنَّ ممَّن معه من ذوي البأس والمجاهدين من لم تخلصْ نيَّتهم لمحض ثواب الله، وأنَّ أمثال هؤلاء في حاجةٍ إلى من يقوِّي عزيمتهم، ويثير حماستهم من خلال هذا العطاء.[2]

ت- اختلاف رؤية عمر عن رؤية خالدٍ في السياسة العامَّة: كان عمر يصرُّ على أن يستأذن الولاة منه في كلِّ صغيرةٍ، وكبيرةٍ، بينما يرى خالدٌ: أنَّ من حقه أن يُعطى الحرِّيَّة كاملةً من غير الرُّجوع لأحدٍ في الميدان الجهادي، وأن تطلقَ يده في كلِّ التَّصرُّفات إيماناً منه بأنَّ الشَّاهد يرى ما لا يراه الغائب.

ولعلَّ من الأسباب أيضاً: إفساح المجال لطلائع جديدة من القيادات من أمثال شرحبيل بن حسنة، والمثنَّى وغيرهما، وبالتالي تتوافر في المسلمين نماذج قيادية كثيرةٌ.[3]

---

[1] ابن عساكر: تاريخ دمشق ٢٦٨/١٦.

[2] انظر: أحمد: المسند ٤٧٦/٣. والبخاري: التاريخ الكبير ٥٤/٨.

[3] الصلابي: عمر بن الخطاب، ص٤٩٢- ٤٩٤.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

والحقيقة أن منظومة القيادة في الإسلام لا تتوقف عند أحد، ولا تعتمد على فردٍ بعينه، فالبديل متوفر ومؤهل؛ واستبدالُ خالد لم يكن بقائد كيفما اتُّفِق، بل بقائد لا يقلُّ فضلاً وخبرة عنه، هو أبو عبيدة عامرُ بن الجراح رضي الله عنه، فأخذ عمر بالأسباب لأبعد الحدود، وتعلَّق بخالقها، لا بعينِها، أما النتائجُ فتبقى رهينةً بمشيئة الله تعالى وإرادته.

ولو توقفنا عند ردة فعل خالد إثر قرار عزله لَلَمسْنا عظمة التربية النبوية له في طاعته لأمر الخليفة، وقوله: "الحمد لله الذي ولَّى عمر بن الخطاب، وقد كان أبو بكر أحبَّ لديَّ من عمر، فالحمد لله الذي ولَّى عمر، ثم ألزمني حبَّه"..

كما تجلى في هذا الموقف أثر التربية النبوية في أبي عبيدة بن الجراح، عندما تلقى أمر عمر بن الخطاب بالإمارة، بالحزن والهم، لأنه كان ما يريدها لنفسه.

وعندما توفي خالد قال عمر: " ثمَّ قال: رحم الله أبا سليمان! ما عند الله خيرٌ له ممَّا كان فيه، ولقد مات فقيداً، وعاش حميداً، ولقد رأيت الدَّهر ليس بقائلٍ".[1]

[1] السيوطي: جمع الجوامع ٣٢٦/١١. وابن كثير: البداية والنهاية ١٣٣/٧.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الشبهة الرابعة اغتصاب عمر لأم كلثوم بنت علي رضي الله عنهم

ولعل من أقْبحِ وأغرب الشُّبه التي تناقلتها أجيال الروافض الخبثاء، محاولين النيل من خلالها من سمعة الصَّحابة الكرام رضوان الله عليهم، القول إن عمر ﷺ اغتصب فرجَ ابنة المعصوم (أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب).

وتعجُّ كتب الرَّوافض بنقل تلك التُّرَّهات، منها ما رواه الكليني في الكافي عن أبي عبد الله -عليه السلام- في تزويج أم كلثوم، فقال: "إن ذلك فرجٌ غُصِبناه".[1]

والأغرب مِن تجرُّؤهم على عرض الصَّحابة الكرام، وتناقُلِهم روايات غريبة عجَّت بها كتبهم عن قتال علي لثمانين ألف جني، وخلْعه بابَ خيبر، ومعرفته اسم الله الأعظم، وامتلاكه سيف النبي صلى الله عليه وسلم ودرعه، وخاتم سليمان، وعصا موسى عليهم السلام.. هو قولُ هؤلاء إن علياً عجز عن الدفاع عن ابنته.

ويشطح الخيال ببعضهم ليروي أن علياً أرسل إلى جنية من أهل نجران يهودية يقال لها: سحيقة بنت حريرية، فأمرها فتمثلت في مثال أم كلثوم، وحجبت الأبصار عنها، فيما يجزم آخرون بعدم وقوع التزويج -أصلاً- بين عمر وأُمّ كلثوم.[2]

انظر: المجلسي: ملاذ الأخيار في فهم تهذيب الأخبار ٣١١/١٣ – ٣١٢. والخواجوئي: الرسائل الفقهية ١٠٧/٢. وعلي الحسيني الميلاني: سلسلة الكتب العقائدية (١٦٧)، ص ٦٩٥- ٦٩٧.

[2] انظر: الخواجوئي: المرجع نفسه ١١٠/٢.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الفصل الثالث

عثمان بن عفان رضي الله عنه

(٢٣-٣٥هـ)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المبحث الأول

ترجمته وخصائصه

المطلب الأول: ترجمته

اسمه: عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، الأموي القرشي. عبد مناف.

مولده ونسبه: ولد في الطائف بعد ميلاد النبي ﷺ بخمس سنين، يلتقي معه في الجد الرابع (عبد مناف). وأمه أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف، وهي ابنة عمة النبي صلى الله عليه وسلم، فأمها هي البيضاء بنت عبد المطلب. كان وجيهاً في بني أمية وأحد أعيان قريش.[1]

كنيته: أبو عمرو.

لقبه: ذو النورين، لأنه تزوج بنتَي رسول الله صلى الله عليه وسلم، رقيَّة وأم كُلثوم.[2]

قال الآجري: "إنما سُمي عثمان ذا النورين؛ لأنه لم يجمع بين ابنتي نبي في التزويج واحدةً بعد الأخرى من لدنْ آدم عليه السلام إلا عثمان بن عفان ﷺ؛ فلذلك سُمي ذا النورين".[3]

وصفه: كان عثمان رَبْعَةً؛ ليس بالطويل ولا بالقصير، حسَنَ الوجه والشعر، أبيض اللون، مشرباً بالحمرة، كثيرَ اللحية، بعيدَ ما بين المِنكِبينِ، أروح الرجلين (منفرج ما بينهما)، وأقنى (طويل الأنف مع دقة أرنبته، وحدب في وسطه)، خدل الساقين (ضخم الساقين)، طويل الذراعين، قد كسا ذراعيه جعد الشعر، جُمَّته (مجتمع شعر الرأس) أسفل من أذنيه.[4]

زوجاته وأولاده: تزوج أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه عدة نساء منهن:

---

[1] انظر: الطبري: تاريخ الأمم والملوك ٦٩٢/٢، وابن الأثير: الكامل في التاريخ ٧٤/٣.

[2] انظر: ابن حجر: الإصابة، ٢٢٣/٤. وابن سعد: الطبقات ٣٧/٨.

[3] الآجري: الشريعة ١٧٤٧/٤.

[4] البلاذري: أنساب الأشراف ٤٨٤/١.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

١. رقية وأم كلثوم: كان النبي ﷺ قد زوَّج ابنته رقية من عتبة بن أبي لهب، وزوَّج أختها أم كلثوم من أخيه عتيبة بن أبي لهب، فلما نزلت سورة المسد ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۞ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۞ سَيَصْلَى نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ ۞ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۞ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ ﴾. [المسد: ١- ٥]. أمرهما أبو لهب وأمهما أم جميل بنت حرب بن أمية بمفارقة ابنتي نبينا، ففارقاهما قبل أن يدخلا بهما. وحينما سمع عثمان بخبر طلاق رقية بادر إلى خطبتها من رسول الله فزوَّجها منه، وزفّتها أم المؤمنين خديجة بنت خويلد، فكان يقال لها حين زفت إليه: «أحسنُ زوجين رآهما إنسان، رقيةُ وزوجها عثمان». وأنجبت له عبد الله، ومات صغيراً. فلما توفيت تزوج أختها أم كلثوم، ولم تنجب له.

٢. فاختة بنت غزوان: وأنجبت له عبد الله.

٣. أم عمرو (بنت جندب الأزدية) وأنجبت له عمر، خالد، عمرو، أبان، مريم.

٤. فاطمة بنت الوليد بن عبد شمس: وأنجبت له الوليد، سعيد، وأم سعد.

٥. أم البنين بنت عيينة بن حصن: أنجبت له عبد الملك.

٦. رملة بنت شيبة بن ربيعة: أنجبت له عائشة، أم ربان، أم عمرو.

٧. نائلة بنت الفرافصة الكلبية.

إسلامه: أسلم ﷺ وهو في الرابعة والثلاثين من عمره، على يد أبي بكر الصديق حين دعاه إلى الإسلام قائلاً: "ويحك يا عثمان؛ واللَّه إنك لرجلٌ حازم ما يخفى عليك الحق من الباطل، هذه الأوثان التي يعبدها قومُك، أليست حجارةً صماء لا تسمع ولا تُبصر ولا تضر ولا تنفع؟.

فقال: بلى واللَّه إنها كذلك.

قال أبو بكر: هذا محمد بن عبد الله قد بعثه اللَّه برسالته إلى جميع خلقه، فهل لك أن تأتيه وتسمعَ منه؟

فقال: نعم".

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وفي الحال مرَّ رسول ﷺ الله فقال: «يا عثمان أَجِبْ الله إلى جنَّته فإني رسول الله إليك وإلى جميع خَلقه».[1]

قال عثمان: فوالله ما ملكتُ حين سمعت قوله أن أسلمتُ، وشهدت أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبد الله ورسوله، فكان بذلك من السابقين الأولين، وأحد العشرة المبشرين بالجنة.[2]

صحبته: لازم عثمانُ رسولَ الله ﷺ طوال حياته، وحضر جميع الغزوات عدا غزوة بدر، لأن النبي ﷺ خلّفه على ابنته رقيّة، وكانت مريضة، فماتت يوم قدِم زيد بن حارثة المدينة بشيراً بفتح بدر، وضَرب رسول الله ﷺ بسهمه وأجره، لذا اعتبره المؤرخون بدرياً.[3]

مروياته من السنة النبوية الشريفة

روى عثمان ﷺ ما يزيد عن مئة وأربعين حديثاً نبوياً شـــريفاً، وممن روى عنه، بنوه: أبان وسعيد وعمرو، ومولاه حمران، وأنس، وأبو أمامة، والأحنف بن قيس، وسعيد بن المسيب.[4]

وفاته: قتل رضي الله عنه وهو خليفة المسلمين شهيداً مظلوماً على يد الغوغاء، بعد حصاره عام ٣٥هـ، وكان قد ناهز ٨٢ عاماً، وكانت مدة خلافته اثنتي عشرة سنة إلا اثني عشر يوماً، وقبيل مقتله رأى في المنام إشارة إلى اقتراب أجله؛ فأصبح يحدث الناس: "رأيتُ النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال: «يا عثمان! أفطِرْ عندنا»،[5] فأصبح صائماً وقتل من يومه، مضحياً بنفسه، وكان باستطاعته أن يستعين بالصحابة للدِّفاع عنه، ولكنه لم يرغب أن تُراق قطرةُ دم من أجْله، وسنتوقف عند تفاصيل مقتله في مبحث قادم.

---

[1] ابن كثير: البداية والنهاية، ٧/ ٢٢٣.

[2] ابن كثير السيرة النبوية ٤٣٧/١. ويرى ابن هشام في "السيرة النبوية" ٢٨٧/١ أن عثمان رابع من أسلم من الرجال.

[3] محمد الخضري: نور اليقين، ص٩٢. والمباركفوري: تحفة الأحوذي، ١١/ ١١٧.

[4] انظر: المزي: تهذيب الكمال ٤٤٥/١٩- ٤٦١. والذهبي: سير أعلام النبلاء، ص١٤٩.

[5] الحاكم: المستدرك ٩٩/٣، وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، والهيثمي: مجمع الزوائد ٢٣٢/٧.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

المطلب الثاني: أخلاقه

- ثباته على الحق: والأمثلة على هذا كثيرة، منها أنه لما أسلم عثمان رضي الله عنه أخذه عمّه الحكم بن أبي العاص بن أميّة فأوثقه رباطاً، وقال له: "أترغبُ عن ملَّة آبائك إلى دين محدَث؟ والله لا أحلُّك أبداً حتى تدعَ ما أنت عليه من هذا الدين.."

  فقال عثمان: "والله لا أدَعُهُ أبداً ولا أفارقُهُ.." فلمّا رأى الحَكَم صلابتَه في دينه تركه.
- حياؤه: اشتهر عثمان ﷺ بالحياء فما كان يُعْرَف أحدٌ أشدَّ حياءً منه، حتى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستحي منه ويقول: «ألا اسْتحِي من رجلٍ تَستحي منهُ الملائكة».[1]

  وقال: «أصدقُ أمتي حياءً عثمان».[2]

  وعن الحسن وذكر عثمان وشدة حيائه فقال: إن كان ليكون في البيت والباب عليه مغلق فما يضع عنه الثوب ليفيض عليه الماء يمنعه الحياء أن يقيم صلبه.[3]
- كرمه: ضرب عثمان رضي الله عنه أروعَ الأمثلة في نُصرة الإسلام وإعلاء كلمته، فكان أجود المسلمين حيث يَجدُّ الجَدُّ ويدعو داعي الجهاد، فقد جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم بألف دينارٍ حين جهَّز جيش العسرة فنثرها فِي حجره، فقلبها النبي صلى الله عليه وسلم في حِجره وتهلَّلَ وجهه الكريم وهو يقول: «ما ضرَّ عثمانَ ما عَمل بعد اليوم، ما ضرَّ عثمانَ ما عَملَ بعد اليوم».[4]

  ومن مآثره رضي الله عنه أنه حفر بئر رُومَة بعد حثِّ النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك بقوله: «منْ يحفرُ بئر رَومة فله الجنَّة».[5] فحفرها عثمان وجعلها للمسلمين.

---

[1] مسلم: صحيح مسلم ١٦٩/١٥.

[2] أحمد: المسند ١٨٤/٣. والحاكم: المستدرك ٤٢٢/٣ من حديث أنس، وقال: صحيح على شرط الشيخين.

[3] المحب الطبري: الرياض النضرة في مناقب العشرة ٢٠٣/١.

[4] الترمذي: السنن ٢٠٨/٣ برقم (٣٧٠١)، وقال: حديث حسن غريب من هذا الوجه، وصححه الألباني في "صحيح سنن الترمذي" ٢٠٨/٣.

[5] فتح الباري ٥٢/٧. وانظر: السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص١٥١.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وكان رضي الله عنه يعتق كل جمعة رقبة في سبيل الله منذ أسلم، فجميع ما أعتقه ألفان وأربعمائة رقبة تقريباً.[1]

كما اشترى بقعة بجانب المسجد النبوي، لكي يتَّسع لأهله، بعد سماعه قول النبي ﷺ: «من يشتري بُقعة آل فلانٍ فيزيدها في المسجد بخير له منها في الجنة».[2]

ووسع على المسلمين، حتى أنه تصدَّق بألف بعيرٍ بأحمالها على المحتاجين في عهد أبي بكر.[3]

قال الحسن البصري: أدركتُ عثمانَ على ما نقموا عليه، قلَّما يأتي على الناس يومٌ إلا وهم يقتسمون فيه خيراً، فيقالُ لهم: يا معشرَ المسلمين، اغدوا على أُعطياتكم. فيأخذونها وافرةً، ثم يقال لهم: يا معشرَ المسلمين، اغدوا على أرزاقِكم. فيأخذونها وافرةً، ثم يقال لهم: اغدوا على السَّمن والعسل. الأعطيات جاريةٌ، والأرزاق دائرةٌ والعدو منفيٌّ، وذاتُ البينِ حسنٌ، والخير كثيرٌ، وما مؤمنٌ يخاف مؤمناً.[4]

- ورعه وتقواه: كان عثمان رضي الله عنه صوَّاماً قواماً، قال ابن عمر في قوله تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ﴾ [الزمر: ٩]: ذاك عثمانُ.

وقال حسان بن ثابت رضي الله عنه:

ضَحَّوْا بِأَشْمَطَ عُنْوَانُ السُّجُودِ بِهِ يُقَطِّعُ اللَّيْلَ تَسْبِيحاً وَقُرْآنَا

وعن حماد بن زيد قال: رحم الله أمير المؤمنين عثمان، حُوصِر نيفاً وأربعين ليلةً، ولم تبدُ منه كلمةٌ يكون لمبتدعٍ فيها حجَّةٌ.[5] ومما يُؤثر عنه من أقواله التي تدلُّ على ورعه وتقواه، قوله: "ما زنيتُ ولا سَرقتُ، لا في جاهليةٍ ولا في إسلام".[6]

---

[1] الإمام أحمد: الزُّهد ص١٠٦.

[2] الترمذي: السنن، كتاب المناقب، باب مناقب عثمان ٦٢٧/٥ برقم (٣٧٠٣)، والنسائي، السنن، كتاب الوصايا، باب وقف المساجد ٢٣٥/٦، برقم (٣٦٠٦).

[3] انظر: محمود شاكر: التاريخ الإسلامي، ص٢١٧- ٢١٨.

[4] ابن عساكر: تاريخ دمشق ٥٢٤/٢١.

[5] المحب الطبري: الرياض النضرة في مناقب العشرة ٢١٦/١.

[6] أبو نعيم: حلية الأولياء ٦٠/١ بسندٍ رجاله ثقات، إلا أنه منقطع.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وروى شرحبيل بن مسلمة أن عثمان كان يُطعم الناس طعام الإمارة، ويأكل الخلَّ والزيت.

وروى عبد الله بن شداد أنه رأى عثمان يخطب يوم الجمعة وعليه ثوبٌ قيمته أربعة دراهم، وهو يومئذٍ أمير المؤمنين.[1]

وقد ورد أن عثمان بن عفّان رضي الله عنه أنه كان يقرأ القرآن في ركعة واحدة.[2]

- عفوه: وأمثلته كثيرة، منها عدم معاقبة من حاول الاعتداء عليه، فعن عمران بن عبد الله بن طلحة، أن عثمان بن عفان رضي الله عنه خرج لصلاة الغداة، فدخل من الباب الذي كان يدخل منه، فزحمه الباب فقال: انظروا. فنظروا فإذا رجل معه خِنجرٌ أو سيف فقال له عثمان رضي الله عنه: ما هذا؟

قال: أردت أن أقتلك.

قال: سبحان الله!. ويحكَ! علام تقتلني؟.

قال: ظلمني عاملك باليمن.

قال: أفلا رفعت مظلمتك إليّ، فإن لم أنصفك -أو أعديك- على عاملي أردت ذلك مني؟. ثم قال لمن حوله: ما تقولون؟.

فقالوا: يا أمير المؤمنين، عدوٌ أمكنك الله منه.

فقال: عبدٌ همَّ بذنب فكفه الله عني، ائتني بمن يكفل بك، لا تدخل المدينة ما وليتُ أمر المسلمين. فأتاه برجل من قومه، فكفل به، فأرسله عثمان رضي الله تعالى عنه.[3]

---

[1] المحب الطبري: الرياض النضرة في مناقب العشرة ٢١٦/١.

[2] البيهقي: السنن الكبرى ٣٩٦/٢.

[3] ابن شبة: تاريخ المدينة ٢٤٥/٢ بإسناد حسن. وقد ورد في فضل عثمان بن عفان رضي الله عنه أحاديث كثيرة جداً، فقد أورد الإمام أحمد بن حنبل رحمة الله عليه في كتاب فضائل الصحابة نحواً من تسعة وخمسين حديثاً ومائة حديث ما بين صحيح وحسن وضعيف، هذا بالإضافة إلى ما ورد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وقد اقتصرنا على بعض خلاله خشية الإطالة.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المطلب الثالث: أبرز خصائصه

- أشبه الصحابة خُلُقاً برسول الله: دخل رسول الله ﷺ على ابنته وهي تغسل رأس عثمان، فقال لها: «يَا بُنَيَّةُ: أَحْسِنِي إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ فَإِنَّهُ أَشْبَهُ أَصْحَابِي بِي خُلُقاً».[1]
- أول من هاجر من المسلمين بأهله في سبيل الله إلى الحبشة، سنة ٥ للبعثة الشريفة. قال صلى الله عليه وسلم «إنَّ عثمانَ لأوَّلُ مَن هاجَر إلى اللهِ بأهلِه بعدَ لوطٍ».[2]
- مشهود له بالجنة: صعد النبي ﷺأحداً ومعه أبو بكر وعمر وعثمان فرجف فقال: أُسْكُن أُحُد- أظنه ضربه برجله- فليس عليك إلا نبي وصدِّيق وشهيدان».[3] وقال فيه أيضاً: «بشِّرْه بالجنة على بلوَى تُصيبه».[4] وقال: «لِكُلِّ نَبِيٍّ رَفِيقٌ، وَرَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ عُثْمَانُ».[5]
- أفضل الصحابة بعد النبي وأبي بكر وعمر: عن ابن عمر قال: "كنا في زمن النبي عن لا نعدِل بأبي بكر أحداً، ثم عمر، ثم عثمان ثم نترك أصحاب النبي ﷺ لا نُفاضل بينهم".[6]
- مبعوث النبي ﷺ الخاص للتفاوض مع قريش في صلح الحديبية: وذلك في السنة السادسة للهجرة، فبعثه إلى زعماء وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأتِ للحرب، وإنه إنما جاء زائراً لهذا البيت ومعظماً لحرمته، فقالوا لعثمان: "إن شئتَ أن تطوفَ بالبيت فطُفْ،" فقال: "ما كنتُ لأفعلَ حتى يطوفَ به رسول الله صلى الله عليه وسلم".[7]
- بايع النبي عنه: وذلك عندما غاب عن بيعة الرضوان بسبب ذهابه لمفاوضة قريشٍ، فصفق النبي يمينه بشماله وقال: «هَذهِ لِعُثمانُ».[8]

---

[1] الطبراني: المعجم الكبير ٧٦/١ برقم (٩٨)، والهيثمي: مجمع الزوائد ٨١/٩ وقال: رجاله ثقات.

[2] الطبراني: المعجم الكبير ١/ ١٤٣، وابن كثير: البداية والنهاية ٦٦/٣، وسنده ضعيف جداً.

[3] العسقلاني: فتح الباري ٥٣/٧.

[4] البخاري: صحيح البخاري ٧٠٥/١ برقم (٣٦٩٣)، ومسلم: صحيح مسلم ٩٧٨/١، برقم (٢٤٠٣).

[5] الترمذي: السنن برقم (٣٦٩٨) وقال: هذا حديث غريب ليس إسناده بالقوي، وهو منقطع. وانظر: ابن الأثير: أسد الغابة ٥٨٩/٣.

[6] العسقلاني: فتح الباري ٥٤/٧.

[7] انظر: ابن هشام: السيرة النبوية ٢٠٢/٣.

[8] البخاري: صحيح البخاري برقم (٣٥٨٦). والعسقلاني: فتح الباري ٧١/٧.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

المبحث الثاني

خلافة عثمان بن عفان

المطلب الأول: بيعته

بعد طعنِ الخليفة عمر ﷺ، وإيقانه بدنو أجله، تردَّد عمر في تلبية طلب بعض المسلمين منه أن يعهد بالخلافة لمن يرتضيه ويختاره، فالأمر جِدُّ خطير، ويدل على اهتمام الفاروق بالأُمَّة ووَحدتها حتى اللحظات الأخيرة من حياته، ثم قال: "إن استخلفتُ فقد استخلفَ من هو خير مني (أبو بكر)، وإن أتركْ فقد تركَ من هو خيرٌ مني" (رسول الله صلى الله عليه وسلم)، ثم تكشَّفتْ ألمعيَّته عن طريقة جديدة لانتخاب الخليفة؛ بأن جعل الشورى في ستَّةٍ من نخبة الصحابة، ممن شهدوا بدراً، وتوفيَ النبي ﷺ وهو عنهم راضٍ، ويصلحون لتولِّي خلافة المسلمين، حتى يتشاوروا في اختيار أحدهم خليفة، وهم: عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم، وعيَّن ابنه عبد الله بن عمر معهم مشيراً فقط، وليس له من الأمر شيء.[1]

أما الصلاة فقد أمر صهيباً الرومي أن يُصلِّيَ بالناس أثناء التشاور، حتى لا يُوَلِّيَ إمامةَ الصلاة أحداً من الستة؛ فيصبح هذا ترشيحاً من عمر له بالخلافة، وأمر أبا طلحة الأنصاري والمقداد ابن الأسود أن يراقبا سير الانتخابات، وحدَّد الفاروق رضي الله عنه ثلاثة أيام لاختيار الخليفة الجديد –وهي مدَّة كافية– ولا يَزيدون عليها؛ حتى لا يحدث شقاقٌ وخلاف بين المسلمين، ولذلك قال عمر رضي الله عنه لهم: لا يأتي اليوم الرابع إلا وعليكم أمير.

ومكث عبد الرحمن بن عوف ﷺثلاثة أيام يسأل المهاجرين والأنصار، حتى قال: "والله ما تركت بيتاً من بيوت المهاجرين والأنصار إلا وسألتهم فما رأيتهم يعدلون بعثمانَ أحداً".[2]

---

[1] الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٢٦٤/٣، وابن كثير: البداية والنهاية ١٥٥/٧.

[2] البخاري: الصحيح، كتاب الأحكام، باب كيف يبلغ الإمام الناس برقم (٦٧٨١).

www.alukah.net

وفي أول اجتماع للمجلس قال عبد الرحمن: اجْعَلُوا أَمْرَكُمْ إلى ثَلَاثَةٍ مِنْكُمْ. فقال الزُّبَيْرُ: قد جَعَلْتُ أَمْرِي إلى عَلِيٍّ، وقال طَلْحَةُ: قد جَعَلْتُ أَمْرِي إلى عُثْمَانَ، وقال سَعْدٌ: قد جَعَلْتُ أَمْرِي إلى عبد الرحمن بن عَوْفٍ، فقال عبد الرحمن: أَيُّكُمَا تَبَرَّأَ من هذا الْأَمْرِ فَنَجْعَلُهُ إليه، وَاللَّهُ عليه وَالْإِسْلَامُ لَيَنْظُرَنَّ أَفْضَلَهُمْ في نَفْسِهِ؟ فَأُسْكِتَ الشَّيْخَانِ، فقال عبد الرحمن: أَفَتَجْعَلُونَهُ إليّ، وَاللَّهُ عَلَيَّ أَنْ لَا آلو عن أَفْضَلِكُمْ؟ قالا: نعم، فَأَخَذَ بِيَدِ أَحَدِهِمَا، فقال: لك قَرَابَةٌ من رسول اللَّهِ ﷺ وَالْقَدَمُ في الْإِسْلَامِ ما قد عَلِمْتَ، فَاللَّهُ عَلَيْكَ لَئِنْ أَمَّرْتُكَ لَتَعْدِلَنَّ، وَلَئِنْ أَمَّرْتُ عُثْمَانَ لَتَسْمَعَنَّ وَلَتُطِيعَنَّ ، ثُمَّ خَلَا بِالْآخَرِ، فقال له مِثْلَ ذلك، فلما أَخَذَ الْمِيثَاقَ، قال: ارْفَعْ يَدَكَ يا عُثْمَانُ، فَبَايَعَهُ فَبَايَعَ له عَلِيٌّ، وَوَلَجَ أَهْلُ الدَّارِ فَبَايَعُوهُ.[1]

واستقرَّ الأمر بالإجماع على مبايعة عثمان رضي الله عنه خليفة للمسلمين، وأُخِذَت البيعة في المسجد النبوي في شهر ذي الحجة عام ٢٣هـ، إذ أقبل عبد الرحمن بن عوف بعدما أرسل إلى من كان حاضراً من المهاجرين والأنصار وأمراء الأجناد، ومنهم: معاوية أمير الشام، وعمير بن سعد أمير حمص، وعمرو بن العاص أمير مصر، فاجتمع رجال الشورى عند المنبر فبايعه عبد الرحمن أوَّلاً، ثم بايعه المهاجرون والأنصار وأمراء الأجناد والمسلمون، ويُرْوَى أن علي بن أبي طالب أوَّل من بايع بعد عبد الرحمن بن عوف.

[1] ابن سعد: الطبقات الكبرى ٣/٣٦٤. و محمد الصادق عرجون: عثمان بن عفان رضي الله عنه، ص٦٢- ٦٣.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

المطلب الثاني: سياسة الرعية

كانت سياسة عثمان بن عفان الشرعية متممة لمنهج الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، فقد دامت خلافته اثنتي عشرة سنة، نعِمَ المسلمون خلالها برغد العيش مع الأمن، وقد وصف الحسن البصري رحمه الله عهد عثمان بقوله: "العطيات دارَّة، وذاتُ البين حَسن، والخير كثير، ما على الأرض مؤمنٌ يخاف مؤمناً".[1]

أعلن الخليفة الثالث ﷺ أن مرجعيته العليا هي كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وما كان عليه أبو بكر وعمر، فعن عون بن عبد الله بن عتبة قال: خطب عثمان الناس بعدما بويع فقال: "أما بعد، فإني كُلفت وقد قبلتُ، ألا وإني متبعٌ ولست بمبتدعٍ، ألا وإن لكم عليَّ بعد كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ثلاثاً: اتباع من كان قبلي فيما اجتمعتم عليه وسننتم، وسن أهل الخير فيما تسنوا عن ملأ، والكف عنكم إلا فيما استوجبتم العقوبة، وإن الدنيا خضرة وقد شهيت إلى الناس ومال إليها كثير منهم، فلا تركنوا إلى الدنيا ولا تثقوا بها، فإنها ليست بثقة، واعلموا أنها غير تاركة إلا من تركها".[2]

وكانت السيادة في عهد عثمان للشريعة الإسلامية، من كتابٍ وسنة، وأحكامُها فوق كل الاعتبارات، وما عُملَ به على عهد الصديق والفاروق، والخليفة —نفسه– مقيد بأحكامها، لا يملك أن يتقدَّم عنها ولا يتأخَّر، أما طاعته فمقيدة بطاعة الله تعالى ورسوله، ولا داعي لإثبات ما نقول، لكن حسبنا قوله ﷺ "إن وجدتم في كتاب الله أن تضعوا رجليَ في القيد، فضعوا رجلي في القيد".[3]

---

[1] ابن شبة: تاريخ المدينة٢٤٢/٢ بإسناد صحيح.

[2] محمد أمحزون: تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة من روايات الإمام الطبري والمحدثين، ص٢٢٨.

[3] الصلابي: عثمان بن عفان، ص٩٧- ٩٨ بتصرف.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وتتلخص سياسة عثمان الشرعية بعدة أمور، منها:

١. أنَّ الحاكم مواطن كسائر موطني الدولة، فليس له أُبَّهة الملك، ولا يتطاول على رعيته بسكنى القصور والتنعم بملذات الحياة الدنيا، بل يخالط الناس ويجالسهم، ولا يحتجب عنهم إلا لعذر، قال الحسن البصري: "رأيت عثمان رضي الله عنه ينام في المسجد متوسداً رداءه".[١]

٢. والحاكم هو المسؤول الأول عن الرعية يتلمس حوائجهم وينظر في مصالحهم، فعن موسى بن طلحة بن عبيد الله قال: "رأيت عثمان بن عفان والمؤذن يُؤذِّن وهو يُحدثُ الناسَ، يسألهم ويستخبرهم عن الأسعار والأخبار".[٢]

٣. تطبيق الشرع والنظام على الجميع من غير محاباة لأحد مهما كان قربه من الحاكم ومساعديه، فقد أَكْثَرَ النَّاسُ فِي شَأْنِ واليه على الكوفة الوَلِيدِ بن عقبة، فقال سَنَأْخُذُ فِيهِ بِالحَقِّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ دَعَا عَلِيّاً فَأَمَرَهُ أَنْ يَجْلِدَهُ فَجَلَدَهُ ثَمَانِينَ". ثم عزله لنفس السَّبب.[٣]

٤. العدل بين الرعية، وتوزيع الثروة عليهم من غير منة أو إذلال فعن عروة بن الزبير، قال: "أدركتُ زمن عثمان وما من نفسٍ مسلمة إلا ولها في مال الله حقٌّ".[٤]

٥. حفظ أعراض الرعية وعدم السماح لأحدٍ أن يتعرض لها بغير حق، وخصوصاً الهجاء، فالشعر آنذاك أقوى وسائل الإعلام، لذا عاقب عثمان رضي الله عنه من يسب ويفتري على المسلمين بغير حق من الشعراء، فحصَّن الأمة من تطاول الشعراء، فعن أبي رجاء: "أن عمر، وعثمان رضي الله عنهما كانا يعاقبان على الهجاء".[٥]

٦. تغليب جانب مصلحة الأمة على مصلحة الحاكم في ترك القتال مع الحاكم، وإن كان الحق معه، حتى لا يستحرَّ القتل بالناس. وبهذه القاعدة الفريدة في السياسة الشرعية ختم الخليفة الراشد الثالث حياته، فكان نموذجاً فريداً في التضحية عبر التاريخ الإسلامي، بل والإنساني.

---

[١] ابن سعد: الطبقات ٤٤/٣ وابن شبة: تاريخ المدينة ٢٣٤/٢ بإسناد صحيح.

[٢] ابن سعد: الطبقات ٤٣/٣، وابن شبة: تاريخ المدينة ١٧٩/٢ بإسناد صحيح.

[٣] ابن سعد: الطبقات ٢٣/٥. وابن شبة: تاريخ المدينة ١٩١/٢. والبلاذري: فتوح البلدان ٥٢١/٥.

[٤] ابن شبة: تاريخ المدينة ٢٤١/٢ بإسناد حسن

[٥] ابن شبة: تاريخ المدينة ٢٤٢/٢، وابن أبي شيبة: المصنف برقم (٢٨٣٨١) بإسناد صحيح.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

٧. ممارسة الشُّورى: اتَّخذ عثمان رضي الله عنه في دولته مجلساً للشُّورى يتألَّف من كبار الصحابة، وطلب من العمَّال، والقادة قائلاً: أمَّا بعد: فقوموا على ما فارقتم عليه عمر، ولا تبدِّلوا، ومهما أشكل عليكم؛ فردُّوه إلينا نجمع عليه الأمَّة، ثم نردُّه عليكم.[١] ومن أمثلتها مشاورته في قبول طلب معاوية بغزو البحر، وعبد الله بن سعد في غزو إفريقية، وقبوله بمشورة زينب بنت كعب بن عجرة في عدة المتوفى عنها زوجها، وغيرها.

[١] الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٦٩٢/٢.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المطلب الثالث: علاقته بآل بيت رسول الله ﷺ

تبادل آل البيت مع الخليفة عثمان –رضوان الله عليهم– مشاعر الود والاحترام والمحبة في الله، ويكفي أن نقف عند باقة مما ورد عن آل البيت في حق عثمان رضي الله عنه، حاله كحال صاحبيه أبي بكر وعمر، بل إنه قد نال شرف مصاهرة النَّبي ﷺ مرتين كما أسلفنا.

وقد كان علي رضي الله عنه وآل البيت يجلونه ويعترفون بحقه، فعن النزَّال بن سبره قال: سألتُ علياً عن عثمان فقال: "ذاك امرؤٌ يُدعى في الملأ الأعلى ذا النورين، كان خَتنَ رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابنتيه، وضمِنَ له بيتاً في الجنة".[1]

وقال في حقه أيضاً: "كان عثمانُ أوصلَنا للرَّحم وأتْقانا للرَّبِ".[2]

كما كان رضي الله عنه معترفاً بإمامته وخلافته، مصاحباً له، لا يعصي له أمراً، روى ابن أبي شيبة عن ابن الحنفية عن علي قال: "لو سيرني عثمان إلى صرار لسمعتُ وأطعتُ".[3]

وروى الإمام أحمد بسنده عن محمد بن حاطب قال: سألتُ علياً عن عثمانَ فقال: "هو من الذين آمنوا ثم اتَّقوا، ثم آمنوا ثم اتَّقوا".[4]

وعنه أيضاً قال: سمعتُ علياً يقول: ﴿إنَّ الذينَ سبقتْ لهم منَّا الحُسْنى﴾ [المائدة: ٩٣] منهم عثمان.[5]

دخل أبو قتادة ورجلٌ آخر معه من الأنصار على عثمانَ وهو محصورٌ، فاستأذناه في الحج فأذن لهما ثم قالا: مع من نكون إن ظهر هؤلاء القوم؟.

قال: عليكم بالجماعة.

---

[1] السيوطي: جامع الأحاديث ١٤٧/٣٢ برقم (٣٤٩٥٦).

[2] العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة ٣٧٨/٤.

[3] الصرار: هو الخيط الذي تشد به التوادي على أطراف الناقة لئلا يرضعها ولدها. انظر: ابن منظور: لسان العرب ٤٥١/٤ مادة صرر. وابن الأثير: الكامل ٢٢/٣. وفيه دليل على مدى إتباعه وطاعته لعثمان رضي الله عنه.

[4] الإمام أحمد: المستدرك ١٠٤/٣.

[5] أبو نعيم: حلية الأولياء ٥٦/١ وقال ابن كثير في البداية والنهاية ٢٠٢/٧: ثبت عنه ذلك من غير وجه.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

قالا أرأيت إن أصابك هؤلاء القوم، وكانت الجماعة فيهم؟.

قال: الزموا الجماعة حيث كانت.

فخرجنا من عنده فلما بلغنا باب الدار لقينا الحسن بن علي داخلاً فرجعنا على إثر الحسن لننظرَ ما يرد، فلما دخل الحسن عليه قال: يا أمير المؤمنين إنا طوعُ يدك، فمرني بما شئت.

فأجابه عثمان: "يا ابن أخي؛ ارجعْ فاجلس في بيتك حتى يأتي الله بأمره، فلا حاجة لي في إراقة الدماء".[1]

وكان ممن ذهب —من هل البيت الكرام– للدفاع عنه، ولزمَ بابه وهو محاصَر، الحسن والحسين، وعبد الله بن عباس، ولما أمَّره رضي الله عنه في تلك الأيام على الحج قال: والله يا أمير المؤمنين، لجهادُ هؤلاء أحبُّ إلي من الحج. فأقسمَ عليه لينطلقنَّ.[2]

وقد قال في مدح عثمان وذم من ينتقصه: "رحم الله أبا عمرو، كان والله أكرمَ الحفدة وأفضل البررة، هجَّاداً بالأسحار، كثيرَ الدُّموع عند ذكر النار، نهَّاضاً عن كل مكرمة، سبَّاقاً إلى كل منحة.. فأعقب الله على من يلعنْه لعنةَ اللاعنين إلى يوم الدين.[3]

جاء رجل إلى علي بن الحسين فقال له: يا ابن بنت رسول الله ما تقول في عثمان؟ فقال له: يا أخي أنت من قوم قال الله فيهم: ﴿لِلْفُقَرَاءِ المهَاجِرِينَ﴾ الآية، قال: لا. قال: فوالله لئن لم تكن من أهل الآية فأنتم من قوم قال الله فيهم: ﴿والذِينَ تَبَوَّؤُا الدَّارَ والإِيمَانَ﴾ الآية قال: لا، قال: فوالله لئن لم تكن من أهل الآية الثالثة لتخرجنَّ من الإسلام وهي قوله تعالى: ﴿والذِينَ جَاؤُوا مِنْ بَعدهِم يَقولُونَ رَبَّنا اغْفِرْ لنَا ولإِخْوانِنا الذينَ سَبقُونا بِالإيمانِ﴾.[4]

---

[1] الإمام أحمد: فضائل الصحابة ٤٦٥/١ برقم (٧٥٣) وإسناده صحيح.

[2] الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٦٨٤/٢.

[3] الطبراني: المعجم الكبير ٢٣٩/١٠.

[4] القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ٣٢/١٨.

www.alukah.net

ولقد أنكر على رضي الله عنه قتلَ عثمان وتبرأ من دمه، وكان يُقسم على ذلك في خُطبه وغيرها، أنه لم يقتله ولا أمر بقتله ولا مالأ ولا رضي.

وقد ثبت عنه من طرق تفيد القطع، خلافاً لما تزعمه الرافضة ومن سار على نهجهم من أنه كان راضياً بقتل عثمان رضي الله عنهما، ومما جاء عن علي رضي الله عنه في ذلك أنه قال: "اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان، ولقد طاش عقلي يوم قُتل عثمان، وأنكرت نفسي.. اللهم خذْ مني لعثمان حتى ترضى.[1]

[1] انظر: ابن حنبل: فضائل الصحابة ٤٥٢/١ برقم (٧٢٧) وإسناده حسن، وابن سعد: الطبقات ٨٢/٣. والحاكم: المستدرك ٩٥/٣ والحديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

المبحث الثالث

أهم منجزات الخليفة عثمان بن عفان

المطلب الأول: النظام الإداري في عهد عثمان بن عفان

أولاً: الولايات

ولاية مصر: كان عمرو بن العاص والياً على مصر في خلافة عمر بن الخطَّاب لما يقرب من أربع سنوات، وتوفي عمر وهو والٍ عليها، وقد أقرَّه عثمان بن عفَّان في بداية خلافته، وكان يساعده في عمله في بعض نواحي مصر عبد الله بن أبي السَّرح، وكان من ضمن قوَّاده، واشترك معه في فتوح مصر، وقد عيَّنه عمر على بعض صعيد مصر بعد فتحها، ويبدو أنّه حدث بينهما خلافٌ، فوفد عمرو بن العاص على عثمان وطلب منه عزل عبد الله بن سعد عن ولاية الصَّعيد، فرفض عثمان ذلك، ونتيجة لإصرار كلٍّ من الطَّرفين على رأيه، رأى عثمان أنَّ من الأصلح عزلَ عمرو عن مصر وتولية عبد الله بن أبي السَّرح مكانه، وهذا ما حدث بالفعل، وفي هذه الظُّروف قام الرُّوم بالإغارة على الإسكندرية، والاستيلاء عليها، وقتلوا جميع من فيها من المسلمين، فرأى أمير المؤمنين تعيين عمرو على جيوش مصر لفتح الإسكندرية من جديدٍ، وتمَّ ذلك فعلاً، فأراد عثمان أن يعيد عمراً على ولاية أجناد مصر، وأن يجعل عبد الله بن سعد على الخراج، إلا أنَّ عمراً رفض ذلك، فأقرَّ عثمان عبد الله بن أبي السَّرح على ولاية مصر بأجنادها، وخراجها، ومختلف شؤونها، لتنعم بالأمن والاستقرار، إلى أن تمكَّن مثيرو الفتنة من أتباع عبد الله بن سبأ من الوصول إليها، وإثارة الغوغاء فيها، فكان لهم وللمتأثِّرين بهم دورٌ كبيرٌ في مقتل عثمان رضي الله عنه،[1] وسيأتي بإذن الله تعالى تفصيل ذلك.

[1] انظر: محمود شاكر: التاريخ الإسلامي، الخلفاء الراشدون ١٦٣/٣.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ولاية البصرة: استشهد عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه ووالیه على البصرة أبو موسى الأشعريُّ، وكان المجتمع البصري في تلك الفترة قد بدأ يشهد تغيرات أساسية في بنيته السُّكَّانيَّة والاجتماعيَّة، حيث أصبحت البصرة من أكبر المعسكرات الإسلاميَّة، إذ هاجر إليها العديد من القبائل، وساهم جندها بفاعلية في الفتوحات، وبالتَّالي اكتسبت أهمِّيَّةً خاصَّةً في بداية عهد عثمان، وتتطلَّب درايةً خاصَّةً بإدارة أحوالها.

وقد كانت فترة ولاية أبي موسى للبصرة فترة جهادٍ، ففُتحت عدة مدن في بلاد فارس، إضافة إلى تثبيته للحكم الإسلامي في المواقع المفتوحة سابقاً، والّتي حاول أهلها الانتقاض بعد وفاة عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه، فقام أبو موسى بردعهم، وتثبيت الإسلام في تلك الرُّبوع، ناهيك عن تنظيمها إدارياً، فقد قام بتنظيم الرَّيِّ، وحفر القنوات لجلب مياه الشرب إلى البصرة، ولم تستمرَّ ولاية أبي موسى على البصرة طويلاً، إذ قام عثمان بعزله سنة ٢٩هـ كما ترجِّح معظم الرِّوايات . وعيَّن مكانه عبد الله بن عامر بن كريز.

وملخص روايات المؤرِّخين حول عزل أبي موسى تفيد أنَّ مشكلةً -اختُلف في سببها- قامت بينه وبين جند البصرة، فقدِمت مجموعةٌ من أهلها إلى عثمان تحرِّضه على عزل أبي موسى، فقال عثمان: من تحبُّون؟ فقالوا في كلِّ أحدٍ عوضٌ عنه، فعزله وولَّى مكانه عبد الله بن عامر، في خطوة تكشف براعة عثمان السياسية والإدارية، فقد استطاع في تلك الظُّروف الصَّعبة الّتي تمرُّ بها ولاية البصرة أن يعيِّن قائداً جديداً يحظى بقبول الأجناد وطاعتهم، وبالتَّالي توحَّدت صفوفهم أمام الأعداء، فضلاً عن أنَّ هذا العزل تكريمٌ للصحابي الجليل أبي موسى من أن يُهان من قبل بعض العوامِّ ممَّن تأثَّروا بالغوغاء، وأفكار المتمرِّدين المنحرفة ممَّن حملوا في نفوسهم كراهيته، أما أبو موسى الأشعري فكان مثالاً للطاعة والحكمة وسعة الصدر والزهد في الولاية، فحينما بلغه عزله وتولية عبد الله بن عامر مكانه، صعد المنبر، وأثنى على عبد الله بن عامر بقوله: "قد جاءكم غلامٌ كريمُ العمَّات والخالات والجدَّات في قريشٍ، يفيض عليكم المال فيضاً".

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ثم عمد عثمان رضي الله عنه إلى ضمِّ أجناد البحرين وعُمان إلى البصرة، فكان لهذا الدَّمج أثره الكبير على قوَّة ابن عامرٍ ونفوذه، الذي امتد ليشمل عُمان والبحرين وسجستان وخراسان وفارس والأهواز، فأضحت البصرة إحدى الحواضر الإسلاميَّة المستقرَّة، ومركزاً إداريّاً مرموقاً، فزادت هجرة القبائل إليها، كما اشتهرت البصرة في أيَّامه ببيت مالها؛ الّذي زاد دخله في عهده، وكثرت مصروفاته، وكان زياد بن أبي سفيان المسؤولَ عن بيت المال، وقد ولي بعض المشاريع من حفرٍ للأنهار، وغيرها نيابةً عن ابن عامر، وفي ولاية ابن عامر ضربت الدَّراهم في أنحاء فارس التَّابعة لولايته، وعليها ألفاظ عربيَّةٌ في الفترة من سنة ٣٠ هـ حتى ٣٥ هـ.

أمضى ابن عامر ولايته محبوباً لأهل البصرة عموماً، ورغم ما أثير حوله من أنَّ عثمان ولاه، لأنَّه قريبٌ له، إلا أنَّ أهل البصرة تمسَّكوا به.

ولاية الكوفة: اشتهر عن أهلها تسلُّطهم على ولاتهم، ورفضهم لهم في كثير من الأحيان مهما استرضوهم، فقد أتعبوا عمر قبل عثمان؛ حتَّى قال فيهم: من عذيري من أهل الكوفة؟!.[1]

كان على ولاية الكوفة حين بويع عثمان بالخلافة المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، فعزله وعين سعد بن أبي وقَّاص رضي الله عنه مكانه، عملاً بوصية من عمر بن الخطاب للخليفة من بعده أن يستعمل سعداً؛ نظراً لأنَّ عمر عزله عن الكوفة في أواخر خلافته، وقال: إنِّي لم أعزله عن سوءٍ ولا خيانةٍ، وأوصي الخليفة بعدي أن يستعملَه، فتولَّى سعد بن أبي وقاص على الكوفة، التي أسَّسها في عهد عمر، فكان أخبر النَّاس بها، وأعلمهم بأحوالها، وعُين عبد الله بن مسعود على بيت المال فيها.

كانت ولاية سعدٍ على الكوفة سنةً وشهراً، ثم ولَّى عثمانُ الوليدَ بن عقبة بن أبي معيط، وكان قد عمل قبل تعيينه على الكوفة قائداً لأحد جيوش أبي بكر في الأردن، ثمَّ عمل لعمر على عرب الجزيرة، وفي أواخر خلافة عمر، وأوائل خلافة عثمان كان الوليد أحد قوَّاد أجناد الكوفة،

[1] البلاذري: أنساب الأشراف ٥٧/٧.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وصاحب خبرةٍ بها وبأجنادها وثغورها ومختلف شؤونها، وكعادة الخلفاء الراشدين في تفضيل أصحاب الخبرة في المنطقة، فقد وقع اختيار عثمان رضي الله عنه على الوليد لولاية الكوفة، وللأسف فإن كثيراً ممَّن كتبوا عن تعيين عثمان للوليد سواءً من المتقدِّمين أو من المتأخِّرين حاولوا اتِّهام عثمان في هذا التعيين، فقالوا: إنَّ عثمان استعمل على الكوفة أخاه لأمِّه الوليد بن عقبة، والذي بقي في الكوفة محبوباً من أهلها، ليس على داره بابٌ، يستقبل الناس في مختلف الأوقات؛ ليحلَّ مشكلاتهم، إلى أن وقعت بعض الحوادث في الكوفة أوجدت بعض الحاقدين عليه بسبب موقفه الحازم في قضيَّة ابن الحيسمان الخزاعيِّ؛ الّذي قتله مجموعةٌ من شباب الكوفة، فأقام الوليد بن عقبة بأمرٍ من عثمان رضي الله عنه حدَّ القصاص على هؤلاء الشباب المعتدين، ومنذ تلك الحادثة أخذ أولياء هؤلاء المجرمين يروِّجون الشَّائعات ضد الوليد بن عقبة، ويحاولون جاهدين أن يتصيَّدوا أخطاءه، واستطاع أولئك الموتورون تلفيق قضيَّةٍ ضدَّ الوليد، وهي دعوى شربه الخمر، الّتي سبَّبت إقامة الحد عليه، وعزله عن ولاية الكوفة.

وبعد عزل الوليد أرسل عثمان إلى أهل الكوفة كتاباً جاء فيه: "من عبد الله عثمان أمير المؤمنين إلى أهل الكوفة، سلامٌ، أمَّا بعد: فإنِّي استعملت عليكم الوليد بن عقبة حتَّى تولت منعته، واستقامت طريقته، وكان من صالحي أهله، وأوصيته بكم، ولم أوصِكم به، فلمَّا بدا لكم خيرهُ، وكُفَّ عنكم شرُّه، وغلبتكم علانيته؛ طعنتم به في سريرته، والله أعلم بكم، وبه، وقد بعثت عليكم سعيد بن العاص أميراً".[1]

اتَّجه سعيد بن العاص سنة ٣٠هـ إلى الكوفة، وخطب في أهلها قائلاً: "والله لقد بُعثت إليكم وإنِّي لكارهٌ! ولكنِّي لم أجدْ بُدّاً؛ إذ أُمرت أن أأتمر، ألا إنَّ الفتنة قد أطلعت خطمها، وعينيها، والله لأضربنَّ وجهها حتَّى أقمعها".

[1] ابن شبة النميري: تاريخ المدينة ٣/٩٧٥.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

استطاع سعيد بن العاص أن ينظِّم أمور ولايته ، ويعيّن الأمراء ، والولاة في مختلف الثُّغور التَّابعة للكوفة ويضبط أمورها، وقام بغزوات تكللت بالنجاح، ثمَّ بدأت الفتنة تطلُّ برأسها في الكوفة سنة ٣٣هـ، ودبَّر الأشتر النَّخعيُّ مؤامرةً ضدَّ سعيد بن العاص، وانخدع بها بعض عوامِّ الكوفة، فقاموا مع الأشتر برفض ولاية سعيدٍ، والطَّلب من عثمان إبداله بغيرِه، وكان طلب خلعه مقروناً بثورةٍ حمل الغوغاء فيها السِّلاح، وهي سابقةٌ خطيرةٌ في تاريخ الكوفة، بل وفي تاريخ الدَّولة الإسلاميَّة كلِّها، وليس فيها سببٌ حقيقي، سوى التَّغيُّر الّذي طرأ على نفوس الناس بتأثير دعاة الفتنة، والخروج على عثمان، فأصدر الخليفة عثمان أمراً بعزل سعيد بناءً على طلب بعض أهل الكوفة، وتولية أبي موسى الأشعريّ، بكتاب قال فيه: "بسم الله الرحمن الرَّحيم: أما بعد فقد أمَّرت عليكم من اخترتم، وأعفيتكم من سعيدٍ، ووالله لأفرشنَّكم عرضي، ولأبذلن لكم صبري، ولأستصلحنكم بجهدي! فلا تدعوا شيئاً أحببتموه، لا يُعصى الله فيه إلا سألتموه، ولا شيئاً كرهتموه، لا يعصى الله فيه إلا استعفيتم منه، أنزل فيه عندما أحببتم؛ حتَّى لا يكون لكم عليَّ حجَّةٌ".[١]

وقد استهلَّ أبو موسى ولايته بخطبةٍ قال فيها: أيُّها النَّاس! لا تنفروا في مثل هذا، ولا تعودوا لمثله، الزموا جماعتكم، والطَّاعة، وإيَّاكم والعجلة! اصبروا. قالوا: فَصَلِّ بنا. قال: لا إلا على السَّمع والطَّاعة لعثمان بن عفَّان، قالوا: على السَّمع والطَّاعة لعثمان. وقد استمرَّ أبو موسى رضي الله عنه والياً على الكوفة حتَّى قتل عثمان.[٢]

ولاية الشام: تسلم عثمان الخلافة ومعاوية والٍ على معظم الشام، فأقره عثمان عليها، كما أقر بعض الولاة الآخرين على ولايات اليمن والبحرين ومصر وغيرها من الولايات.[٣] وكان عمير بن سعد الأنصاري والياً على حمص، لكنه أصيب بمرض أعياه عن القيام بأعباء الولاية، فطلب

---

[١] الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٣/٣٧٥.

[٢] الصلابي: تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان، نقلاً عن: الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٣٣٩/٥.

[٣] خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص١٥٥.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

من الخليفة عثمان أن يعفيه، فأعفاه وضم ولايته إلى معاوية بن أبي سفيان، وبذلك زاد نفوذ معاوية فامتد إلى حمص التي ولى عليها من قبله عبد الرحمن بن خالد بن الوليد.. كما توفي والي فلسطين علقمة بن محرز، فضم عثمان ولايته إلى ولاية معاوية، فاجتمعت الشام لمعاوية بعد سنتين من خلافة عثمان.[1]

ولاية أرمينيا: وصلت جيوش الفتح الإسلامي إلى أرمينية في عهد عمر بن الخطاب ﷺ، واستكمل الفتح في عهد عثمان ﷺ، بعد أن كتب إِلى مُعاوية بن أبي سُفيان، وكان عامله على الشَّام والجزيرة الفُراتيَّة وثغورها يأمره أن يُوجِّه حبيب بن مسلمة الفهري إِلَى أرمينية لِإتمام فتحها، فنهض إليها في ثمانية آلاف مقاتل، فحاصر مدينة قاليقلا لِيُصالحه بعض أهلها على الجزية، فيما فضَّل آخرون الجلاء عنها، ثُمَّ سيَّر مُعاوية ألفي رجل أسكنهم قاليقلا وأقطعهم بها القطائع وجعلهم مُرابطين بها.

حشد البيزنطيُّون جيشاً كبيراً لِمُواجهة حبيب بن مسلمة، فأمدَّهُ الخليفة بِستَّة آلاف مُقاتل، وقيل اثني عشر ألفاً، خرجوا من الكوفة بِقيادة سلمان بن ربيعة الباهلي، فهزم الروم، ثُمَّ توغَّل داخل أرمينية، فافتتح مُدن دُبيل والنشوى وجرزان وتفليس.

وكثمرة لمعاهدات الصُّلح بين أغلب مناطق أرمينيا، اعتنقَ كثيرٌ من سكانها الأرمن الإسلامَ؛ فشهدَت خلافةُ عثمان تثبيتَ الإسلام بأرمينية. وقد همَّ عثمان أن يُولِّي حبيباً جميعَ أرمينية، ثمَّ رأى أن يتركه غازياً لثغور الشام والجزيرة، فعاد حبيب ونزل حمص. ثُمَّ توقَّفت الفُتُوحات بسبب اضطراب الأحوال الداخليَّة في بلاد المسلمين إثر تمرُّد الغوغاء نهاية خِلافة عُثمان بن عفَّان، وارتدت معظم الأعاجم، فلقيَ المسلمون عناء شديداً في فتحها وتنظيمها وضبط أمورها مجدداً.[2]

---

[1] الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٥/٥٤٢- ٥٤٣.

[2] البلاذري: فُتُوح البُلدان ٣/١٩٦- ١٩٧.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ثانياً: القضاء

عندما تولى عثمان الخلافة كان على قضاء المدينة علي بن أبي طالب، وزيد بن ثابت، والسائب بن يزيد، فلم يترك لهؤلاء القضاة الاستقلال بالفصل في القضايا، كما في عهد عمر، بل تحولوا إلى مستشارين، وكان ينظر في الخصومات بنفسه، ويستشير الصحابة فيما يحكم به، فإن وافق رأيهم رأيَه أمضاه، وإن لم يوافق رأيهم رأيه نظر في الأمر بعد ذلك.

ومن مآثر عثمان اتخاذه أول دارٍ للقضاء في الإسلام، لأن من سبقه كان يتخذ المسجد كمكان للقضاء، كما ترك أحكاماً فقهية في مجال القصاص والجنايات والحدود والتعزير والعبادات والمعاملات.[1] وقد عرض عثمان القضاء على ابن عمر فأجابه: لا أقضي بين اثنين ولا أؤم رجلين، أما سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «منْ عاذَ بالله فقدْ عاذَ بمعاذٍ»[2]؟. قال عثمان: بلى، قال: فإني أعوذ بالله أن تستعملني، فأعفاه، وقال: لا تخبر بهذا أحداً.

أما أشهر القضاة في خلافة عثمان فهم:

زيد بن ثابت/ المدينة.

أبو الدرداء الأنصاري/ دمشق.

كعب بن سور الأزدي/ البصرة.

أبو موسى الأشعري/ البصرة، (بالإضافة إلى ولايته).

شريح القاضي/ الكوفة.

يعلى بن أمية/ اليمن.

عثمان بن قيس بن أبي العاص/ مصر.[3]

---

[1] انظر: خليفة بن خياط: التأريخ، ص١٧٩.

[2] السيوطي: الدر المنثور ٥٠٨/٢. والقاري: مرقاة المفاتيح ٢٨٩/٧.

[3] انظر: أكرم ضياء العمري: عصر الخلافة الراشدة، ص ١٥٩- ١٦٠.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثالثاً: أبرز المنجزات الإدارية للخليفة عثمان

الإنجاز الأول: جمع القرآن الكريم في مصحف واحد

كان جمعُ المسلمين على مصحف واحد من أعظم أعمال عثمان ﷺ، إذ أنه مثَّل تحقيقاً لوعد الله بحفظ كتابه العزيز، في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾، فقد وحَّد هذا الجمع صفَّ المسلمين وكلمتهم، وردَّ عنهم فتناً عظيمة، واجتثَّ بذور الشقاق من بينهم.

والسبب في الجمع أن حُذيفة بن اليمان قَدِمَ على عثمان، وكان يغازي أهل الشام في فتح أرْمِينِيَة وأَذْرَبِيجَان مع أهل العراق، فأفزع حذيفةَ اختلافُهم في القراءة، فقال لعثمان: يا أمير المؤمنين، أدرك هذه الأُمَّة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فكان هذا دافعاً لعثمان على جمع القرآن للمرَّة الثانية حفاظاً عليه من اختلاف قرَّاء المسلمين في القراءة اختلافاً أَوْشَك أن يؤدِّيَ بهم إلى فتنة عمياء في كتاب الله تعالى.

قال القاضي الباقلاني: لم يقصد عثمانُ قَصْدَ أبي بكرٍ في جمع نفس القرآن بين لوحين، وإنما قصد جمعَهم على القراءات الثابتة المعروفة عن النَّبِيّ ﷺ، وإلغاء ما ليس كذلك، وأخْذَهُم بِمصحفٍ لا تقديم فيه ولا تأخير، ولا تأويل أُثبِت مع تنزيلٍ، ولا منسوخ تلاوته كُتِبَ مع مُثْبَت رسمه ومفروضٍ قراءتُه وحفظُه؛ خشية وقوع الفساد والشبهة على من يأتي بعد.[1]

وقال ابن حزم: خشي عثمان ﷺ أن يأتي فاسقٌ يسعى في كيدِ الدين، أو أن يهِمَ واهمٌ من أهل الخير، فيبدِّل شيئاً من المصحف، فيكونَ اختلافٌ يؤدي إلى الضلال، فكتب مصاحف مجمعاً عليها، وبعث إلى كل أفق مصحفاً، لكي -إن وهم واهمٌ، أو بدَّل مبدِّل- يرجِع إلى المصحف المجمع عليه، فانكشف الحق، وبطل الكيد والوهم.[2]

ولم يُقْدِم عثمان رضي الله عنه على هذه الخطوة إلا بعد أن جمع أعيان المهاجرين والأنصار وفي طليعتهم علي بن أبي طالب، وشاورهم في الأمر، فأجابوه إلى رأيه في صراحة وبإجماع، فلم

---

[1] انظر: السيوطي: الاتقان في علوم القرآن ١/١٢١.

[2] ابن حزم: الفصل في الملل والاهواء والنحل ٢/٢١٢.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

يُعرف قط يومئذ لهم مخالف،[1] فأرسل عثمان إلى أم المؤمنين حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسَخها في المصاحف ثم نردُّها إليك، ثم أوكل المهمة إلى زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزُبَيْر، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام وأوصاهم: "إذا اختلفتم في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم".[2]

وكان عثمان ﷺ يتعاهدهم ويشرف عليهم، وأمر أن يأتي كلُّ مَن عنده شيءٌ من القرآن سمعه من الرَّسُول ﷺ بِما عنده، فلا يغيب عن جمع القرآن أحدٌ عنده شيء منه، مع الاقتصار على ما ثبت بالتواتر، دون ما كانت روايته آحاداً، وكان يستوثق لذلك أشد الاستيثاق.

وبعد الفراغ من المهمة الجليلة، أرسل عثمان إلى كلِّ أفق بمصحف مما نسخوا، وبعث مع كل مصحف مَن يُرشد الناس إلى قراءته، بما يحتمله رسمه من القراءات ممَّا صحَّ وتواتر، فكان عبد الله بن السائب مع المصحف المكِّي، والمغيرة بن شهاب مع المصحف الشامي، وأبو عبد الرحمن السلمي مع المصحف الكوفي، وعامر بن قيس مع المصحف البصري، وأمر زيد بن ثابت أن يُقرئ الناس بالمدينة.. وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يُحرق.[3]

أما الطاعنون في جمع عثمان للقرآن، فالرد عليهم بقول عليِّ بنِ أبي طالبٍ: يا أيها الناسُ، لا تغلوا في عثمان، ولا تقولوا له إلا خيراً في المصاحف وإحراق المصاحف، فوالله ما فَعَلَ الذي فَعَلَ في المصاحفِ إلاَّ عن ملأٍ منَّا جميعاً، فقال: ما تقولون في هذه القراءة؟ فقد بلغني أن بعضهم يقول: إن قراءتي خيرٌ من قراءتك، وهذا يكاد أن يكون كُفْراً.

قلنا: فماذا ترى؟.

قال: نرى أن نجمع الناس على مصحفٍ واحدٍ، فلا تكون فرقةٌ، ولا يكون اختلافٌ.

قلنا: فنعمَ ما رأيت.[4]

---

[1] انظر: محمد الصادق عرجون: عثمان بن عفان ص١٧٤- ١٧٥.

[2] البخاري: فضائل القرآن ٣٩٣/٣.

[3] البخاري: صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن ١٠/٩- ١١، برقم (٤٩٨٧). وابن كثير: البداية والنهاية ٢١٧/٧. والسيوطي: تاريخ الخلفاء، ص٧٧.

[4] ابن أبي داود: المصاحف، ص٩٧-٩٨، وإسناده صحيح كما قال الحافظ ابن حجر في الفتح ١٨/٩.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الإنجاز الثاني: توسعة المسجد الحرام والمسجد النبوي

أ- زيادته في المسجد النبوي (٢٩ هـ/ ٦٥٠م): كان المسجد النبوي على عهد رسول الله مبنيًّاً باللبن وسقفه الجريد، وعمده خشب النخل، فلم يزدْ فيه أبو بكر شيئاً، وزاد فيه عمر وبناه على بنائه في عهد رسول الله باللبن والجريد وأعاد عُمده خشباً، ولما ولي عثمان، كلَّمه الناس أن يزيد في مسجدهم، وشكوا إليه ضيقه يوم الجمعة، حتى إنهم ليصلون في الرحاب. فشاور فيه عثمان أهل الرأي من أصحاب رسول الله، فأجمعوا على أن يهدمه ويزيد فيه، فصلَّى الظهر بالناس، ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: "أيها الناس إني أردت أن أهدم مسجد رسول الله وأزيد فيه، وأشهد أني سمعت رسول الله يقول: «مَنْ بَنَى مَسْجِداً لِلَّهِ كَمَفْحَصِ قَطَاةٍ أَوْ أَصْغَرَ بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ».[1] وتقدمني عمر بن الخطاب، كان قد زاد فيه وبناه، وقد شاورت أهل الرأي من أصحاب رسول الله ﷺ، فأجمعوا على هدمه وبنائه وتوسيعه.

جلب عثمان العمال وباشر ذلك بنفسه، فزاد فيه زيادة كبيرة، وبنى جداره بالحجارة المنقوشة والفضة، وجعل عمده من حجارة منقوشة وسقفه بالساج، وجعل أبوابه على ما كانت أيام عمر ستة أبواب. وكان أول عمله في شهر ربيع الأول من سنة ٢٩هـ، وفرغ منه في محرم سنة ٣٠هـ. وقد جعل عثمان طول المسجد مائة وستين ذراعاً وعرضه مائة وخمسين.

ب- زيادته في المسجد الحرام (٢٦هـ/ ٦٤٧م): كان المسجد الحرام فناء حول الكعبة، وفناء للطائفين، ولم يكن له على عهد النبي ﷺ وأبي بكر جدار يحيط به، في حين كانت الدور محدقة به، وبين الدور أبواب يدخل الناس من كل ناحية، فلما استخلف عمر بن الخطاب، وكثر الناس وسع المسجد واشترى دوراً وهدمها وزادها فيه، واتخذ للمسجد جداراً قصيراً دون القامة، وكانت المصابيح توضع عليه، فلما استخلف عثمان ابتاع منازل ووسعه بها أيضاً، وبنى المسجد الحرام، والأروقة، فكان عثمان أول من اتخذ للمسجد الأروقة.[2]

---

[1] العسقلاني: فتح الباري: ٢/٨٥- ٨٦.

[2] ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٣/٤٣.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

المطلب الثاني: السياسة المالية للخليفة عثمان

لم يطرأ تغير على بنية وآلية عمل مؤسسة بيت المال في عهد عثمان ﷺ، وإن كانت النظرة العامة إلى المال قد تغيرت، فزادت الثروات، وزالت عن الناس شدة عمر، وتوسعوا في العمران، فكان عهده عهدَ رخاء على المسلمين..[1]

أعلن عثمان ﷺ سياسته المالية عند توليه الخلافة، فوجه كتاباً بهذا الخصوص إلى ولاته، وكتاباً آخر إلى عمال الخراج، وأذاع كتاباً على العامة.

وتتلخص عناصر السياسة المالية العامة للخليفة عثمان بالنقاط التالية:

- ✓ تطبيق سياسة مالية إسلامية عامة، مثَّلت استمراراً للسياسة النبوية وسياستَي الخليفتين أبي بكر وعمر.
- ✓ عدم إخلال الجباية بالرعية.
- ✓ أخذ ما على المسلمين وأهل الذمة بالحق لبيت مال المسلمين، وإعطاؤهم ما لهم من حقوق في بيت مال المسلمين، وعدم ظلمهم.
- ✓ تمتع عمال الخراج بالأمانة والإخلاص.
- ✓ تفادي أية انحرافات مالية قد يسفر عنها تكامل النعم لدى العامة.[2]

ومما اجتهد فيه سيدنا عثمان فيما يخص القضايا المالية:

- زاد في أرزاق الجند بمقدار مئة درهم، وفي عطاء الناس عموماً نظراً لاتساع الفتوحات وكثرة موارد الدولة، وأنفق على إنشاء أول أسطول بحري للمسلمين من بيت المال.
- قام بتمويل حفر الآبار من بيت المال.[3]

---

[1] سعاد إبراهيم صالح: مبادئ الاقتصاد الإسلامي، ص٢١٧.

[2] سعيد ماهر الحاطوم: نظام الرقابة والمحاسبة المالية في العهد النبوي والخلافة الراشدة، رسالة ماجستير في قسم التاريخ والآثار بالجامعة الإسلامية بغزة (١٤٣٦٨- ٢٠١٥م)، ص٦٢.

[3] أنظر: قطب إبراهيم: السياسية المالية لعثمان، ص٦١.

www.alukah.net

وقد طالت ألسنة المغرضين وأقلامهم سيدنا عثمان، وكان مما لفقوه ضده زعمهم أنه بدد الكثير من المال العام على أقربائه وخاصته، وتحولت تلك التُّهم –وللأسف– إلى مُسلَّمات عند بعض المؤرخين. أما الردُّ عليها فبالقول إنها محض شُبَهٍ وافتراءات، وأن عثمان ﷺ أعطى أقاربه من حُر ماله، وقال في ذلك: "إني أحبُّ أهل بيتي وأعطيهم.. وأما إعطاؤهم فإني إنما أعطيهم من مالي، ولا أستحلُّ أموال المسلمين لنفسي ولا لأحدٍ من الناس، ولقد كنت أعطي العطية الكبيرة الرغيبة من صلب مالي أزمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما وأنا يومئذ شحيحٌ حريص، أفحينَ أتيت على أسنان أهل بيتي وفنيَ عمري وودَّعت الذي لي في أهلي قال الملحدون ما قالوا ".[1]

وقد أكد بطلانَ هذه الشبهة جمع غفير من الأئمة والمؤرخين الثقات، ولا مجال لاستعراضها ودحضها جميعاً.[2]

[1] ابن العربي: العواصم من القواصم، ص١٠٢.

[2] أنظر على سبيل المثال: ابن تيمية: منهاج السنة ١٩٠/٣. والطبري: تاريخ الطبري ٣٥٦/٣.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

المبحث الرابع

الفتوحات في عهد الخليفة عثمان بن عفان ﷺ

توسعت الفتوحات في عهد عثمان بن عفان؛ وأضيفت بلاد جديدة في إفريقيَّة وقُبْرُص وأرْمِينِيَة وبلاد السند، وكَابُل وفَرْغَانَة.. إلى دولة الخلافة، وأَجْبَرَت الجيوش الإسلامية مَن نَقَضَ العهد إلى الصلح من جديد في فارس وخراسان وغيرها.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المطلب الأول: فتح إفريقية

ذكرنا سابقاً أن جيوش الروم في الإسكندريَّة نقضت عهدها بعد استشهاد عمر ﷺ، وبدأت التحرُّك بمعاونة القوَّة البَحْرِيَّة المرابطة في الإسكندريَّة، فأرسل عثمان عمرو بن العاص، وقاتل أهلَها، وأجبرهم على العودة إلى عهدهم.

وكان عمر بن الخطاب قد منع عمرو بن العاص من الانسياح في إفريقيَّة بعدما فتح طرابلس، إلا أن عثمان بن عفان أذن له بذلك، وأرسل عبد الله بن سعد بن أبي سرح على رأس قوَّة، فاجتاز طَرَابُلُس، واستولى على سفن للروم، ثم واصل سيره في إفريقيَّة، والتقى بجيوش للبيزنطيين عام ٢٧هـ في "سُبَيْطِلَة" جنوب غربي القيروان التي لم تكن قد أُسِّسَت بعدُ، وحقَّق المسلمون فيها انتصاراً ساحقاً، إلا أن عبد الله بن سعد بن أبي سرح اضطر إلى عقد معاهدة صلحٍ مع البيزنطيين مقابل جزية سنويَّة يدفعونها على أن يخلي إفريقيَّة، حيث اضطر للعودة إلى مصر لمواجهة النوبة، الذين تمرَّدوا وهدَّدوا مصر من ناحية الجنوب.

وعندما نقضت إفريقيَّة العهد عام ٣٣هـ سار إليها ابن أبي سرح ففتحها ثانية، وأَجْبَر أهلها على الخضوع والعودة إلى دفع الجزيرة بعدما منعوها.[١]

كما بسطت جيوش المسلمين سيطرتها على بلاد النوبة جنوب مصر، وتمكنت من ضمها إلى الدولة الإسلامية، ثم وصلت جيوشهم إلى سهول تونس، وهزمت قوات الروم فيها، وغدت المنطقة الممتدة من برقة إلى تونس خاضعة للدولة الإسلامية.[٢]

---

[١] الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٣/٣٦٠، وابن كثير: البداية والنهاية ٧/١٨٥.

[٢] انظر الذهبي: الإشارة إلى وفيات الأعيان، عهد الخلفاء الراشدين، ص٣١٨.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

المطلب الثاني: الفتوحات في بلاد ما وراء النهر

أما على الجبهة الشرقيَّة فكانت غزوات أهل الكوفة جهة الرّيّ وأَذْرَبِيجَان، ثم نقضت أَذْرَبِيجَان العهد خلال إمارة الوليد بن عقبة على الكوفة (٢٥- ٢٩هـ)، ومنعت ما كانت صالحت عليه، فغزاها الوليد حتى قبلَ أهلها بالصلح والجزية، ثم سَيَّر سلمان بن ربيعة الباهلي إلى أَرْمِينِيَة، فشتَّت شمل المجتمعين بها ممن أراد نقض الطاعة.

وفي إمارة سعيد بن العاص فُتِحَت طَبَرِستان، حيث سار إليها بجيش فيه الحسن والحسين رضي الله عنهما، والعبادلة الأربعة (أبناء العباس، وعمر بن الخطاب، وعمرو بن العاص، والزبي)، وحذيفة بن اليمان، وغيرهم، كما أوغل عبد الرحمن بن ربيعة الباهلي في بلاد الخَزَر سنة ٣٢هـ حتى وصل بَلَنْجَر، ولكنَّ التُّرك تجمَّعوا بكثرة، فأُصيب عبد الرحمن بن ربيعة، وانهزم المسلمون، فتفرَّقوا فرقتين: فرقة عادت فقاتلت مع سلمان بن ربيعة، الذي كان قد أُرسل مدداً لأخيه، وفرقة أخرى أخذت طريق جيلان وجرجان.

وقد ساهم أهل البصرة في فتوح بلاد فارس وخراسان وثغر السند؛ فخلال ولاية عبد الله بن عامر نقض أهل فارس العهد، وقتلوا أميرهم عبيد الله بن مَعْمَر، فسار إليهم ابن عامر وهزمهم، وفي نفس السنة ٣١هـ نقض أهل خراسان عهدهم فخرج إليهم ابن عامر في جيش كثيف، فلما وصل الطَّبَسَيْنِ، وهما بابا خراسان، تلقَّاه أهلها بالصلح، ثم سار إلى قُوهِسْتَان، فقاتل أهلَها حتى طلبوا الصلح فصالحهم، ثم قصد نَيْسَابور فصالحهم، ثم وجَّه الأحنف بن قيس إلى طَخَارستان، ثم إلى مَرْوِ الرَّوْذِ، فلقيته جموع فهزمها، وتابع الفتوح في تلك الجهات، ثم صار إلى بَلْخ فصالحه أهلها، ثم قصد خُوَارِزم، فاستعصتْ عليه فعاد عنها إلى البصرة.

وخلال إمارة ابن عامر على البصرة قُتِلَ يزدجرد آخر ملوك الفرس سنة ٣١هـ، وبموته انتهت الدولة الساسانية.[١]

---

[١] محمد الخضري بك: محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية، ص٢٦١.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المطلب الثالث: متابعة فتح أرمينية

بدأ الفتح الإسلامي لأرمينية في عهد عمر بن الخطاب كما أسلفنا، وفي عهد عثمان بن عفان نجح المسلمون بقيادة حبيب بن مسلمة الفهري في بسط سلطانهم عليها بالكامل، فافتتح مدن "قالقيليا" و"شمشاط" و"ديبل" و"تفليس" وغيرها، ولما خاب أمل الأرمن في الحصول على دعم بيزنطة وحمايتها لهم، اضطر القائد الأرميني تيودور الرشتوني إلى عقد صلح مع المسلمين يقضي باعتراف الأرمن بسيادة المسلمين عليهم، وتعيينِ المسلمين حاكماً أرمينيّاً عامّاً على أرمينية، ووضع الأرمن فرقة عسكرية تعدادها خمسة عشر ألف جنديٍّ بتصرف المسلمين، وتعهُّدِ المسلمين بمساعدة الأرمن إذا تعرَّضوا لغزوٍ بيزنطي.

أقلق هذا الاتفاق بيزنطة، فقاد الإمبراطور البيزنطي كونستانز الثاني عام ٣٤هـ جيشاً ضخماً بهدف إعادة أرمينية إلى الحظيرة البيزنطية، وبالفعل استقبل عدداً كبيراً من الإقطاعيين وحكام المناطق الأرمينية الذين ساءهم الانسلاخ عن البيزنطيين وتخلوا عما تعهدوا به لتيودور الرشتوني، وكذلك فعل البطريرك الذي تنصَّل أمام الإمبراطور من الاتفاق مع المسلمين، وتبرَّأ مما فعله القائد تيودور، فدخل الأراضي الأرمينية، وعزل تيودور الرشتوني.

وقد أدت المشكلات التي عصفت بالدولة الإسلامية عقب مقتل الخليفة عثمان بن عفان عام ٣٥هـ (٦٥٦م)، إلى طلب معاوية بن أبي سفيان عقد صلح مع البيزنطيين عام ٣٨هـ، بعد أن سحب القوات الإسلامية المرابطة في أرمينية ليدعم موقفه في الصراع مع علي بن أبي طالب.[١]

[١] أنظر: حُسين صابر محمد دياب: أرمينية من الفتح الإسلامي إلى مُستهل القرن الخامس الهجري، ص٣٤– ٣٥.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

المطلب الرابع: إنشاء الأسطول الإسلامي

كان معاوية رضي الله عنه صاحب فكرة إنشاء أول أسطول الإسلامي، وظلَّ يُقنع عثمان رضي الله عنه بضرورة إنشائه، ليغزوَ به البحر؛ ويواجه التهديدات الروميَّة المستمرة، فأَذِنَ له قائلاً: "لا تنتخبِ الناس، ولا تقرع بينهم، خَيِّرهم، فمن اختار الغزو طائعاً فاحمله وأَعِنْهُ". ففعل ذلك، واستعمل على البحر عبد الله بن قيس الجاسي حليف بن فزارة.

غزا معاوية قُبْرُص سنة ٢٨هـ، وكانت بلداً مهمة للبيزنطيين، فقد اتخذوها محطة يستريحون ويتموَّنون منها خلال رحلاتهم أو حروبهم، وكان معه جمعٌ غفير من الصحابة، منهم أبو أيوب الأنصاري، وأبو الدرداء، وأبو ذر الغفاري، وعبادة بن الصامت وامرأته أم حرام بنت ملحان (شهيدة البحر)، والتي تقدمت لتركب دابتها، فنفرت الدابة وألقتها على الأرض فاندقت عنقها فماتت، ودفنت هناك، وعرف قبرها بقبر المرأة الصالحة.[١] وصالح معاوية أهلها، بينما غزا حبيب بن مسلمة بعض الحصون البحرية في الشام، مثل كمخ وشمشاط وألبيرة..[٢]

معركة ذات السواري: جَرَت هذه المعركة البحْرِيَّة الحاسمة بين المسلمين والروم قبالة السواحل الشامية عام ٣١هـ، وعُرفت بهذا الاسم لأن سواري سفن المسلمين والروم رُبطت بعضها ببعض، واشتبك جنود الجيشين على ظهر السفن بعد نفاد السهام، وكان قائد المسلمين أمير مصر عبد الله بن سعد بن أبي سرح، وقائد الروم الإمبراطور قسطنطين الثاني، ابن أخي هرقل، الذي كان يقود أكثر من ستمائة سفينة، ومع ذلك فقد فرَّ من المعركة، وهُزِم جيشه شرَّ هزيمة، في حين أكسبت هذه المعركة المسلمين خبرة في القتال البحري، وعجلت بإنهاء سيادة الدولة البيزنطية على البحر الأبيض المتوسط وظهور المسلمين كقوة منافسة لهم.[٣]

---

[١] حديث أم ملحان رضي الله عتها في صحيح البخاري برقم (٢٩٢٤) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أَوَّلُ جَيْشٍ مِن أُمَّتي يَغْزُونَ البَحْرَ قدْ أَوْجَبُوا، قالَتْ أُمُّ حَرامٍ: قُلتُ: يا رَسولَ اللَّهِ أنا فيهم؟ قالَ: أنْتِ فيهم، ثُمَّ قالَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: أَوَّلُ جَيْشٍ مِن أُمَّتي يَغْزُونَ مَدِينَةَ قَيْصَرَ مَغْفُورٌ لهمْ، فَقُلْتُ: أنا فيهم يا رَسولَ اللَّهِ؟ قالَ: لا».

[٢] انظر: البلاذري: فتوح البلدان ٢١٩/١.

[٣] الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٣٣٨/٣، وابن كثير: البداية والنهاية ١٧٧/٧.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المبحث الخامس

الفتنة ومقتل عثمان

قبل الخوض في بوادر الفتنة التي أدَّت لاسْتشهاد الخليفة الراشد الثالث، والبحث في تطوراتها، لا بأس بالتذكير بإخبار النبي ﷺ بوقوعها، وأن عثمان بن عفان رضي الله عنه يُقتل على إثرها، فعن عبد الله بن حوالة أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ نَجَا مِنْ ثَلاثٍ، فَقَدْ نَجَا، مَوْتِي، وَالدَّجَّالُ، وَقَتْلُ خَلِيفَةٍ مُصْطَبِرٍ بِالْحَقِّ يُعْطِيهِ».[1] ومن المسلَّمِ به أن الخليفة الذي قُتل مصطبراً بالحق هو عثمان، فالقرائن تدل على أنه الخليفة المقصود بهذا الحديث.

المطلب الأول: بوادر الفتنة

بدأت بوادر الفتنة في الظهور في أواخر عهد عثمان رضي الله عنه على يَدِ يهودي يُسَمَّى "عبد الله بن سبأ"، وكان أوَّلُ ظهوره في اليمن عام ٣٠هـ، حيث أظهر الإسلام، وأخذ يتنقَّل بين بلاد المسلمين ناشراً أفكاره وآراءه، فذهب إلى الحجاز، ومنها إلى العراق، فتبعه الأشتر النَّخَعِيُّ، وحُكَيْم بن جَبَلَة، ثمَّ انتقل إلى مصر، ووجد فيها مناخاً مناسباً لأفكاره، فاستطاع أن يجمع حوله قِلَّةً من الناس، ليبثَّ فيهم أفكاره وعقائده، ومنها: "عقيدة الرجعة" المأخوذة عن المجوسية، والتي يدَّعي فيها عودة محمد ﷺ بعد موته، وكذلك "عقيدة الوصاية"، ويزعم فيها أنَّ أمر النُّبوَّة منذ آدم عليه السلام وحتى محمد ﷺ بالوصاية، ويدَّعي فيها أيضاً أن النبي قد أوصى بالأمر لعليٍّ رضي الله عنه، وأَخَذ يُرسل بذلك إلى أهل الأمصار المختلفة،[2] فتبعه الرُّعاع والمنافقون والموتورون والطامعون،[3] الذين شرعوا بالطعن في الأمراء، ثم في الخليفة نفسه، وأعدَّ ابن سبأ

---

[1] انظر: ابن أبي شيبة: المصنف برقم (٣٦٧٧٣). وأحمد بن حنبل: المسند برقم (١٦٦٢٩) وابن شبة: تاريخ المدينة برقم (١٧٤٨).

[2] الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٣٤٠/٤. وابن حزم: الفصل في الملل والأهواء ٤٦/٥.

[3] يسمي بعض الكتاب هؤلاء "ثواراً"، أما حقيقتهم -كما نقلها المؤرخون الثقات- فهي ما أوردنا أعلاه، فمن القادة الخارجين على رأس المتمردين الأشتر النخعي الذي قال عنه الحافظ الذهبي في سير أعلام النبلاء: "وَكَانَ زَعِراً، سيئ الخلق"، وحكيم بن جبلّة أحد أشرار ولصوص البصرة المشهورين بالسرقة، وسودان بن حمران الذي خرج من مصر، وهو من قبيلة سكون باليمن، الذين قال فيهم عمر بن الخطاب -بعد أن نظر إليهم، ثم أعرض عنهم ثلاث مرات-: "سبحان الله! إني عنهم لمتردد، والله ما مر بي قومٌ أكره لي منهم".

شبكة الألوكة - قسم الكتب

قائمة بالطعون في عثمان رضي الله عنه، وأرسلها إلى الأمصار والبُلدان، ووصل الأمر إلى أمراء المسلمين، وإلى الخليفة رضي الله عنه، فأرسل مجموعة من الصحابة يفقِّهون الناس، ويعلِّمونهم، ويدفعون عنهم هذه الشبهات، فبعث محمد بن مَسْلَمَة إلى الكوفة، وأسامة بن زيد إلى البصرة، وعمَّار بن ياسر إلى مصر، وعبد الله بن عمر إلى الشام.[1]

كما أرسل عثمان رضي الله عنه إلى وُلاته يستشيرهم في أمر هذه الفتنة، فجاؤوا إلى المدينة، وبعد أن عرض عليهم الموقف أشار عبد الله بن عامر أن يشغل الناس بالجهاد حتى لا يتفرَّغوا لهذه الأمور، وأشار سعيد بن العاص باستئصال شأفة المفسدين وقطع دابرهم، وأشار معاوية رضي الله عنه بأن يُرَدَّ كلُّ والٍ إلى مصره فيكفي الخليفة أمره، أما عبد الله بن أبي سرح فكان رأيه أن يتألَّفهم بالمال، وقد جمع عثمان رضي الله عنه في معالجة هذا الأمر بين كل هذه الآراء، فأخرج بعض الجيوش للغزو، وأعطى المال لبعض الناس، وكلَّف كلَّ والٍ بمسؤوليَّته عن مصره، ولكنَّه لم يستأصِل شأفتهم.[2]

---

[1] الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٣٧٩/٣.

[2] الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٣٨٠/٣، وابن كثير: البداية والنهاية ١٨٧/٧.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المطلب الثاني: اشتعال الفتنة

بدأ رؤوس الفتنة يُكثرون الطعن على عثمان، ويكتبون هذه المطاعن المكذوبة والمفتراة، ويُرسلونها إلى الأقطار مُوَقَّعَةً بأسماء بعض أعيان الصحابة مثل طلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، والسيدة عائشة افتراءً عليهم.

وكان الرعاع والخارجون عن النظام قد جمعوا أنفسهم من البصرة، والكوفة، ومصر، وبدؤوا في التوجُّه ناحية المدينة المنوَّرة، بهدف الضَّغط على عثمان وعزله، لكنهم أعلنوا عند خروجهم أنهم ذاهبون للحجّ، وكان توقيت الخروج مناسباً لهذا الزعم، حيث كان في أواخر شوال وأوائل ذي القعدة سنة ٣٥هـ، فخرج من كل مدينة أربع فرق، فكان على رأس فرق البصرة حكيم بن جبلّة، وبشر بن شريح، وذريح بن عباد، وابن المحرك الحنفي، وعليهم جميعاً حرقوص بن زهير السعدي، وكان عددهم ما بين الستمائة والألف.

وكان على رأس الفرق التي خرجت من الكوفة الأشتر النخعي، وزيد بن صوحان، وزياد بن النضر الحارثي، وعبد الله بن الأصم، وعليهم جميعاً عمرو بن الأصم، وكان عددهم ما بين الستمائة والألف.

أما الفرق التي خرجت من مصر فكان بقيادة الغافقي بن حرب العكي، وتحته أربع فرق أخرى بقيادة عبد الرحمن بن عديس، وكنانة بن بشر، وسودان بن حمران، وقطيرة السكوني، وكان عددهم أيضاً ما بين الستمائة والألف، فكان مجموع المتمردين حوالي ألفين، اتفقوا على عزل عثمان، لكنهم اختلفوا فيمن يتولَّى الخلافة بعده، فأرادها أهل مصر لعليِّ بن أبي طالب (وصيِّ رسول الله ﷺ) حسب زعم ابن سبأ، في حين أرادها أهل الكوفة لواليهم السابق (الزبير بن العوام)، وأرادها أهل البصرة لواليهم السابق (طلحة بن عبيد الله).[1]

وبالتوقف قليلاً عند دوافع هؤلاء المتمردين، نجد أن دوافعهم تجاه المشاركة في الفتنة متعددة، ويمكن تصنيفها عل النحو التالي:

---

[1] انظر: الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٥/١٠٣-١٢٢.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

- فرقة تريد هدم الإسلام من خلال الطعن في رموزه، وعلى رأس هؤلاء عبد الله بن سبأ.
- فرقة من الموتورين الذين أقيمت عليهم أو على أقاربهم حدود الله من قِبَل الخليفة عثمان رضي الله عنه، فكان أن نقموا عليه، وجاؤوا للانتقام.
- فرقة من المغالين في الدين، الذين يقلبون الزلات البسيطة كبائرَ عظيمةً، وزعموا أن عثمان رضي الله عنه يستحق –بموجبها– العزل، أو حتى القتل.
- فرقة خرجت بدافع العصبية، وهذا حال القبائل اليمنية التي لم تنلِ التصدُّر والسبق مثل قريش، ومنهم قبيلة السكون اليمنية.
- فرقة الطامحين المتعجلين للرئاسة، ومحبي الظهور، أمثال الغافقي بن حرب، والأشتر النخعي، وغيرهم ممن لديهم القوة، والذكاء، والفصاحة، فظنوا أن هذه الجوانب وحدها تكفل لهم القيادة، وتعجبوا لعدم توليتهم.
- فرقة من البسطاء والجُهال، والحمقى، ممن انخدعوا بشعارات رؤوس الفتنة ومدبريها، وبالأخص ممن يسكنون في مناطق نائية، وبعيدة عن المدينة المنورة، مركز النُّبوة والخلافة والعلم والفقه، وقد اقتنع هؤلاء بعد حوارهم مع أصحاب النبي ﷺ ومع عثمان رضي الله عنه بخطأ ما كانوا عليه، ورجعوا إلى بلادهم راضين.
- فرقة ممن أكرمهم عثمان رضي الله عنه، لكنهم طمعوا في الولاية، ونقموا على عثمان لعدم نيلهم لها، ومن هؤلاء محمد بن أبي حذيفة، وكان ربيباً لعثمان، وقد أنفق عثمان رضي الله عنه عليه في صغره، لكنه انقلب عليه، وبدأ يؤلّب الناس عليه في السرّ، وهو ممن ألّف الرسائل على لسان الصحابة.

فلمَّا وصل هؤلاء المدينة أرسل عثمان رضي الله عنه لكلِّ فرقة منهم مَن أرادوه خليفةً، فذهب عليٌّ لفرقة أهل مصر فزجرهم وعنَّفهم، وقال لهم: "لقد علم الصالحون أنكم ملعونون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم، فارجعوا لا صبَّحكم الله". وفعل مثله صاحباه طلحة والزبير رضي

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الله عنهما، فطلب هؤلاء مقابلة الخليفة، فالْتَقَوْا بأمير المؤمنين عثمان، وأخذوا يُناقشونه فيما أخذوه عليه، وهو يردُّ عليهم ويفنِّد مزاعمهم.[1]

وكان من جملة ما دار بينهم أنهم طلبوا منه أن يقرأ "التاسعة" (أي سورة يونس)، فبدأ عثمان رضي الله عنه يقرأ، وهو يحفظ القرآن ويستظهره، حتى وصل إلى قوله تعالى: ﴿آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللهِ تَفْتَرُونَ﴾ [يونس:٥٩]. فقالوا: قف.

ثم قالوا له: أرأيت ما حميت من الحمى، آلله أذنَ لك أم على الله افتريتَ؟

فقال لهم رضي الله عنه: هذه الآية لم تنزل في ذلك، وإنما نزلت في المشركين، وقد حمى عمر الحمى، وزادت الإبل، فزدتُ في الحمى.

والحقيقة أن عثمان لم يكن أول من حمى الحمى، فقد حمى رسول الله صلى الله عليه وسلم مكاناً يسمى: "النقيع". روى أحمد عن حماد بن خالد، عن عبد الله، عن نافع، عن ابن عمر، أن النبي صلى الله عليه وسلم حمى النقيع (مكان) للخيل، قال حماد: فقلت له: لخيله؟ قال: "لا، لخيل المسلمين؛ أي: المرصودة للجهاد، أو ما يملكه بيت المال".[2]

واستمرَّ الحال على ما كان عليه في خلافة أبي بكر وعمر بن الخطاب، فقد روى ابن أبي شيبة عن ابن عمر: أن عمر حمى الربذة لنعم الصدقة.[3]

ثم أخذوا يعدّون عليه النقاط، وهو يردّ عليهم، ويفند مزاعمهم، ويفحمهم بالردّ، وبعد أن انتهوا من حوارهم قال لهم: ماذا تريدون؟

قالوا: المنفيّ يعود، والمحروم يُعطى، وتستَعمل ذوي الأمانة، والقوة وأن تعدل في القسمة.

ومع أن عثمان رضي الله عنه لم يتجاوز ما يطلبونه منه قدر أنملة، فلا محروم عنده ولا منفي، إلا أنه رضي الله عنه وافقهم على ما قالوا وكتب ذلك في كتابٍ.

---

[1] الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٣٨٧/٣، وابن كثير: البداية والنهاية ١٩٥/٧.

[2] الإمام أحمد: المسند ٤٧٦/١٠ برقم (٦٤٣٨). والحديث حسن لغيره.

[3] ابن أبي شيبة: المصنف ٣٠٤/٧، برقم (٢٣٦٥٤)، وإسناده صحيح.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ثم طلب المتمردون القادمون من مصر أن يعزل عبد الله بن سعد بن أبي سرح، ويولِّي محمد بن أبي بكر الصديق، الذي اشترك في أحداث الفتنة والحصار، وممن ألّبوا على عثمان في مصر، وقدم مع المتمردين.[1]

وبعد أن انتهَوْا من حوارهم توصلوا إلى إنهاء تمردهم، وكُتبَ ذلك في كتابٍ، وشرطَ عليهم عثمان ألاّ يشقُّوا له عصاً، ولا يُفَرِّقوا جماعة المسلمين، وأعطَوْه عهداً بذلك، وخرجوا من المدينة راضِين، ولم يبق في المدينة منهم سوى اثنين الأشتر النخعي، وحكيم بن جبلة، بهدف إثارة الفتن التي ظنَّ المسلمون في المدينة أنها قد خمدت، وبات المسلمون بطمأنينةٍ بعد أن أقضت مضاجعهم أحداث عظيمة استمرَّت شهوراً.

[1] تورد بعض المراجع التاريخية اسم محمد بن أبي بكر ضمن قائمة الصحابة، والصحيح ما أورده ابن تيمية في كتابه "منهاج السنة النبوية" ٢٨٧/٢ بقوله: " ليس له صحبةٌ ولا سابقة ولا فضيلة".

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المطلب الثالث: نكث العهد وحصار عثمان ومقتله

من المؤسف أن الفتنة لم تُخْمَد بمسايرة المتمردين؛ فقادتهم لم يكونوا في الحقيقة دعاة حقٍّ، وإنما متآمرين لبث الشقاق بين المسلمين، فانتشرت بعض الرسائل الملفَّقة، منها رسالة مختومة بخاتم عثمان مع الفرقة القادمة من مصر، بأن عثمان رضي الله عنه أَمَر والِيَه على مصر بقتل رؤوس الفتنة، فثارت ثائرتهم، وعادوا إلى المدينة من جديد، وفي طريق رجوعهم جاءتهم رسالة أخرى (مزورة) من علي بن أبي طالب يأمرهم بالقدوم إلى المدينة.

وتعجب المسلمون من عودة هؤلاء المتمردين مرة أخرى، فخرج إليهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقال المتمردون: ألم ترَ إلى عدو الله –يقصدون عثمان– كتب فينا كذا وكذا.. وقد أحلّ الله دمه، فقم معنا إليه.

فقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: والله لا أقوم معكم إلى هذا.

فقالوا له: فلِمَ كتبتَ إلينا؟

فقال: والله ما كتبتُ إليكم شيئاً.

فنظر القوم بعضهم إلى بعض، وأدرك العقلاء منهم أن هناك من يكتب الخطابات، ويوقعها بأسماء الصحابة ليشعل الفتنة، كما أن الأحداث تدل على أن علياً رضي الله عنه كان ضد المتمردين دائماً، فقد خرج إليهم أول ما قدموا، ثم خرج إليهم مرة أخرى عندما عادوا، وأنَّبهم، وحاول إخراجهم من المدينة، ولا صحة لروايات الروافض المليئة بالأغاليط التي تفيد أن علياً كان ينقِمُ على عثمان في بعض الأمور، فتركه، ولم يدافع عنه.

وصعد عثمان رضي الله عنه المنبر، وخطب الجمعة، وبعد الصلاة صعد المنبر مرة أخرى، وقال: "يا هؤلاء الغرباء، الله، الله، فوالله، إن أهل المدينة ليعلمون أنكم ملعونون على لسان محمد ﷺ، فامحوا الخطأ بالصواب، فإن الله لا يمحو السيئ إلا بالحسن".[1]

[1] الطبري: تاريخ الطبري ٣/٣٨٩.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

فقام محمد بن مسلمة رضي الله عنه، وقال: أنا أشهد بذلك. وكان بجواره حكيم بن جبلة، فأجلسه بالقوة، وسبّه، فقام زيد بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه وقال: إن ذلك في الكتاب، فقام له رجل من أهل الفتنة يُسمى محمد بن أبي مريرة، وجذبه، وسبّه، ثم قام رجل اسمه جهجاه الغفاري، وهو من أهل الفتنة أيضاً، واتجه نحو عثمان، وأخذ منه العصا التي كان يتّكأ عليها وهو يخطب، وهي عصا رسول الله ﷺ، فأخذها وكسرها على ركبته، وقال لعثمان رضي الله عنه: يا نعثل انزلْ من على هذا المنبر.[1]

وهذه أول مرة يُسبّ فيها عثمان رضي الله عنه علناً أمام الناس، ثم شرع المتمردون يحصبون الصحابة (يضربونهم بالحجارة)، بما فيهم عثمان رضي الله عنه، وهو على المنبر، وسالت الدماء على قميصه، وحمله بعض الصحابة رضوان الله عليهم جميعاً، وأدخلوه بيته، وحاصر المتمردون عثمان في داره، واستُخلف أبو هريرة رضي الله عنه على الصلاة بالمسلمين، وبعد أيام خرج عثمان رضي الله عنه من شرفة بيته، فخطب في الناس فقال: أليس فيكم علي بن أبي طالب، والزبير، وطلحة، وسعد بن أبي وقاص؟.

فوقف هؤلاء الصحابة وأجابوا: نعم نحن هنا.

فقال عثمان: أنشدكم بالذي لا إله إلا هو، تعلمون أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ يَبْتَاعَ مِرْبَدَ بَنِي فُلَانَ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ». فابتعته، فأتيت رسول الله ﷺ، فقلت: إني قد ابتعته.

فقال رسول الله صلى الله: «اجْعَلْهُ فِي مَسْجِدِنَا، وَأَجْرُهُ لَكَ».

قال الصحابة: نعم.

قال عثمان: أنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو تعلمون أن رسول الله ﷺ قال: "مَنْ يَبْتَاعُ بِئْرَ رُومَةَ؟». فابتعتها بكذا وكذا، فأتيت رسول الله ﷺ، فقلت: إني قد ابتعتها، فقال: «اجْعَلْهَا سِقَايَةً لِلْمُسْلِمِينَ، وَلَكَ أَجْرُهَا». ففعلتُ؟.[2]

قالوا: نعم، نشهد بذلك.

---

[1] نعثل كلمة تطلق على الظبي كثيف الشعر، وقد كان عثمان رضي الله عنه كثير الشعر كثّ اللحية، وتعني أيضاً "الشيخ الأحمق".

[2] النسائي: السنن برقم (٣١٢٨)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فقال: أنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو تعلمون أن رسول الله ﷺ نظر في وجوه القوم، يوم العُسرة، فقال: «مَنْ يُجَهِّزُ هَؤُلَاءِ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ». فجهزتهم، حتى ما يفقدون خطاماً، ولا عقالاً؟. قالوا: اللهم نعم.

فقال: اللهم اشهدْ، اللهم اشهد، اللهم اشهد. ثم انصرفَ.

وأشرف عثمان من بيته مرة أخرى، وهو محصور، فقال: أنشد بالله من شهد رسول الله ﷺ يوم حراء إذ اهتز الجبل فركله بقدمه ثم قال: «اسْكُنْ حِرَاءَ لَيْسَ عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ أَوْ صِدِّيقٌ أَوْ شَهِيدٌ». وأنا معه، فشهدوا بأن ما يقوله حق.

ثم قال: أنشد بالله من شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بيعة الرضوان، إذ بعثني إلى المشركين، إلى أهل مكة، فقال: «هَذِهِ يَدِي، وَهَذِهِ يَدْ عُثْمَانَ». ووضع يديه إحداهما على الأخرى، فبايع لي. فشهد له رجالٌ.

ثم قال: أنشد بالله من شهد رسول الله قال: «مَنْ يُوَسِّعُ لَنَا بِهَذَا الْبَيْتِ فِي الْمَسْجِد بُنِيَتْ لَهُ بِيْتاً فِي الْجَنَّةِ». فابتعته من مالي، فوسعتُ به المسجد. فشهد له رجال.

ثم قال: أنشد بالله من شهد رسول الله يوم جيش العسرة قال: «مَنْ يُنْفِقُ الْيَوْمَ نَفَقَةً مُتَقَبَّلَةٌ؟».[1] فجهزتُ نصف الجيش من مالي. فشهد له رجال.

ثم ارتفع سقف مطالب المتمردين، وتعدَّوا حدود المنطقيَّة، فخيروا عثمان بين العزل، والقتل، فكانت سابقةً خطيرة في التاريخ الإسلامي، وضعت الصحابة جميعاً –وعلى رأسهم الخليفة عثمان– في موقف صعب للغاية.

ثم ازاد حصار المتمردين، فمنعوا الطعام والماء عن الخليفة عثمان، مما دفع بعض الصحابة للتحرُّك، فحمل علي بن أبي طالب ماء في قربة، وركب بغلته، ودخل بين صفوف المتمردين، وهم يقرّعونه بغليظ الكلام، وهو يزجرهم، وينهاهم حتى قال لهم: "والله إن فارس والروم لا يفعلون كفعلكم هذا بهذا الرجل، والله إنهم ليأسرون فيسقون ويطعمون".[2]

---

[1] سبق تخريج هذه الأحاديث الصحيحة بألفاظ محتلفة..

[2] الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٦٧٢/٢، وابن كثير: الداية والنهاية ١٨٧/٧.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

أما أم المؤمنين رملةُ بنت أبي سفيان، فقد أخفت الماء في ثوبها، وقصدت بيت عثمان، فأحاط بها المتمردون، وقالوا لها: ما جاء بك؟

فقالت: عند عثمان وصايا لأيتام وأرامل، فأحببت أن أذكره بها، فكذبوها في ذلك، ودفعوها فسقط الماء، وقطعوا حزام البغلة، ودفعوها، فسقطت، وكادت أن تُقتل، لولا أن قام إليها جماعة من الناس، وأنقذوها.

واشتد حصار عثمان في بيته، واقتحموا داره، ودخل عليه كنانة بن بشر وعمرو بن الحكق وضرباه بالسيف، فمات شهيداً رضي الله عنه يوم ١٨ من ذي الحجة ٣٥هـ.[١]

[١] ابن كثير: البداية والنهاية ١٩٤/٧.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المطلب الرابع: موقف الصحابة رضي الله عنهم من أحداث الفتنة الكبرى

أثبتت الروايات الصحيحة المتواترة أن الصحابة رضي الله عنهم أنكروا حصار عثمان، ولم يرضوا بقتله،[1] بل إنهم قدموا إلى عثمان في بداية الفتنة، وعلى رأسهم علي بن أبي طالب، وطلحة، والزبير، وسعد بن أبي وقاص، وغيرهم رضي الله عنهم جميعاً، ولكن عثمان ﷺ رفض استخدام السلاح للدفاع عنه وعن المدينة المنورة، وفضَّل الحوار لإنهاء هذا التمرُّد بطريقة سلمية، حتى لو اضطر أن يضحي بنفسه في سبيل حقن دماء المسلمين في المدينة، مع أن عروضاً كثيرة وصلته من الزبير بن العوام رضي الله عنه بجمع بني عمرو بن عوف (قبيلة كبيرة على بعد أميال من المدينة) للدفاع عنه، كما عرض عليه زيد بن ثابت الأنصاري قتال هؤلاء البغاة بقوله: إن الأنصار خارج الباب يقولون: إن شئتَ كنا أنصار الله، إن شئتَ كنا أنصار الله، كررها مرتين. فقال عثمان رضي الله عنه: لا حاجة لي في ذلك، فكُفُّوا أيديَكم.[2]

كما رجع عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قبل أن يخرج للحج، وقال لعثمان رضي الله عنه: يا أمير المؤمنين؛ إن وقوفي على بابك أجاحف عنك- أي أدافع عنك- خيرٌ من الحج.

فقال له عثمان رضي الله عنه: لا حاجة في ذلك، وأمّره على الحج، فأطاعه ابن عباس رضي الله عنهما وقصد مكَّة.

وفي نفس السياق؛ قصد أبو هريرة ﷺ، ومجموعة من الصحابة عثمان في بيته، وقال له: لقد سمعت أذناي رسول الله ﷺ يقول: «تَكُونَ بَعْدِي فَتْنَةٌ وَأَحْدَاثٌ».

فقلتُ: وأين النجاةُ منها يا رسول الله؟

---

[1] ولا بدَّ من الإشارة هنا أيضاً إلى الخطأ الفادح الذي وقع فيه بعض المؤرخين المعاصرين، كسهيل زكار ونبيه عاقل ومحمد سهيل طقوش وغيرهم، من خلال تقسيم الصحابة الكرام حيال هذه الفتنة إلى ثلاثة أقسام هي:

- قسم بدَّلوا مواقفهم كليًّا فانفضُّوا من حول الخليفة بعد أن كانوا قد توسَّطوا بينه وبين المتمردين (الثائرين)، وتركوه يُواجه مصيره؛ بعد أن نكث بالوعد الذي قطعه لإصلاح نفسه.
- قسم الفئة الثانية: هي التي ساعد أصحابها الغوغاء وشاركوا في الحصار؛ والغريب تصنيف طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه ممن دفع بعشيرته (تيّم) إلى المشاركة في الفتنة، طمعاً في الخلافة.
- قسم استمر أصحابه على دعمهم للخليفة عثمان، منهم علي والزبير رضي الله عنهما.

ومن المؤسف أن بعض المواقع الالكترونية الإسلامية مثل "قصة الإسلام" نقلت بعض مقالات هؤلاء المؤرخين.

[2] ابن كثير: البداية والنهاية ٧/١٥٠. و ٧/ ٢٠٧.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

فقال: «الْأَمْيرُ وَحِزْبُهُ». وأشار إلى عثمان رضي الله عنه.

فقال القوم: ائذنْ لنا فلنقاتلْ، فقد أمكنتنا البصائر.

فأجاب عثمان: عزمتُ على كل أحدٍ لي عليه طاعة ألا يقاتل.

فقال أبو هريرة: يا عثمانُ؛ طاب الآن الضراب معك، فهذا هو الجهاد.

فأجابه عثمان: عزمت عليك لتخرجن. فخرج أبو هريرة رضي الله عنهما.

ثم أعلنها أمير المؤمنين صراحة؛ "إن أعظمكم عني غناءً رجلٌ كفَّ يده وسلاحه".

وهكذا كان موقف الصحابة رضي الله عنهم مزيجاً من الحيرة والحزن، فهم لا يستطيعون الدفاع عن خليفتهم المحاصر لنهيه لهم عن ذلك، فرجعوا إلى بيوتهم، وتأوَّلوا الأمر فقالوا: "إن كان قد أقسم علينا ألا نردّ عنه، فهو لم يقسم على أبنائنا"، فأرسل علي ابناه الحسن والحسين رضي الله عنهما، كما أرسل طلحة بن عبيد الله ابنه محمد بن طلحة، وأرسل الزبير بن العوام ابنه عبد الله بن الزبير، وهكذا فعل كثير من الصحابة رضي الله عنهم جميعاً، فاجتمع أبناء الصحابة في بيت عثمان رضي الله عنه، وأمّروا عليهم عبد الله بن الزبير بن العوام، وشرعوا في حراسة دار عثمان.[1]

والحقيقة أن عثمان رضي الله عنه كان يدرك صعوبة أن يقاوم سبعمئة من الصحابة ألفين من المتمردين ضمن المدينة المنورة، لذا فإن حفظ دماء سبعمائة من الصحابة الكرام وأهل المدينة، سيحفظ الأمة بأسرها، ثم إن مطالب هؤلاء الشذاذ حتى هذه اللحظة تنحصر بتولية علي، أو طلحة، أو الزبير، وكلهم من كبار الصحابة، ومن العشرة المبشرين بالجنة، فبقاؤهم خير من مقتلهم دفاعاً عنه، كما أن مقتلهم سيؤدي إلى تولي هؤلاء المتمردين السَّفلة الحكم بعد ذلك.

وأخيراً؛ كان –رضي الله عنه– على يقين كامل أنه سيقتل في سبيل الله شهيداً، إثر فتنة، وفي بلوى تصيبه، فقد سمع هذا بأُذنه من رسول الله ﷺ كما أسلفنا.

---

[1] ابن سعد: الطبقات ٥١/٣- ٥٢.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وينفث الكثير من غلاة الروافض والمستشرقين سموم حقدهم على الخليفة عثمان من خلال طرح التساؤل التالي: ألم يكن من الحكمة والسياسة الشرعية أن يتنازل عثمانُ عن الخلافة لعلي أو الزبير أو طلحة رضي الله عنهم جميعاً، وكلهم من الفضلاء، فلِمَ لَمْ يفعلْ؟

والجواب في الحديث الشريف الذي روته أمنا عَائِشَةَ عن رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا عُثْمَانُ، إِنْ وَلَّاكَ اللَّهُ هَذَا الْأَمْرَ يَوْماً، فَأَرَادَكَ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تَخْلَعَ قَمِيصَكَ الَّذِي قَمَّصَكَ اللَّهُ فَلَا تَخْلَعْهُ».[1] وكرّر ﷺ ذلك ثلاث مرات.

ولو تنازل عثمان ذلك لكان مخالفاً للشرع وللنهي النبوي الصريح.

وقد استشار عثمان بعض الصحابة في الأمر، فنصحه بعضهم بالتنحي ترجيحاً للمصلحة العامة، منهم المغيرة بن الأخنس الذي دافع عن عثمان حتى قُتل معه، في حين نظر آخرون إلى العواقب السلبية للتنحي، فاقترحوا على عثمان عدم التنازل لهؤلاء الغوغاء، منهم ابن عمر، الذي أجاب عثمان بصراحة: "أرأيت إن خُلِعتَ تُتركُ مُخَلَّداً في الدنيا؟.

قال عثمان: لا.

قال: فهل يملكون الجنة والنار؟.

قال عثمان: لا.

قال قلت: أرأيت إن لم تُخْلعْ هل يزيدون على قتلك؟.

قال عثمان: لا.

فقال ابن عمر: "فلا أرى أن تسنَّ هذه السنة في الإسلام، كلما سخط قوم على أميرهم خلعوه، لا تخلع قميصاً قمصكه الله".[2]

---

[1] الحاكم: المستدرك برقم (٤٥٤٤). والترمذي: السنن برقم (٣٧٠٥).

[2] ابن سعد: الطبقات ٤٨/٣. وابن أبي شيبة: المصنف ٥١٥/٧ بإسناد صحيح. وانظر: الإمام أحمد: المسند ١١٣/٤١.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

المبحث السادس

أبرز الشبهات المثارة ضد سيدنا عثمان بن عفان ﷺ

وجَّه أعداء الإسلام من أصحابُ الأحقاد سهامَهم المسمومة إلى الخليفةِ الراشِد الثالث، في محاوَلة يائسة للطعن في عدالته، وهدفهم الحقيقي يكمن في الدَّسِّ في الدين، والطَّعن على الوحي، والكذب على رسول الله ﷺ، الذي زكى عثمان في أكثر من مناسبة.

ولا يتسع المجال لإيراد تلك الشبهات ودحضها، حبَّاً بسيدنا عثمان وبرسول الله ﷺ، لذا سنقتصر على إيراد بعضها.

الشبهة الأولى: الاستئثار بالسلطة ومحاباة أقاربه

أكثر المغرضون من الافتراء على عثمان، وزعموا أنه حابى أقاربه، وألغى الشورى واستبد بالأمر كخطوة أولى نحو احتكار بني أمية للحكم، والدافع –حسب زعمهم– أن ولاءه لم يكن لله ورسوله، بل لعصبيته التي حملته على جحود الحق وإسخاط الله تعالى والأمة.

بداية؛ يجب أن نعلم أن النبي ﷺ كان يولي بني أمية أكثر من غيرهم، بل إنه لم يول من حي من العرب ما ولى من بني أمية، وذلك لما كانوا يتمتعون به من كفاءات إدارية.[1]

يقول الإمام ابن تيمية: "ولا نعرفُ قبيلةً من قبائل قريش فيها عمَّال لرسول الله ﷺ أكثر من بني عبد شمس؛ لأنهم كانوا كثيرين، وكان فيهم شرفٌ وسؤدد، فاستعمل النبي ﷺ في عزة الإسلام على أفضل الأرض مكةَ عتابَ بن أسيد بن أبي العاص بن أمية، واستعمل عثمانَ بن سعيد بن العاص على تيماء وخيبر وقرى عرينة، واستعمل أبانَ بن سعيد بن العاص على بعض السرايا، ثم استعمله على البحرين فلم يزل عليها بعد العلاء بن الحضرمي حتى توفي النبي ﷺ وهذا النَّقل عن النبي صلى الله عليه وسلم في استعمال هؤلاء ثابتٌ مشهور عنه، بل متواتر عند أهل العلم، ومنه متواتر عند علماء الحديث، ومنه ما يعرفه العلماء، ولا ينكره أحدٌ منهم".[2]

---

[1] علي الصلابي: عثمان بن عفان، ص٢٩٧ بتصرف.

[2] ابن تيمية: منهاج السنة ٢/٢٣٧– ٢٣٦.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وكذلك أبو بكر وعمر بعده، فقد ولى أبو بكر يزيد بن أبي سفيان في فتوح الشام، وأقره عمر، ثم ولى عمر بعده أخاه معاوية.

ثم أن عثمان رضي الله عنه وضَّح سبب استعمالهم بقوله: "أنا لم أستعملْ إلا من استعملَه النَّبي صلى الله عليه وسلم منهمْ".[1]

أما ولاة عثمان الخمسة من بني أمية، فقد ولاهم ضمن ثمانية عشر والياً لفضلهم ولكفاءتهم الإدارية، وهم:

- أولهم معاوية بن أبي سفيان، كاتب الوحي، وأخو أمنا رملة بنت أبي سفيان، ووالي الشأن لعمر بن الخطاب رضي الله عنه.[2]
- والثاني عبد الله بن سعد بن أبي السرح، صحابي جليل، فاتح إفريقية، وقائد جيش ضم عبد الله بن عباس، وعبد الله ابن عمر، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمرو، وصاحب أول انتصار عسكري للبحرية الإسلامية في معركة ذات السواري.[3]
- والثالث الوليد بن عقبة، صحابي جليل، وقائد فاتح، بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم على صدقات بني المصطلق، وبعثه عمر على صدقات بني تغلب.[4]
- والرابع سعيد بن العاص، صحابي جليل، فاتح طبرستان وجرجان، ساهم في جمع القرآن في خلافة عثمان رضي الله عنهما.[5]

---

[1] ابن تيمية: منهاج السنة ١٩٣/٦- ١٩٢.

[2] مسلم: الصحيح، فضائل الصحابة ١٦/ ٦٢.

[3] العسقلاني: الإصابة ٣١٨/٢.

[4] الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤١٣/٣. والزركلي: الأعلام ١٢٢/٨.

[5] ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب ١٨٣/٢.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

- والخامس عبد الله بن عامر بن كريز، الذي قال عنه رسول الله ﷺ «إنه لمسقيٌ»،[1] وكان أولَ من اتخذ الحياض بعرفة، وأجرى إليها العين. وكان من شجعان الصَّحابة وأُسُود فتوحات الإسلام، وهو الذي فتح فارس وخراسان وسجستان وكابُل.[2]

وكان هؤلاء جميعهم أهل خبرة وكفاية بالإمرة، وقدرة وافية عليها. ولا يجب أن ننسى أن هؤلاء الولاة لم يتولوا كلهم في وقت واحد، بل كان عثمان رضي الله عنه قد ولى الوليد بن عقبة ثم عزله، فولى مكانه سعيد بن العاص، وأيضاً لم يُتوفَّ عثمان إلا وقد عزل أيضاً سعيد بن العاص، وعندما توفي عثمان لم يكن من بني أمية من الولاة إلا ثلاثة؛ وهم: معاوية بن أبي سفيان، وعبد الله بن سعد بن أبي السرح، وعبد الله بن عامر بن كريز فقط.[3]

ثم لو كان عثمان رضي الله عنه يريد أن يجامل أحداً من أقاربه على حساب المسلمين لكان ربيبه محمد بن أبي حذيفة أولى الناس بهذه المجاملة، ولكن عثمان أبى أن يوليه شيئاً ليس كفؤاً له بقوله: "يا بني، لو كنتَ رضاً ثم سألتني العمل لاستعملتك، ولكن لستَ هناك"، ولم يكن ذلك كراهية منه له ولا نفوراً.[4]

كما أن بعض الذين ولاهم عثمان لا تربطهم به وشائج القرابة القريبة، وهناك في بني أمية من كان أقرب إلى عثمان منهم، فعبد الله بن سعد بن أبي السرح لم يكن أحد بني عمومة عثمان، فهو من بني عامر بن لؤي، وصلة قرابته لعثمان أنهما أخوان من الرضاعة.

ورغم كثرة ما قيل عن سيطرة الأمويين في خلافة عثمان، إلا أنهم كانوا بعيدين عن القضاء وبيت المال والشرطة والنيابة عن الحج.. فلِمَ لم يعينهم في هذه الوظائف لإتمام السيطرة؟.[5]

وبإلقاء نظرة على الجهاز الإداري في خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فسنجد أن نسبة لا بأس بها من ولاته كانوا من أقربائه، فواليه على اليمن ثم البصرة عبد الله بن عباس وهو

---

[1] الحاكم: المستدرك، كِتَابُ مَعْرِفَةِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ذِكْرُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرِ بْنِ كَرِيزٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ برقم (٦٧٧١).

[2] ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٩٣٢/٣. وابن حجر: الإصابة ٣٣/٥. وابن سعد: الطبقات الكبرى ٣٥/٥.

[3] عثمان بن محمد الخميس: حقبة من التاريخ، ص١٣٦- ١٣٧.

[4] علي الصلابي: عثمان بن عفان، ص٣٤٠ .

[5] حمدي شاهين: الدولة الأموية المفترى عليها، ص١٦٠و١٦٢.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ابن عمه، وعلى مكة قثم بن العباس بن عبد المطلب، وهو ابن عمه، وعلى مصر محمد بن أبي بكر ربيبه (ابن زوجته التي كانت زوجة لأبي بكر) وعلى خراسان جعد بن الهبيرة، وهو صهره وابن أخته، وعلى المدينة المنورة ثمامة بن العباس، ثم سهل بن حنيف الذي آخى النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين علي، وعلى العسكر ابنه محمد بن الحنفية، وعلى غمارة الحج سنة ٣٦هـ عبد الله بن عباس، وسنة ٣٧هـ قثم بن عباس، وسنة ٣٨هـ عبيد الله بن عباس.

ولم يشكل هذا الأمر طعناً في علي بن أبي طالب؛ لأن هؤلاء جميعاً مستحقُّون للإمارة، ولهم من المكانة، والفضل، والأهلية ما يؤهلهم للإمارة، وبالتالي كانت الولاية أمراً يجتهد فيه أمير المؤمنين حسب ما يرى، وحسب من يصلح أن يكون أهلاً للإمارة، سواء أكان قريباً له، أو غير قريب، بل إن له أن يعزل الفاضل، ويولّي المفضول إن رأى في ذلك مصلحةً للمسلمين، أو دفع فتنة عنهم، كما فعل عمر رضي الله عنه عندما عزل سعد بن أبي وقّاص، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، وخال النبي صلى الله عليه وسلم، والوحيد الذي افتداه بأبيه وأمه، وولّى بعده من هم أقل منه درجة، كعبد الله بن عبد الله بن عتبان، ثم زياد بن حنظلة، ثم عمار بن ياسر، ولم ينكر عليه أحدٌ ذلك.

كما أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ولّى محمد بن أبي بكر، وزياد بن أبي سفيان، والأشتر النخعي، ومعاوية بن سفيان ﷺ -بلا شك- أفضل من هؤلاء، وأصلحُ للإمارة، ومع ذلك فقد ولّاهم وله في ذلك اجتهاده وتأويله.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الشبهة الثانية: نفي أبي ذر الغفاري ﷺ وضربه

يزعم المغرضون أن عثمان بن عفان نفى أبا ذر الغفاري إلى الرَّبَذَةِ (مكانٌ معروفٌ بين مكة والمدينة) وضربه ضرباً مبرحاً، وهو من قال النبي صلى الله عليه وسلم في حقِّه: «ما أَظَلَّتِ الخضراءُ، ولا أَقَلَّتِ الغَبْراءُ من ذي لهجَةٍ أصدقَ ولا أوْفى من أبي ذَرٍّ».[1]

والرد على هذه الشبهة يكون من عدة وجوه:

- أولاً: إن أبا ذر ﷺ سكن الربذة بكامل رغبته، فقد روى البخاري عن زيد بن وهب، قال: "مررتُ بالربذة، فإذا أنا بأبي ذر رضي الله عنه، فقلت له: ما أنزلكَ منزلك هذا؟ قال: كنت بالشام، فاختلفت أنا ومعاوية في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾[التوبة: ٣٤]، فقال معاوية: نزلت في أهل الكتاب، فقلت: نزلت فينا وفيهم، فكان بيني وبينه في ذاك، وكتب إلى عثمان رضي الله عنه يشكوني،[2] فكتب إليَّ عثمان: أن اقدَمِ المدينة، فقدِمتُها، فكثر عليَّ الناس حتى كأنهم لم يروني قبل ذلك، فذكرت ذاك لعثمان؛ فقال لي: إن شئت تنحَّيت، فكنتَ قريباً، فذاك الذي أنزلني هذا المنزل، ولو أمَّروا عليَّ حبشيّاً لسمعتُ وأطعتُ".[3]

وعن عبد الله بن الصامت، قال: دخلت مع أبي ذر على عثمان رضي الله عنهما، وعلى أبي ذر عمامة، فرفع العمامة عن رأسه وقال: "إني والله يا أمير المؤمنين، ما أنا منهم، يعني من الخوارج، ولو أمَرتني أن أعض على عرقوبيَّ قتب لعضضتُ عليهما؛ حتى يأتيني الموت وأنا عاضٌّ عليهما، قال: صدقت يا أبا ذر، إنَّا إنما أرسلنا إليك لخير، لتجاورنا بالمدينة،

---

[1] الترمذي: السنن برقم (٣٨٠٢) واللفظ له. وفي هذا الحديث عثمان بن عمير وهو ضعيف، تكلموا فيه، فالحديث ضعيف من أجله، لكن للحديث شواهد، فهو حسن، وقد اعتمده شيخ الإسلام ابن تيمية.

[2] كان أبو ذر رضي الله عنه يمر على أغنياء الشام، وعلى ولاة معاوية في أنحاء الشام، ويقرعهم بقول الله عز وجل: {وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} [التوبة:٣٤]. ويقول لهم: من امتلك أكثر من قوت يوم واحد، فقد كنز المال، ودخل تحت حكم هذه الآية. فهو يرى أن على كل من يمتلك أكثر من قوت يوم واحد أن ينفقه في سبيل الله على سبيل الفرض، ومن لم يفعل دخل في حكم الآية، وقال أبو ذر هذا الكلام لمعاوية بن أبي سفيان أيضا، فقال له معاوية: سبحان الله إن الناس لا تطيق ذلك، وهذا الأمر ليس بواجب. وبلَّغ معاوية هذا الأمر إلى عثمان رضي الله عنهم أجمعين.

[3] البخاري: الصحيح برقم (١٤٠٦).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قال: لا حاجة لي في ذاك، إيذن لي في الربذة، قال: نعم، ونأمر لك بنعم من نعم الصدقة، تغدو عليك وتروح، قال: لا حاجة لنا في ذاك، يكفي أبا ذر صرمتُه، قال: ثم خرج".[1]

وعن غالب القطان، قال: "قلت للحسن: عثمانُ أخرج أبا ذر؟ قال: لا، معاذ الله".[2]

- ثانياً: إن أبا ذر الغفاري سكن الرَّبَذَةَ ومات بها لأنه كان رجلاً صالحاً زاهداً، وكان من مذهبه أن ما أمسكه الإنسان فاضلاً عن حاجته فهو كنزٌ يُكوى به في النار، واحتج على ذلك بما لا حجة فيه من الكتاب والسنة؛ احتج بقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [التوبة: ٣٤] ، وجعل الكنز ما يفضل عن الحاجة، واحتج بما سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم: «يا أبا ذر، ما أُحبُّ أنَّ لي مثلَ أُحُدٍ ذهباً يمضي عليه ثالثة، وعندي منه دينار، إلا ديناراً أرصده لدَين»،[3] ولما توفي عبدالرحمن بن عوف وخلَّف مالاً، جعل أبو ذر ذلك من الكنز الذي يعاقب عليه، وعثمان يناظره في ذلك، وقد وافق أبا ذر على هذا طائفةٌ من الزهاد، وأمَّا الخلفاء الراشدون وجماهير الصحابة والتابعين، فعلى خلاف هذا القول، فالكنز –عندهم– هو المال الذي لم تؤدَّ حقوقه.
- ثالثاً: معرفة أبي ذر المسبقة لما سيجري معه، وذلك لإخبار النبي صلى الله عليه وسلم له بذلك، فقال له: «مَالي أراكَ لَقًّا بَقًّا؟ كيفَ بكَ إذا أَخرجُوكَ منَ المدينة؟

قال: آتي الارضَ المقدَّسة.

قال: فكيفَ بكَ إذا أَخْرجوكَ منها؟

قال: آتي المدينةَ.

قال: فكيفَ بكَ إذا أَخْرجوكَ منها؟

---

[1] ابن شبة: تاريخ المدينة؛ ١٤٣/٢ برقم (١٨١٤). وقد ذكر ابن خلدون في المقدمة ١٣٩/٢ أن عثمان أقطع أبا ذر صرمة من الإبل، وأعطاه مملوكين، وأجرى عليه رزقاً، وكان يتعاهد المدينة.

[2] ابن شبة: تاريخ المدينة: ١٤٤/٢ برقم (١٨١٦).

[3] العسقلاني: فتح الباري، باب الرقائق ٢٦٩/١١.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

قال: آخُذُ سيفيَ فأَضرِبُ به.

قال: فلا، ولكن اسمعْ وأطعْ، وإنْ كانَ عبداً أسودَ...

فلما خرج إلى الربذة وجد بها غلاماً لعثمان أسود، فأذَّن وأقام، ثم قال: تقدم يا أبا ذر!

فقال أبو ذر: لا، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرني: أن أسمعَ وأطيعَ وإنْ كان عبداً أسودَ. فتقدم فصلى خلفه...[1]

وروى ابن جرير من حديث طويل عن يزيد الفقعسي، وفيه أن أبا ذر قال لعثمان: "فتأذن لي في الخروج، فإن المدينة ليست لي بدارٍ؟.

فقال عثمان: أوَ تستبدلُ بها إلا شراً منها.

فقال أبو ذرٍ: أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أخرَج منها إذا بلغ البناء سلعاً.

فقال عثمان: فانفذْ لما أمركَ به.

قال: فخرج حتى نزل (الربذة) فخط بها مسجداً وأقطعه عثمان صرمة من الإبل وأعطاه مملوكين وأرسل إليه أن تعاهد المدينة حتى لا ترتد أعرابياً ففعل".[2]

---

[1] ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث ١٤٧/١. والخطابي: غريب الحديث ٤١٩/١. نقلاً عن السيوطي في الجامع الكبير ٧١١/١. وانظر: المتقي الهندي: كنز العمال ٤٧١/٥ وعزاه لنعيم في الفتن، وقال الخطابي: ولم نقف عليه في مصنف عبد الرزاق.

[2] الحاكم: المستدرك ٣٨٧/٣ والذهبي: معرفة الصحابة ٨٦/٣. وانظر: الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٢٨٤/٤.

www.alukah.net

الشبهة الثالثة: تضييع عثمان لبعض حدود الله تعالى

ومن جملة الافتراءات التي أوردها الطاعنون على عثمان قولهم: "إن عثمان ضيَّع حدود الله، فلم يقتل عبيد الله بن عمر حين قتل الهرمزان مولى أمير المؤمنين علي بعد إسلامه، وكان أمير المؤمنين يطلب عبيد الله لإقامة القصاص عليه، فلحق بمعاوية".

والحقيقة غير ما افتراه هؤلاء، والرد يكون بتوضيح النقاط التالية:

- أولاً: قولهم: "إن الهرمزان كان مولى عليٍّ" لا صحةَ له؛ بل كان من الفرس الذين أسرهم المسلمون، وقدموا به على عمر، فأظهر الإسلام، فمنَّ عليه عمر وأعتقه، فإن كان عليه ولاءٌ فهو للمسلمين، وإن كان الولاء لمن باشر العِتق فهو لعمر بن الخطاب.[1]
- ثانياً: من المعلوم أن أبا لؤلؤة المجوسي (قاتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه) كانت بينه وبين الهرمزان مجانسة؛ فهما من فارس، وقد ذُكر لعبيد الله بن عمر أنه رُئي عند الهرمزان حين قُتل عمر، فكان ممن اتُّهم بالمعاونة على قتل عمر.
- ثالثاً: كان عبيد الله بن عمر متأولاً يعتقد أن الهرمزان أعان على قتل أبيه، وأنه يجوز له قتله، خصوصاً بعد وردت الأخبار أن الهرمزان سعى في قتل عمر، وحمل الخنجر وظهر تحت ثيابه،[2] كما شهد عبد الرحمن بن أبي بكر بمشاهدة الهرمزان وأبي لؤلؤة يتناجيان ومعهما الخنجر الذي قتل به عمر ﷺ،[3] فصارت هذه شبهةً يجوز أن يجعلها المجتهد مانعةً من وجوب القصاص، فإن قضية القصاص فيها مسائل كثيرة اجتهادية.

---

[1] كان الهرمزان أحد ملوك فارس، وكان قد عقد صلحاً مع المسلمين في السنة السادسة عشرة للهجرة، ما لبث أن نقضه فيما بعد بتحريض من يزدجرد، وعلم المسلمون بذلك فجهزوا جيشاً لمحاربته ومحاربة من تعاقد معه على ذلك. فأسر، وأقبلوا به الى المدينة مكتوفاً وعليه تاجه وحليته، فأراد عمر أن يضرب عنقه، فأعلن إسلامه، فلما قُتل عمر، ظن ابنه عبيد الله أن الهرمزان كان شريكاً لأبي لؤلؤة في قتل والده، فعمد إلى الهرمزان فقتله، وقتل معه جفينة ابنة ابي لؤلؤة. انظر: محمد بن سعد بن منيع الزهري: تهذيب الطبقات الكبرى، ص٦٦٥.

[2] انظر: ابن العربي: العواصم من القواصم، ص١٠٧.

[3] ابن تيميه: منهاج السنة ٣/٢٠٠.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

- رابعاً: لما استشار عثمان الناس في قتله، أشار عليه طائفة من الصحابة ألا تقتلْه، فإن أباه قُتل بالأمس، ويُقتل هو اليوم، فيكون في هذا فساد في الإسلام، وكأنهم وقعت لهم شبهةٌ في عصمة الهرمزان.
- خامساً: لم يكن للهرمزان أولياء يطلبون دمه؛ وإنما وليُّه وليُّ الأمر، ومثل هذا إذا قتله قاتلٌ كان للإمام قتلُ قاتلِه؛ لأنه وليُّه، وكان له العفو عنه إلى الدية؛ لئلا تضيع حقوق المسلمين، فإذا قدِّر أن عثمان عفا عنه، ورأى قدر الدية أن يعطيها لآل عمر؛ لِما كان على عمر من الدَّين، فإنه كان عليه ثمانون ألفاً، وأمر أهله أن يقضوا دينه من أموال عصبته –عاقلته– بني عديٍّ وقريش.. والديةُ لو طالب بها عبيد الله، أو عصبة عبيد الله إذا كان قتله خطأً، أو عفا عنه إلى الدية، فهم الذين يؤدون دَين عمر، فإذا أعان بها في دين عمر، كان هذا من محاسن عثمان التي يمدح بها لا يذم.[1]

[1] ابن تيمية: منهاج السنة ٦/٢٧٦- ٢٨١.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الشبهة الرابعة: الاجتهاد في العبادات بالزيادة ومخالفة السنة النبوية

ومن جملة ما قاله الطاعنون: "إن عثمان بن عفان اجتهد في العبادات فزاد فيها وأنقص، فزاد الأذان الثاني يوم الجمعة، وهو بدعةٌ، فصار سُنةً إلى الآن، وغيَّر سنة النبي ﷺ؛ لأنه صلَّى أربعَ ركعات في مِنىً، مع أنه ﷺ كان يقصر الصلاة الرباعية في سفره دائماً".

وبطلان هذه الشبهة واضح، والرد عليها يكون من عدة وجوه:

- أولاً: أن عثمان بن عفان من الخلفاء الراشدين، فهو من أهل الاجتهاد، روى أبو داود عن العِرباض بن سارية، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإنْ عبداً حبشيّاً؛ فإنه من يعشْ منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسَّكوا بها وعضُّوا عليها بالنواجذ، وإيَّاكم ومحدثاتِ الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة».[1]

وزيادة الأذان الثاني يوم الجمعة من سنة ثالث الخلفاء الراشدين، وقد رأى من المصلحة أن يزاد هذا الأذان لتنبيه الناس عن قرب وقت صلاة الجمعة بعد أن اتسعت رقعةُ المدينة، فاجتهد في هذا ووافقه جميع الصحابة.[2] ولو افترضنا أن في الصحابة مَن كان ينكر هذا، ومنهم من لا ينكره، كان ذلك من مسائل الاجتهاد، ولم يكن هذا مما يعاب به عثمان.

- ثانياً: مما يؤكد صحة اجتهاد عثمان رضي الله عنه، موافقة علي بن أبي طالب رضي الله عنه على ذلك في حياة عثمان، وبعد مقتله؛ لذا لم يأمر بإلغاء هذا الأذان لما صار خليفةً، ولو أزاله لعلمه الناس ونقلوه.

والغريب أن الشيعة الروافض تنكر شيئاً فعله عثمان بمشهد من الأنصار والمهاجرين، ولم ينكروه عليه، واتبعه المسلمون كلهم عليه في أذان الجمعة، وهم قد زادوا في الأذان شعاراً لم

---

[1] أَبُو دَاوُدَ: السنن برقم (٤٦٠٧) والتِّرْمِذِي: السنن برقم (٢٦٦) وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

[2] الصلابي: عثمان بن عفان، ص١٥٢.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

يكن يُعرف على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولا نقَل أحد أنه أمَر بذلك في الأذان، وهو قولهم: "حيَّ على خيرِ العَملِ".[1]

أما شبهة الصلاة أربعاً بمنىً؛ فالرد عليها بتوضيح ما يلي:

١) لم يكن عثمان في ذلك الوقت مسافراً؛ لأنه تزوج في مكة، واتخذ منزلاً فيها، وأقام في تلك البقعة المباركة، ولما اطلع الصحابة على حقيقة الأمر زال عنهم الإنكار.

فإن قيل: كان الناس لا يوافقونه على إزالتها.

كان الجوابُ: فهذا دليلٌ على أن الناسَ وافقوا عثمان على استحبابها واستحسانها، حتى الذين قاتلوا مع عليٍّ، كعمّار وسهل بن حنيف وغيرهما من السابقين الأَوَّلين رضي الله عنهم أجمعين.

٢) لم يختلف الصحابة في جواز إتمام عثمان للصلاة بمنى، فقد روى مسلم عن نافع، عن ابن عمر، قال: " صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنًى ركعتين، وأبو بكر بعده، وعمر بعد أبي بكر، وعثمان صدراً من خلافته، ثم إن عثمان صلى بعدُ أربعاً"، فكان ابن عمر إذا صلى مع الإمام صلى أربعاً، وإذا صلاها وحده صلى ركعتين".[2]

وروى الشيخان عن عبد الرحمن بن يزيد، قال: صلى بنا عثمان بن عفان رضي الله عنه بمنًى أربع ركعات، فقيل ذلك لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه، فاسترجع، ثم قال: "صليتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنًى ركعتين، وصليتُ مع أبي بكر الصديق رضي الله عنه بمنًى ركعتين، وصليتُ مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه بمنًى ركعتين، فليت حظي من أربع ركعات ركعتان متقبَّلتان".[3]

قال الإمام النووي: قول عبد الله بن مسعود: "فليت حظي من أربع ركعات ركعتان متقبلتان"؛ معناه ليت عثمان صلى ركعتين بدل الأربع كما كان النبي صلى الله عليه وسلم

---

[1] ابن تيمية: منهاج السنة ٦/٢٩٠- ٢٩٤.

[2] مسلم: صحيح مسلم برقم (٦٩٤).

[3] البخاري: الصحيح برقم (١٠٨٤)، ومسلم: صحيح مسلم برقم (٦٩٥).

www.alukah.net

وأبو بكر وعمر وعثمان رضوان الله عليهم أجمعين في صدر خلافته يفعلون، ومقصوده كراهة مخالفة ما كان عليه رسول الله ﷺ وصاحباه، ومع هذا فابن مسعود رضي الله عنه موافق على جواز الإتمام؛ ولهذا كان يصلي وراء عثمان رضي الله عنه متمّاً، ولو كان القصر عنده واجباً لما استجاز تركَه وراء أحد.[1]

[1] مسلم: صحيح مسلم بشرح النووي ٥/٢٠٤. والشبه الباطلة ضد سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه كثيرة، لا يتسع المام لإيرادها جميعاً، وللاطلاع عليها وعلى ردود علمائنا عليها أنظر: ابن العربي: العواصم من القواصم، تحقيق وتخريج أحاديث محمود مهدي الإستانبولي ومحب الدين الخطيب، ص ٧٦- ١٢٠.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الفصل الرابع

علي بن أبي طالب ﷺ

(٣٥_٤٠هـ)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المبحث الأول

ترجمته وخصائصه

المطلب الأول: ترجمته

اسمه: علي بن أبي طالب (عبد مناف) بن عبد المطلب (شيبة الحمد) الهاشمي القرشي. ابن عم النبي ﷺ وصهره، ووالد آل البيت.

مولده ونسبه: وُلد قبل البعثة بعشر سنين، وأمه فاطمة بنت أسد الهاشمية.[1] وقد نقل بعض المؤرخين أنها ولدته في جوف الكعبة، والصحيح أنه لم يرد بذلك شيءٌ في المصادر الموثوقة من السُّنة؛ إلا ما نقله الحاكم النيسابوري، وما ورد في مناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي.[2]

كنيته: أبو الحسن، وأسد الله، وحيدرة، والمرتضى. ويكنى أيضاً أبو القُصَم، تكنى به يوم أُحُد.[3]

لقبه: يلقب بأبي السبطين (مفرده سبط: وهو ولد الابن والابنة.) وهما الحسن والحسين، ولقبه رسول الله صلى الله عليه وسلم بـ"أبي تراب" فقد روى البخاري أن علياً دخل على فاطمة ثم خرج فاضطجع في المسجد فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أينَ ابنُ عَمِّكِ؟» قالت: في المسجد. فخرج إليه فوجد رداءه قد سقط عن ظهره وخلُصَ الترابُ إلى ظهره. فجعل يمسح التراب عن ظهره فيقول: «إِجْلِسْ يا أَبا تُرابٍ». مرتين.[4]

وصفه: كان علي رضي الله عنه ربعة من الرجال، حسن الوجه، ضخم البطن، عريض المنكبين، شئن الكفين، عتداً (شديد وتام الخلق) أغيد (مائل العنق)، أصلع ليس في رأسه شعر إلا من

---

[1] ابن حجر العسقلاني: الإصابة ٢٦٩/٤.

[2] الحاكم: المستدرك ٢٠٦/٥.

[3] ابن كثير: السيرة النبوية، ص٣٠٣.

[4] فتح الباري ٩٠/٧.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

خلفه، كبير اللحية لمنكبه.. إذا مشى تكفأ، وإذا أمسك بذراع رجل أمسك بنفسه فلم يستطع أن يتنفس.. شديد الساعد واليد، وإذا مشى للحرب هرول، ثَبْتَ الجنان، قوياً، شجاعاً..[1]

زوجاته وأولاده: كانت لعلي ﷺ عدَّة زوجاتٍ، بعد وفاة فاطمة رضي الله عنها، كما كان له تسع عشرة سرية، وقد بلغ عدد أولاده الذكور أربعة عشر ولداً، والإناث سبع عشرة، وقد تُوفِّيت بعض زوجاته في حياته وطلَّق بعضهن، وتُوفِّي وفي بيته أربع منهن.[2]

أما زوجاته وأولاده فهم:

١) فاطمة الزهراء بنت محمد بن عبد الله الهاشمية القرشية. أنجبت له:

- الحسن بن علي.
- الحسين بن علي.
- المحسن بن علي. (مُختلَف عليه)
- زينب بنت علي.
- أم كلثوم بنت علي.

٢) خولة بنت جعفر بن قيس الحنفية البكرية وكانت من سبايا اليمامة، أنجبت له:

- محمداً الأكبر، وهو محمد بن الحنفية.

٣) الصهباء أم حبيبة بنت ربيعة التغلبية، أنجبت له:

- عمر بن علي.
- رقية بنت علي.

٤) أمامة بنت أبي العاص بن الربيع القرشية (بنت زينب بنت النبي ﷺ)، أنجبت له:

- محمداً الأوسط بن علي.

٥) أم البنين فاطمة بنت حزام بن خالد الكلابية، أنجبت له:

---

[1] ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ص٥٣٨.

[2] ابن كثير: السيرة النبوية ٣٢٢/٧.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

- العباس بن علي.
- عثمان بن علي.
- جعفر بن علي بن أبي طالب.
- عبد الله بن علي بن أبي طالب.

٦) ليلى بنت مسعود بن خالد التميمية، أنجبت له:

- ♦ أبا بكر بن علي بن أبي طالب.
- ♦ عبيد الله بن علي.

٧) أسماء بنت عميس بن معاذ الخثعمية، أنجبت له:

- * يحيى بن علي.
- * محمداً (الأصغر).
- * وقيل عون بن علي.

٨) أم سعيد بنت عروة بن مسعود الثقفية، أم:

- ≈ رملة بنت علي.
- ≈ أم الحسن بنت علي.

٩) محياة بنت امرئ القيس بن عدي بن أوس الكلبية.[١]

إسلامه: كان علي رضي الله عنه ثاني أو ثالث الناس دخولاً في الإسلام، لأنه كان يعيشِ في كنف النبي صلى الله عليه وسلم،[٢] وأول من أسلم من الصبيان، فحينما بُعِثَ صلى الله عليه

---

[١] يضيف بعض المؤرخين أسماء أخرى إلى قائمة زوجات علي ﷺ. أنظر ابن كثير: البداية والنهاية ٣٢٢/٧. ونلاحظ أن من بين أسماء أبناء علي رضي الله عنه "أبو بكر وعمر وعثمان" مما يدل على متانة العلاقة بينهم، ورسوخ المحبة كعلاقة لازمتهم طيلة حياتهم رضي الله عنهم وأرضاهم.

[٢] يتقل جل المؤرخين أن سبب عيش علي في كنف النبي صلى الله عليه وسلم هو فقر أبي طالب حينها، لذا أحب أن يخفف عن عمه شيئاً من مؤونة العيال، في حين يرفض آخرون هذا التعليل، فلا يعقل –بنظرهم- أن تبلغ الحاجة بأبي طالب (زعيم مكة) درجة لا يستطيع معها تأمين لقمة العيش لأبنائه، علماً أن بين كل واحد من أبنائه الذكور الأربعة والذي يليه عشر سنوات، وبالتالي كان عمر طالب عند ولادة علي ٣٠سنة، وعمر عقيل ٢٠ سنة، فهما يستطيعان العمل وكفاية والدهما.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وسلم كان علي لا يزال في حجره فدعاه إلى الإسلام فآمن به وصدقه وكان له من العمر ثماني أو عشر سنين.[1]

صحبته: لزم علي ﷺ النبي صلى الله عليه وسلم طيلة حياته، وفداه بنفسه حين بات في فراشه بعد هجرته، وتزوج ابنته فاطمة رضي الله عنها في السنة الثانية من الهجرة.

شارك علي النبي صلى الله عليه وسلم في كل غزواته، عدا غزوة تبوك، حيث خلفه فيها على المدينة، وكان موضع ثقته؛ فكان أحد كُتاَّب الوحي، وأحد أهم وزرائه وسفرائه.

شهد بيعة الرضوان، وبعثه النبي صلى الله عليه وسلم إلى اليمن فأسلمت على يديه قبيلة همدان، ثم ولاه قضاء اليمن سنة ٨ هـ لما عُرف عنه من عدل وحكمة.[2]

وكان علي ﷺ ممن تولوا تغسيل النبي ﷺ وتجهيزه للدفن.

مروياته من السنة النبوية الشريفة: روى علي ﷺ ما يزيد على الثمانمئة حديث، وقد روى عنه خلق كثير من الصحابة والتابعين، كأبي بكر، وعمر، والحسن، والحسين، ومحمد، وعمر، وابن عمه ابن عباس، وابن الزبير، وطائفة من الصحابة، وقيس بن أبي حازم..

وفاته: لما يئس الخوارج من إمكانية الانتصار على عليٍّ، تآمروا على اغتياله، فاجتمع ثلاثة منهم هم: عبد الرحمن بن ملجم الكندي، والبرك بن عبد الله التميمي، وعمرو بن بكر التميمي على مؤامرة قتل الثلاثة الذين كانوا أبطال التحكيم، وهم عليٌّ، وعمرو، ومعاوية، وتواعد هؤلاء على تنفيذ جرائمهم، وسموا سيوفهم، فلما كان ليلة الجمعة، أخذ ابن ملجم سيفه ومعه شبيب ووردان، وجلسوا مقابل السُّدَّة التي يخرج منها عليٌّ للصلاة، فلما خرج علي نادى: أيها الناس، الصلاة الصلاة. فضربه شبيب بالسيف فوقع سيفه بعضادة الباب، وضربه ابن ملجم على قرنه بالسيف، وقال: الحكم لله، لا لك يا عليُّ، ولا لأصحابك! وهرب وردان فدخل منزله، فأتاه

---

[1] انظر: ابن هشام: السيرة النبوية ٢٢٩/١. وأكرم ضياء العمري، عصر الخلافة الراشدة ص٧٥.

[2] حلية الاولياء ٣٨١/٤، ابن سعد: الطبقات الكبرى ٣٣٧/٢، ابن الأثير: اسد الغابة ٢٢/٤.

www.alukah.net

رجلٌ من أهله، فأخبره وردان بما كان، فانصرف عنه وجاء بسيفه فضرب به وردان فقتله، وهرب شبيب في الغلس.

ولما ضرب ابن ملجم علياً قال: لا يفوتنكم الرجل. فشد الناس عليه فأخذوه، وتأخر عليٌّ وقدم جعدة بن هبيرة يصلي بالناس الغداة، وقال علي: أحضروا الرجل عندي. فأُدخِل عليه، فقال: أيْ عدو الله! ألم أحسن إليك؟

قال: بلى.

قال: فما حملكَ على هذا؟

قال: شحذته أربعين صباحاً، وسألت الله أن يقتل به شر خلقه.

فقال علي: لا أراك إلا مقتولاً به، ولا أراك إلا من شر خلق الله. ثم قال: "النفس بالنفس، إن هلكتُ فاقتلوه كما قتلني، وإن بقيت رأيت فيه رأيي. يا بني عبد المطلب، لا ألفينكم تخوضون دماء المسلمين تقولون: قد قُتِل أمير المؤمنين، ألا لا يقتلَنَّ إلا قاتلي. انظر يا حسن، إن أنا مِتُّ من ضربتي هذه فاضربه ضربةً بضربة، ولا تمثلَنَّ بالرجل، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إِيَاكُمْ وَالْمُثْلَةَ، وَلَوْ بِالْكَلْبِ الْعَقُورِ".[1]

استشهد علي ﷺ سنة ٤٠هـ بعد أن أمضى قرابة خمس سنوات في الخلافة، وعمره ٦٣سنة.

ولما بلغ معاوية نعيَ عليٍ جلس وهو يقول: "إنّا لله وإنّا إليه راجعون"، وجعل يبكي. فقالت امرأته: "أنت بالأمس تقاتله، واليوم تبكيه"؟! فقال: "ويحكِ، إنما أبكي لما فقدَ الناس من حِلمه وعلمه وفضله وسوابقه وخيره".[2]

---

[1] الطبراني: المعجم الكبير ٩٧/١، والهيثمي: مجمع الزوائد ٣٧٦/٦- ٣٧٧.

[2] ابن كثير: البداية والنهاية ١٥/٨- ١٣٣.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

المطلب الثاني: أخلاقه

تربى سيدنا علي في بيت رسول الله ﷺ فتأدب بآدابه السامية، وتخلَّق بصفاته الكريمة، وهي كثيرة، نقتصر على إيراد أهمها:

- زهده وتواضعه: كان علي رضي الله عنه شديد الزهد، فقيراً لا يملك مِن متاع الدنيا شيئاً، وكانت تمر عليه الأيّام والليالي لا يجد طعاماً، وكان يقبض على لحيته ويبكي بُكاءَ الخاشع الحزين، ويقول: "إنَّ الآخرة قد ارتحلَت مقبلة، وإن الدنيا قد ارتحلت مدبرةً، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإنَّ اليوم عملٌ ولا حساب، وغداً حسابٌ ولا عمل".[1]

وطالما لبس المرقوع والخشن من الثياب وهو خليفة المسلمين، فعن عمرو بن قيس قال: رُئي على عليٍّ ثوب مرقوع فعوتب في لباسه، فقال: "يقتدي المؤمن، ويخشع القلب".[2]

ومع استعمال أمير المؤمنين الخشن من الثياب، فليس معنى هذا أنه لا يحب الملابس الحسنة وينهى عنها، فقد المعنى أنشد علي بن جعفر الوراق بحضرته:

أَجِدِ الثياب إذا اكتسيتَ فإنها ... زَيْن الرجال بها تُعَزُّ وتُكْرَمُ

وَدَعِ التواضع في الثياب تَحَوُّبَاً ... فالله يعلم ما تُجِنُّ وتكتم

فَرَثَاثُ ثوبك لا يزيدك زلفةً ... عند الإله وأنت عبدٌ مُجرم

وبهاءُ ثوبك لا يضرُّك بعد أن ... تخشى الإلهَ وتتقي ما يحرم[3]

وكان إذا أتاه مالٌ قسَّمه فوراً، ولا يترك في بيت المال منه إلَّا ما يعجز عن قسمته في يومه ذلك؛ فقد جاءه مؤذِّنه عامر بن النباح يوماً فقال: يا أمير المؤمنين، امتلأ بيت مال المسلمين من صفراء وبيضاء. فقال: الله أكبر! وتوكَّأ على ابن النباح وقام على بيت مال المسلمين،

---

[1] البخاري: الصحيح، بلفظ: قال علي رضي الله تعالى عنه: ارتحلت الدنيا مدبرة وارتحلت... إلخ، ٤/ ٢٢٤. وأبو نعيم في "الحلية" ١/ ١١٧، برقم (٢٣٥).

[2] الإمام أحمد: فضائل الصحابة ١/ ٥٤٩. والمحب الطبري: الرياض النضرة ٣ / ٢١٣.

[3] الخطيب البغدادي: الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ١/ ٣٨٢. وتحوباً أي تأثماً، والمعنى اترك التواضع في لبس الثياب خوفاً من الإثم.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فقال: يا ابن النباح، عليَّ بفقراء الكوفة. قال: فنودي في الناس، فأعطى جميع ما في بيت مال المسلمين، وهو يقول: يا دنيا غُرِّي غيري.. حتى ما أبقى ديناراً ولا درهماً.[1]

ومن صور تواضعه رضي الله عنه أنه كان يمشي في أسواق الكوفة وهو خليفة المسلمين، فيُرشد الضالَّ ويُعين الضعيف، ويلتقي بالشيخ المسنِّ الكهل فيحمل عنه حاجته، ويتحرَّج أصحابه ممَّا يرون؛ فيقتربون منه فيقولون له: يا أمير المؤمنين. ولكنَّه لا يدعهم يتمُّون حديثهم؛ بل يتلو عليهم قول الله تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣].[2]

- كَرمه: وصورُ جودِ عليٍ رضي الله عنه كثيرة، منها أنه تصدَّق بقطعة أرضٍ أقطعها إيَّاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه في ينبع، فحفر فيها عيناً، ثم تصدَّق بها على الفقراء والمساكين في سبيل الله، وكتب في وصيَّته: هذا ما أمر به عليُّ بن أبي طالب وقضى في ماله: إنِّي تصدَّقت بينبع ووادي القرى والأذنية وراعة في سبيل الله ووجهه، أبتغي مرضاة الله، يُنفَق منها في كلِّ منفعةٍ في سبيل الله ووجهه، وفي الحرب والسلم والجنود، وذوي الرحم القريب والبعيد، لا يباع ولا يوهب، ولا يورث حيّاً أنا أو ميتاً، أبتغي بذلك وجه الله والدار الآخرة، ولا أبتغي إلا الله عز وجل، فإنَّه يقبلها وهو يرثها وهو خير الوارثين، فذلك الذي قضيت فيها بيني وبين الله عز وجل.[3]
- شجاعته: اشتهر علي بالشجاعة والإقدام، فقد خاطر بنفسه ليلة هاجر فيها النبيُّ صلى الله عليه وسلم؛ فلبس ثوبه وبات في فراشه، مع علمه بعزم المشركين على قتله في تلك الليلة.[4]

---

[1] راغب السرجاني: رحماء بينهم، ص ١٩٢.

[2] ابن كثير: البداية والنهاية ٨/ ٦.

[3] راغب السرجاني: رحماء بينهم، ص ١٩١ نقلاً عن ابن حزم: المحلى ٦/ ١٨٠.

[4] انظر: ابن هشام: السيرة النبوية، ٢/ ٢٢٢- ٢٢٣. والطبري: تاريخ الرسل والملوك ٢/ ٣٢١.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وتحفل كتب السيرة العطرة والتراجم بصور عن إقدامه وشدة بأسه، منها أنه كان من أول المبارزين في غزوة بدر، وتمكن من قتل الوليد بن عتبة، وفي أُحُد كان رضي الله عنه على الميمنة ومعه الراية بعد قتل مصعب بن عمير رضي الله عنه، إضافة إلى بلائه في الدفاع عن رسول الله ﷺ، وهو الذي أخذ بيده الشريفة حينما وقع في الحفرة في هذه الغزوة.[1]

وكذلك قبوله لتحدي فارس قريش، عمرو بن عبد ود، في غزوة الخندق، لما اقتحم الخندق، وكان على فرسه كأنه القلعة دارعاً مقنعاً بالزرد والحديد، يدعو إلى البراز ويقول:

ولقد بححت من الندا ء في جمعكم هل من مبارز

فانبرى له علي، وتثاورا، ثم انكشف الموقف عن تكبيرات علي ﷺ تملأ الأجواء معلنة مصرع هذا المشرك العُتُل.[2]

كما يشهد بشجاعته يوم خيبر، عندما دفع إليه النبيُّ صلى الله عليه وسلم براية القيادة وهو ابن عشرين سنة، وإن كان علي صاحب السبق في قتل فرسان قريش وشجعانها، فإنه أيضاً هو الذي قتل "مرحب" فارس يهود وأخاه ياسر.[3]

وفي غزوة بني النضير فقد الصحابة علياً ذات ليلة، فقال النبي ﷺ «إنه في بعضِ شأنِكم»! فعن قليل جاء برأس عَزْوَكَ، وقد كمن له حتى خرج في نفر من اليهود يطلب غرة من المسلمين، وكان شجاعاً رامياً، فشد عليه علي ﷺ فقتله، وفرَّ اليهود.[4]

- علمه وفصاحته وحكمته: كان علي بن أبي طالب ﷺ من أكثر الصحابة علماً في أمور الدين، وفقهاً وذكاءً وفراسةً، وقدرةً على استنباط الأحكام، والقضاء في الأمور.

---

[1] ابن كثير: البداية والنهاية ٧/ ٢٢٤. والمقريزي: إمتاع الأسماع ١/ ١٤٣. وابن هشام: السيرة النبوية ٢/ ٨٠.

[2] انظر: ابن سعد: الطبقات الكبرى ٢/ ٦٨. والطبري: تاريخ الرسل والملوك ٢/ ٩٤- ٩٥. والحاكم: المستدرك ٣/ ٣٣.

[3] انظر: سيرة ابن هشام ١٦١/٣.

[4] المقريزي: إمتاع الأسماع ١/ ١٨٠.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقد حدث عن نفسه في أكثر من مناسبة، فقال: "سلوني سلوني، وسلوني عن كتاب الله تعالى، فوالله! ما من آيةٍ إلا وأنا أعلمُ أُنزلتْ بليلٍ أو نهارٍ".[1] وفي رواية: "والله ما أُنزلتْ آيةٌ إلا وقد علمتُ فيم نزلتْ، وأين نزلتْ".[2]

وكان مضرب الامثال في الخطابة والفصاحة، كما عرف ببراعته في القضاء، فكان عمر يقول: "أقضانا علي"،[3] ويقول: "لولا عليٌّ لهلكَ عمرُ"، وكان يتعوَّذ من معضلة ليس لها أبو الحسن.[4]

وقالت أمنا عائشة رضي الله عنها في حقه: "أما إنه أعلمُ الناسِ بالسُّنة".[5]

وكان معاوية رضي الله عنه يكتب فيما ينزل به ليسأل له علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن ذلك، فلما بلغه قتله، قال: "ذهب الفقهُ والعلمُ بموت ابن أبي طالب"، فقال له أخوه عتبة: لا يسمعُ هذا منك أهلُ الشام. فقال: "دعني عنكَ".[6]

وقال مسروق: "شامت أصحاب رسول الله ﷺ فوجدت علمهم انتهى إلى ستة: إلى عمر وعلي وعبد الله ومعاذ وأبي الدرداء وزيد بن ثابت، فشامت هؤلاء الستة فوجدت علمهم انتهى إلى علي وعبد الله".[7]

وقال سعيد بن المسيب: "ما كان أحدٌ من الناس يقول سلوني غير علي بن أبي طالب.[8]

---

[1] ابن حجر: الإصابة ٢/ ٥٠٩.

[2] ابن سعد: الطبقات ٢/ ٣٣٨، وأبو نعيم: الحلية ١/ ٦٧ واللفظ له.

[3] ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق علي محمد البجاوي ص ١١٠٢. وانظر: الحاكم في المستدرك ٣ / ١٣٥.

[4] ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الصحاب، تحقيق علي محمد البجاوي ص ١١٠٣.

[5] السيوطي: تاريخ الخلفاء ص ١٩٦. وابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب ص ١١٠٤.

[6] ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ص ١١٠٨.

[7] ابن سعد: الطبقات الكبرى ٢/ ٣٥١.

[8] الإمام أحمد: فضائل الصحابة ٢ / ٦٤٦، والحاكم: المستدرك ٢ / ٣٥٢ . بلفظ آخر. والسيوطي: تاريخ الخلفاء ص ١٩٦ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وعن عبد الملك بن سليمان قال: "قلت لعطاء: أكان في أصحاب محمدٍ ﷺ أعلمَ من علي؟ قال: لا والله! لا أعلمُه.[١]

ولم يكن علم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب محصوراً في فن معين، بل في شتى الفنون، إضافة إلى ريادته فيها، وقد أشار العقاد إلى هذه الريادة في التوحيد الإسلامي، والقضاء الإسلامي، والفقه الإسلامي، وعلم النحو العربي، وفن الكتابة العربية.. وقال: ".. مما يجوز لنا أن نسميه أساساً صالحاً لموسوعة المعارف الإسلامية في جميع العصور، أو يجوز لنا أن نسميه موسوعة المعارف الإسلامية كلها في الصدر الأول من الإسلام".[٢]

ويؤكد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه على أهمية فقه النص بقوله: "لا خيرَ في عبادةٍ لا علمَ فيها، ولا خيرَ في علمٍ لا فهمَ فيه".[٣]

ولا بأس بالإشارة إلى بعض الأحاديث الموضوعة المشتهرة في مكانة علي العلمية، منها مقولة "أنا مدينةُ العلم وعليٌّ بابها، فمن أراد العلم فليأتِ بابه".[٤] ومنها أيضاً مقولة "أنا دار الحكمة وعلي بابها".[٥] وكذلك مقولة "ما صبَّ الله في صدري شيئاً إلا صببتهُ في صدر علي".[٦] ومقولة "أنت تُبينُ لأمتي ما اختلفوا فيه من بعدي".[٧]

---

[١] ابن الأثير: أسد الغابة ٤/ ٢٢.

[٢] سليمان بن قاسم العيد: منهج أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) في الدعوة إلى الله، ص١٥. نقلاً عن عباس محمود العقاد: عبقرية الإمام علي، ص١٤١.

[٣] ابن الجوزي: صفة الصفوة ١/ ٣٢٦، وأبو نعيم: حلية الأولياء ١/ ٧٧.

[٤] انظر: الألباني: السلسلة الضعيفة، برقم (٢٩٥٥).

[٥] انظر: التبريزي: مشكاة المصابيح ٣/ ١٧٧٧، وحكم ابن الجوزي بأنه مكذوب (الموضوعات) ١/ ٣٤٩.

[٦] ابن الجوزي: الموضوعات ١/ ١٣١.

[٧] الألباني: السلسلة الضعيفة، برقم (٤٨٩١).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المطلب الثالث: أبرز خصائصه

تفرَّد علي ﷺ عن غيره من الصحابة الكرام بجملة من الخصائص، جمعها الإمام النسائي في كتاب "خصائص أمير المؤمنين علي" من أبرزها:

- أول من صلى مع رسول الله صلى الله عليه سلم بعد أمنا خديجة، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "أَوَّلُ مَنْ صَلَّى مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم بَعْدَ خَدِيجَةَ عَلِيٌّ". وَقَالَ مَرَّةً: "أَسْلَمَ".[1] وعن بريدة رضي الله عنها قال: "وَأُوحِيَ إِلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَوْمَ الاثْنَيْنِ وَصَلَّى عَلِيٌّ يَوْمَ الثُّلاَثَاءِ".[2]
- آخاه النبي صلى الله عليه وسلم مع نفسه حين آخى بين المسلمين.
- علو المنزلة: عن سعد بن أبي وقاص قال: لما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة تبوك خلف علياً في المدينة، قالوا فيه: ملَّه وكره صحبته. فتبع علي رضي الله عنه النبيَّ صلى الله عليه وسلم حتى لحقه في الطريق، فقال: يا رسول الله؛ خلفتني بالمدينة مع الذراري والنساء حتى قالوا: ملَّه وكره صحبته.

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «يَا عَلِيُّ؛ إِنَّمَا خَلَّفْتُكَ عَلَى أَهْلِي، أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى، غَيْرَ أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي».[3]

- صفيُّ النبي ﷺ وأمينه: عن محمد بن نافع ابن عجيرة، عن أبيه، عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَمَّا أنتَ يا عَلِيُّ أنتَ صَفِيي وَأَمِيني».[4]

---

[1] أحمد: المسند برقم (٣٥٤٢)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/ ١٠٣: "رواه أحمد والطبراني في الأوسط، ورجال أحمد رجال الصحيح.

[2] الترمذي: الصحيح برقم (٣٧٢٨)، والحاكم: المستدرك برقم (٤٥٨٦) واللفظ له، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. والهيثمي: مجمع الزوائد ٩/ ١٠٣، وقال: رجاله رجال الصحيح.

[3] الحاكم: المستدرك ٣/ ١٠٨، واحمد: المسند ١/ ١٧٠. والبخاري: صحيح البخاري ٣/ ٥٤، و ٢/ ١٨٥، ومسلم: الصحيح ٢/ ٢٣٦ بلفظ " انت مني بمنزلة هارون من موسى".

[4] الترمذي: السنن ٢/ ٢٩٧ باختلاف يسير في اللفظ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

- حمل سورة براءة: عن أنس قال: بعث النبي ﷺ براءة مع أبي بكر، ثم دعاه فقال: «لا يَنبغي أنْ يُبَلَغَ هذا إلَّا رَجلٌ منْ أَهْلِي». فدعا علياً فأعطاه إياها.[1]
- وليُّ رسول الله وكل مؤمن بعده: عن بريدة رضي الله عنه قال: بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم واستعمل علينا علياً، فلما رجعنا سألنا «كَيفَ رأيتمْ صُحْبةَ صَاحِبكمْ؟». فإما شكوته أنا وإما شكاه غيري. فرفعت رأسي، وإذا وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم قد احمر فقال: «مَنْ كنتُ وليَّهُ فَعليٌّ وَليُّهُ».[2]

وقال في حقه: «إنَّ عَليَّاً مِني وأنا مِنهُ، وهو وليُّ كلِّ مُؤمِنٍ بَعدي».[3]

- انتماؤه لطائفتين أمر النبي ﷺ بالاهتداء بهديهما، أما الأولى فهي انتماؤه للخلفاء الراشدين، والثانية هي انتماؤه لآل البيت،[4] فقال ﷺ: «فَعلَيكُمْ بِسُنَّتي وسُنَّةِ الخُلفاءِ الرَّاشِدين المهْديينَ، عَضُّوا عليها بالنَّواجِذ»،[5] وقال: «يا أيُّها النَّاسُ إني تركتُ فيكم ما إنْ أخذتُمْ به لن تضلُّوا: كتابَ اللهِ، وعِترتي أهلِ بَيتِي».[6]
- خيرُ أهل بيت النبي ﷺ وزوج ابنته فاطمة، سيدة نساء أهل الجنة: ففي الحديث: «يا ابْنتي مَا أَرَدْتُ أنْ أُزوجكِ إلا خَيرَ أَهلي».[7]
- والدُ الحسن والحسين، سيدَي شباب أهل الجنة: عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الحسنُ والحسينُ سيدا شبابِ أَهلِ الجَنَّةِ».[8]

---

[1] الترمذي: السنن ٢/ ١٨٣. والهيثمي: مجمع الزوائد ٩/ ١٢٨، والحاكم: المستدرك ٣/ ٥١.

[2] الحاكم: المستدرك ٣/ ١١٠.والهيثمي: مجمع الزوائد ٩/ ١٠٨ وفيه: فقلت: لا أسوءك فيه ابداً.

[3] الترمذي: الصحيح ٢/ ٢٩٧، حلية الاولياء ٦/ ٢٩٤، والحاكم: المستدرك ٣/ ١١٠ وفيه: هذا حديث صحيح.

[4] سليمان بن قاسم العيد: منهج أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) في الدعوة إلى الله، ص ١٧.

[5] ابن ماجة: السنن، المقدمة ١/ ١٥- ١٦، وقال الألباني : [صحيح] صحيح سنن ابن ماجه ١/ ١٣.

[6] الترمذي: السنن، كتاب المناقب ٥/ ٦٦٢، وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه. وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي ٣/ ٢٢٦.

[7] ابن سعد: الطبقات الكبرى ٨/ ١٤- ١٥، والهيثمي: مجمع الزوائد ٩/ ٢٠٩ ، والحاكم: المستدرك ٣/ ١٥٩.

[8] الترمذي: الصحيح ٢/ ٣٠٦، وأبو نعيم: حلية الاولياء ٥/ ٧١ وذكر له طرقاً عديدة.

www.alukah.net

- لم يُغلَقْ بابُه باتجاه المسجد النبوي: فعن زيد بن أرقم قال: كان لنفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أبواب شارعة في المسجد، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً: «سُدُّوا هذه الأبوابَ إلَّا بَابَ علي». فتكلم في ذلك الناس، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أمَّا بعدُ؛ فإني أمرْتُ بِسَدِّ هذه الأبوابِ غيرَ بابِ عَلي».[1]

[1] أحمد: المسند ٤/ ٣٦٩، والحاكم: المستدرك ٣/ ١٢٥، والعسقلاني: فتح الباري ٧/ ١٢، والحديث بنص الحفاظ صحيح رجاله ثقات.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

المبحث الثاني

خلافة علي رضي الله عنه

المطلب الأول: بيعته

بعد اغتيال الخليفة عثمان، بات الوضع في المدينة المنورة معقداً واستثنائياً للغاية؛ فلا يُمكن القبول ببقاء منصب الخلافة شاغراً في تلك المرحلة الصعبة، التي أمسى فيها المتمردون يُسيطرون على المدينة، ويملكون القرار السياسي والعسكري فيها، في حين غادر معظم الصحابة عاصمة الخلافة نائين بدينهم وأنفسهم عن التطورات التي سلبتهم القرار من أيديهم، وما قد يولده الفراغ في السلطة من نتائج سيئة، بالأخص بعد تبرُّء كل من علي وطلحة والزبير من فعل هؤلاء الرعاع، ورفضهم منصب الخلافة بعد مقتل عثمان، مما حدا بهؤلاء المتمردين إلى التفاوض مع كلٍّ من عبد الله بن عمر وسعد بن أبي وقّاص رضي الله عنهما، فرفضا قبول الأمر، فانسحب المتمردون من المشهد جزئياً، وتركوا الأمر لأهل المدينة قائلين: "أنتم أهل الشورى، وأنتم تعقدون الإمامة، وأمركم عابرٌ على الأمَّة، فانظروا رجلاً تُنصِّبونه، ونحن لكم تبع".[1]

اغتنم بعض الصحابة من المهاجرين والأنصار الفرصة، ودفعتهم غيرتهم على الدين للتوجُّه نحو عليٍّ رضي الله عنه وخاطبوه قائلين: "إنَّ هذا الرجل قد قُتل، ولا بُدَّ للناس من إمام، ولا نجد اليوم أحداً أحقَّ بهذا الأمر منك، لا أقدمَ سابقة، ولا أقربَ من رسول الله صلى الله عليه وسلم".[2]

ولنتذكَّر في هذا السياق أن علياً كان مرشحاً للخلافة مع عثمان رضي الله عنهما، ولم يعدِل أهل المدينة به، وبعثمان رضي الله عنهما أحداً، ولكن كان هناك إجماع على تولية عثمان في ذلك التوقيت، فكان من الطبيعي أن يتولّى علي الإمارة بعد عثمان، خاصة بعد أن أجمع أهل الحل والعقد على توليته.

---

[1] أنظر: الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ص ٤٢٦- ٤٢٧.

[2] الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٤/ ٤٣٢.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ويجمع المؤرخون أن علياً لم يكن راغباً في تولِّي الخلافة، خصوصاً بعد مقتل عثمان ﷺ، وأعلن ذلك فقال: "والله إني لأستحي أن أبايع قوماً قتلوا رجلاً قال فيه رسول الله ﷺ: «ألا أستحي ممن تستحي منه الملائكة». وإني لأستحي من الله أن أبايع وعثمان قتيل على الأرض لم يدفن بعد"، فانصرفوا، فلما دفن عثمان ﷺ أتوه مرة أخرى، وسألوه البيعة وقالوا: لابد للناس من خليفة، ولا نعلم أحداً أحق بها منك، فقال لهم علي: "لا تريدوني، فإني لكم وزيرٌ خيرٌ مني لكم أمير".[1] فقالوا: لا والله ما نعلم أحداً أحق بها منك. فلجأ المتمردون إلى تهديد أهل المدينة بقتل عليٍّ وطلحة والزبير رضي الله عنهم وناسٌ كثير، وقالوا: "دونكم يا أهل المدينة فقد أَجَّلْناكم يومين، فوالله لئن لم تفرغوا لنقتلن غداً علياً وطلحة والزبير وأناساً كثيرين"،[2] ممّاً دفع عامَّة الناس بمطالبة عليٍّ رضي الله عنه بقبول البيعة وخوَّفوه الفتنة، فوافق كارهاً في محاولة لوأد الفتنة، وتوحيد الأمة وتجنيبها المزيدٍ من الفرقة، لكنه اشترط أن تتمَّ بيعتهم له في المسجد، وباشتراك الصحابة من أهل الحل والعقد والشورى وأهل بدر وعامَّة الناس، ومن بينهم طلحة والزبير رضي الله عنهما، وذلك يوم الجمعة في ٢٤ ذي الحجة ٣٥هـ.[3]

وجديرٌ بالذكر أنه لم يتوفَّر لبيعته إجماعٌ كالبيعات الثلاث السابقة؛ وإن توفرت "الأكثرية" والسبب هو الطريقة التي تمت بها البيعة، بعيداً عن الشورى بين أهل الحل والعقد، بل تمت بضغطٍ من هؤلاء الغوغاء الجُلف الذين سيطروا على عاصمة الخلافة.[4]

وهكذا انقسم الصحابة إلى قسمين:

الأول: بايع علياً دون شروط، كطلحة والزبير وابن عباس وعمار بن ياسر وغيرهم.

---

[1] ابن سعد: الطبقات الكبرى ٣/ ٣١.

[2] محمود شاكر: التاريخ الإسلامي، ص ١٥١.

[3] ابن قتيبة: الإمامة والسياسة ١/ ٤٣- ٤٤، والبلاذري: فتوح البلدان ٣/ ٨، وابن الأثير: الكامل في التاريخ ٢/ ٥٥٧.

[4] الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٣/ ٤٥٠.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الثاني: أجَّل البيعة واعتزل، بسبب الظرف الذي تمت فيه، وتحكم الغوغاء بالقرار السياسي في المدينة، كسعد بن أبي وقّاص،[1] وعبد الله بن عمر، وحسّان بن ثابت، وكعب بن مالك، ومسلمة بن مخلد، وأبي سعيد الخدري، ومحمد بن مسلمة، والنعمان بن بشير، وزيد بن ثابت، ورافع بن خديج، في حين قرن معاوية المبايعة بالقصاص من قتلة عثمان أو تسليمهم.[2]

الدولة الإسلامية في عهد علي رضي الله عنه، واللونين الأحمر والأزرق للولايات التي امتنعت عن بيعته

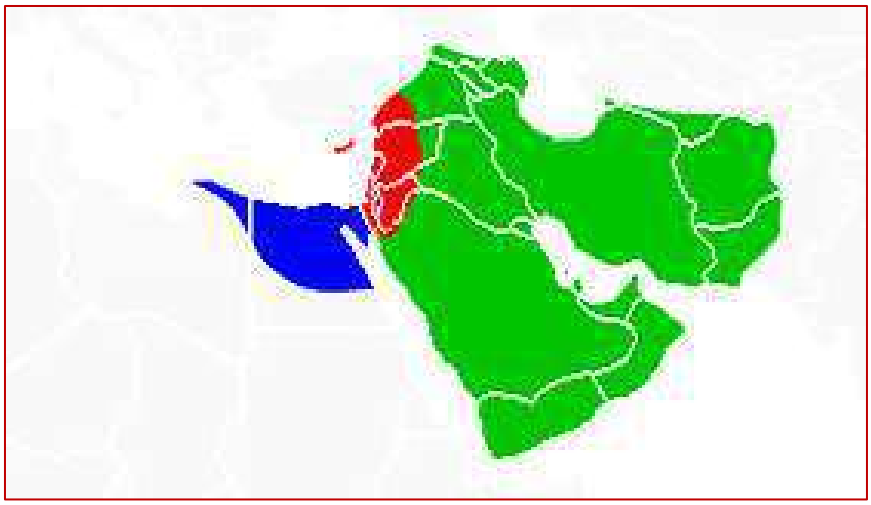

[1] لما قيل لسعد رضي الله عنه: ألا تقاتل فإنك من أهل الشورى وأنت أحق بهذا الأمر من غيرك؟ قال: لا أقاتلُ حتى يأتوني بسيف له عينان ولسانٌ وشفتان، يعرف الكافر من المؤمن، قد جاهدت وأنا أعرف الجهاد.

[2] أنظر: ابن كثير: البداية النهاية المجلد ٤/ ٢٣٧. ومحمود شاكر: التاريخ الإسلامي الخلفاء الراشدون، ص ٢٥٩. وقد ذهب ابن العربي إلى أن كل الصحابة –بالمدينة– بايعوا علياً، ولم يتخلف منهم أحدٌ، في حين تخلف بعضهم عن نصرته. انظر: ابن العربي: العواصم من القواصم، ص ١٥٠. وانظر: الباقلاني: التمهيد ص٢٣٣- ٢٣٤.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المطلب الثاني: سياسة الرعية

شكلت فترة خلافة علي بن أبي طالب ﷺ بداية لمنعطف خطير في تاريخ الإسلام، فقد جاءت بمسائلَ جديدةٍ في ميدان السياسة الشرعية، كاختيار الخليفة في الفتنة، وتمرد الوالي عليه، وتحويل العاصمة، وانبعاث طائفة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بغير إذن الإمام، كما شهدت ظهور فرقتي الخوارج والشيعة بأفكارهما المنحرفة، التي استمرت آثارها السلبية إلى يومنا هذا.

استهل علي رضي الله عنه خلافته بسلسلة من القرارات الجريئة، كان أولها تغيير بعض ولاة عثمان رضي الله عنه، وتعيين ولاة جدد، هم:

- عين عثمان بن حنيف أميراً على البصرة، فذهب إليها، واعتلى المنبر، وأعلمهم بأنه الأمير عليهم من قِبل الخليفة الجديد علي بن أبي طالب، أما أميرهم الأول عبد الله بن عامر، فقد كان ممن يطالبون بدم عثمان، لذا تركهم وذهب إلى مكة.
- عين قيس بن سعد والياً على مصر، فأطاعه معظم أهلها، في حين آثرت فئة قليلة الاعتزال دون أن تبايع، ودون أن تقاتل مَنْ بايع علياً.
- أقرّ أبا موسى الأشعري على ولاية الكوفة.
- أرسل ثلاث رسائل إلى معاوية بن أبي سفيان والي الشام فكان ردُّه صريحاً للغاية: "دم عثمان قبل المبايعة". دون أن يطعن في أحقية علي بالخلافة، مما اعتبره علي خروجاً على الخليفة، فقرّر أن يحشد قواته، ويسير إليه حتى يردّه عن هذا الخروج بالسِلْم وإلا قاتله، فأرسل علي لأمرائه بالأمصار أن يعدّوا الجيوش للذهاب إلى الشام لأجل هذا الأمر.

وعلى الصعيد الداخلي؛ لم تشغل أعباء الخلافة وشؤونها أمير المؤمنين علياً عن متابعة الناس في معاملاتهم، والإشراف المباشر عليهم في أسواقهم، لتوجيههم، وتصويب أخطائهم، ومن ذلك ترهيبه من احتكار الطعام بقوله: "جالبُ الطعام مرزوق، والمحتكر عاصٍ ملعونٌ".[1]

[1] محمد رواس قلعه جي: موسوعة فقه علي، ص ٢١. وعبد الرزاق: المصنف ٨/ ٢٠٤ عن ابن المسيب نحوه.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ومن الأمثلة أيضاً ما رواه الحر بن جرموز المرادي عن أبيه قال: رأيت علي بن أبي طالب يخرج وعليه قطريتان، إزاره إلى نصف الساق، ورداؤه مشمر قريباً منه، ومعه الدرة يمشي في الأسواق ويأمرهم بتقوى الله وحسن البيع ويقول: "أوفوا الكيل والميزان ولا تنقحوا اللحم.[1]

وكان يمشي في الأسواق وحده، يرشد الضال، ويعين الضعيف، ويمر بالبياع والبقال فيفتح عليه القرآن ويقرأ ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص، ٨٣]، ثم يقول: نزلت هذه الآية في أهل العدل والتواضع من الولاة، وأهل القدرة من سائر الناس.[2]

ولم تقتصر سياسة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب على الاهتمام بدعوة الرعية، بل شملت أيضاً عماله الذين يتولون إمارة الأمصار أو الجيوش، فقد تعاهدهم بالنصح والتحذير، فمن ذلك على سبيل المثال وصيته وصية لابن عمه عبد الله بن عباس لما ولاه البصرة فقال: "أوصيك بتقوى الله عز وجل، والعدل على من ولاك الله أمره، اتَّسع للناس بوجهك وعلمك وحلمك، وإياك والإحن (الأحقاد)، فإنها تميت القلب والحق، واعلم أن ما قرَّبك من الله بعَّدك من النار، وما قرَّبك من النار بعَّدك من الله، اذكر الله كثيراً ولا تكن من الغافلين".[3]

ولم يتوانَ عن محاسبة المقصرين من عماله، فإذا بلغه عن أحد منهم خيانة كتب إليه: ".. إذا أتاك كتابي هذا فاحتفظ بما لديك من أعمالنا، حتى نبعث إليكم من يتسلمه منك. ثم يرفع طرفه إلى السماء، فيقول: اللهم! إنك تعلم أني لم آمرهم بظلم خلقك، ولا بترك حقك".[4]

---

[1] الإمام أحمد: فضائل الصحابة، ٢/ ٥٥٦، وابن سعد: الطبقات ٣/ ٢٨. وتنقيح العظم استخراج مخه، وتنقح شحم الناقة أي قل، ونقح الشيء أي قشره، والمراد ـ والله أعلم ـ لا تخرجوا مخ العظم المكسو باللحم. انظر: ابن منظور: لسان العرب ٢/ ٦٢٤.

[2] ابن كثير: البداية والنهاية ٨/ ٥. والسيوطي: الدر المنثور ٦/ ٤٤٤.

[3] ابن قتيبة: الإمامة والسياسة ١/ ٧٩. وانظر: ابن كثير: البداية والنهاية ٧/ ٨.

[4] ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ص ١١١١.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المطلب الثالث: علاقته بأسلافه من الخلفاء الراشدين

بادل سيدنا علي رضي الله عنه محبة من سبقه من الخلفاء الراشدين له ولآل البيت النبوي الشريف بالمحبة، والاحترام بالاحترام، وليس أدل على ذلك من تسمية ثلاثة من أبنائه بأسمائهم (أبي بكر وعمر وعثمان).

وقال في حقِّ أبي بكر وعمر رضي الله عنهما: "وكان أفضلَهم في الإسلام وأنصحَهم لله ولرسوله: الخليفةُ الصديق، والخليفةُ الفاروق، ولَعَمري إنَّ مكانهما في الإسلام لعظيمٌ، وإنَّ المصابَ بهما لجرحٌ في الإسلام شديدٌ، رحمهما الله، وجزاهما بأحسنِ ما عمِلا".[1]

وعن جعفر بن محمد عن أبيه أن رجلاً من قريش جاء إلى علي ﷺ، فقال: سمعتك تقول في الخطبة آنفاً: "اللهم أصلِحنا بما أصلحتَ به الخلفاءَ الراشدين" فمن هما؟.

فقال علي ﷺ: "حبيبايَ وعمَّاك: أبو بكرٍ وعمر، إماما الهدى، وشيخا الإسلام، ورجلا قريش، والمقتدى بهما بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، من اقتدى بهما عُصِمَ، ومن اتَّبع آثارهما هُدي إلى صراطٍ مُستقيمٍ".[2]

ولما سئلَ: لمَ اختار المسلمون أبا بكر خليفة للنبي صلى الله عليه وسلم، وإماماً لهم؟ فأجاب: "إنا نرى أبا بكر أحقَّ النَّاس بها، إنه لصاحبُ الغارِ وثانيَ اثنين، وإنا لنعرف له سِنَّه، ولقد أمره رسول الله بالصلاة وهو حيٌّ.[3]

وقد روي عن محمد بن علي الباقر رحمه الله أن أبا بكر أخذته الخاصرة، فجعل عليٌّ ﷺ يُسخِّن يده بالنَّار فيكوي بها خاصرة أبي بكر رضي الله عنه.[4]

---

[1] ميثم البحراني: شرح نهج البلاغة: ١/ ٣١.

[2] محمد بن الحسن الطوسي: تلخيص الشافي ٢/ ٤٢٨.

[3] ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ١/ ٣٣٢.

[4] السيوطي: الدر المنثور في التفسير بالمأثور ٤/ ١٨٨.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقال في حق الفاروق رضي الله عنهما: "لله بلاء عمر؛ فقد قوَّم الأودَ، وداوى العمدَ، خلَّف الفِتنة، وأقام السُّنة، ذهب نقيَّ الثَّوب، قليل العَيب، أصاب خيرها وسبق شرَّها، أدّى إلى الله طاعته، واتقاه بحقه".[1]

وعندما قدم الكوفة، قيل له: يا أمير المؤمنين! أتنزل القصر؟ قال: "لا حاجة لي في نزوله، لأنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يُبغِضه، ولكني نازلٌ الرحبةَ".[2]

وقال أيضاً: "ما كنتُ لأحُلَّ عُقدةً شَدَّها عُمر".[3]

وقال في مدحِ عثمان رضي الله عنهما: "ما أعرفُ شيئاً تجهله، ولا أدلُّك على أمرٍ لا تعرفه، إنك لتعلمُ ما نعلم، ما سبقناك إلى شيء فنخبرَك عنه، ولا خلونا بشيء فنُبَلغْكه، وقد رأيتَ كما رأينا وسمعتَ كما سمعنا، وصحبتَ رسول الله صلى الله عليه وسلَّم كما صحبنا، وما ابن أبي قحافة ولا ابن الخطاب أولى بعملِ الحقِّ منك، وأنت أقربُ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وشيجة رحمٍ منهما، وقد نِلتَ من صهره ما لم ينالا، فالله الله في نفسك. فإنك والله ما تُبَصَّرُ من عمى ولا تُعَلَّمُ من جهل".[4]

---

[1] محمد بن الحسن (الحر) العاملي: وسائل الشيعة ١٥/ ١٠٨.

[2] أحمد بن داود الدينوري: الأخبار الطوال، ص ١٥٢.

[3] البلاذري: فتوح البلدان، ص ٧٤.

[4] الشريف الرضي: نهج البلاغة: ٢/ ٣٥٧.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المبحث الثالث

أهم الأحداث في عهد الخليفة علي بن أبي طالب ﷺ

المطلب الأول: نقل مركز الخلافة إلى الكوفة

بقيت المدينة المنورة طيلة العهد النبوي والخلفاء الثلاثة عاصمة الدولة الإسلامية، فلما قُتل عثمان وبويع لعلي رضي الله عنهما، ارتأى مغادرة المدينة المنورة إلى الكوفة، لتكون العاصمة الإسلامية الأولى خارج حدود الجزيرة العربية، الأمر الذي لم يلقَ استحسان جُل الصحابة رضي الله عنهم، كأبي أيوب الأنصاري الذي قال لعلي: "يا أمير المؤمنين، أقمت بهذه البلاد لأنها الدرع الحصينة، ومهاجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبها قبره ومنبره ومادة الإسلام، فإن استقامت لك العرب كنت كمن كان، وإن تشغَّب عليك قوم رميتهم بأعدائهم، وإن أُجلِئت حينئذ إلى السَّير سرتَ وقد أعذرت..".

وعندما أرغمت المستجدات السياسية والميدانية أمير المؤمنين علي على مغادرة المدينة المنورة، لم يكن اختياره الكوفة عاصمة جديدة للخلافة عفوياً، بل جاء نتيجة عوامل عدة، اقتضت هذا الإجراء الإداري، فما الذي يميز الكوفة عن المدينة، وغيرها من البلاد حتى وقع الاختيار عليها؟.

نجد الجواب مختصراً في خطابه لأهلها إبان مسيره إلى صفين: "يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ أَنْتُمْ إِخْوَانِي وَأَنْصَارِي وَأَعْوَانِي عَلَى الْحَقِّ، وَأَصْحَابِي إِلَى جِهَادِ الْمُحِلِّينَ، بِكُمْ أَضْرِبُ الْمُدْبِرَ، وَأَرْجُو تَمَامَ طَاعَةِ الْمُقْبِلِ".[1]

ولو وقفنا عند أسباب هذا الاختيار بشيء من التفصيل، للمسنا الأمور التالية:

١) رغبته ﷺ بتجنيب المدينة المنورة أيَّة انعكاسات سلبية قد تقود إليها تطورات الأحداث، سيَّما وأنه عاصر مقتل عثمان ﷺ فيها، وتلقَّى تهديدات الغوغاء بقتل كبار الصحابة إن لم يقبلِ البيعة بالخلافةِ.

[1] ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٢/ ٦٩٠.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

٢) وجود أكثر شيعته ومواليه في الكوفة، ولم يقصر هؤلاء –لاحقاً– في مؤازرتهِ في معركَتي الجمل وصفين، في حين نأى أهل الحجاز بأنفسهم عن الصراعات الإسلامية البينية، وانحاز أهل الشام ومصرَ لواليهم معاوية.

٣) توسُّع رقعة الدولة الإسلامية، مما اقتضى أن تكون العاصمة الإدارية والسياسية للدولة في موقع يُعين رجالات الحكومة في التحرك بسهولة مستغلين القرب من الولايات الأخرى، وقد توفرت هذه الميزة في الكوفة أكثر من غيرها.

٤) قربها الجغرافي من ولاية الشام التي يتحصّن فيها معاوية بن أبي سفيان، فلا بُدَّ من نقطةٍ قريبة تمكن الخليفة من التهيؤ السريع لأي طارئ.[١]

خريطة تظهر موقع مدينة الكوفة بالنسبة للعراق والحجاز والشام

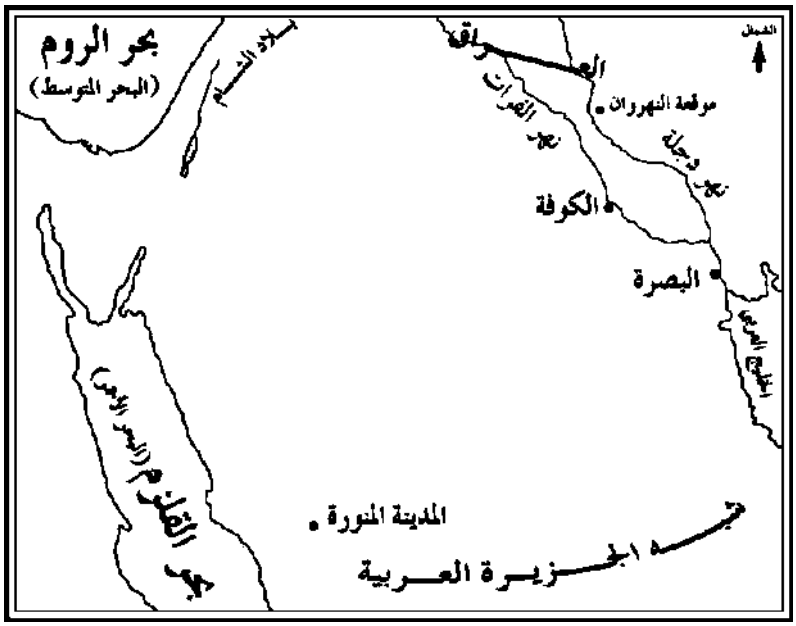

[١] انظر: الصلابي: سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ٢/ ٤.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المطلب الثاني: أهم النوازل السياسية في عهد الخليفة علي بن أبي طالب

أولاً: القصاص من قتلة عثمان

أحدث قتل الخليفة عثمان رضي الله عنه في بيته، وفي الحرم النبوي، وفي الشهر الحرام (ذي الحجة) صدمة كبيرة عند المسلمين، فكان لزاماً على الخليفة الجديد القصاص من قتلته، الأمر الذي كان محل إجماع من الصحابة رضي الله عنهم، فهم جميعاً متفقون في أصل المسألة، ولكنهم مختلفون في التوقيت والطريقة اللذين يجب اتباعها في معالجة هذه القضية الشائكة والمعقدة؛ فكان أمير المؤمنين علي يرى أن يؤجلَ ذلك لعدة أسباب، من أبرزها:

١. عدم استقرار الأوضاع في المدينة المنورة، وتفرُّق المسلمين حول ما يجب فعله ضمن أجواء الفتن القائمة.[١]

٢. الخوف من ردة فعل الغوغاء وعموم الناس في مختلف الأمصار، إن هو استعجلَ بالقصاص منهم، وبالتالي أن تحدث فتنةٌ عظيمة بدافعِ الحمية والعصبية لهؤلاء.

٣. عدم علمه بأعيان هؤلاء القتلة، لاختلاطهم بجيشه، ناهيك عن كثرتهم واستعدادهم للقتال، وقد بلغ عددهم ألفي مقاتل كما في بعض الروايات، كما أن بعضهم غادر المدينة إلى الأمصار عقب بيعة علي.

٤. تغيُّب كثير من الصحابة عن المدينة المنورة لأشهر، لانشغالهم بأداء فريضة الحج ومنهم أمهات المؤمنين رضي الله عنهن.

في حين رأت طائفة أخرى من الصحابة أَنَّ أول واجبٍ على الأمة هو الثأر لخليفتها الشهيد، والقصاص من القتلة الآثمين، وكان على رأس هؤلاء طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وعائشة أم المؤمنين ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهم.

---

[١] الصلابي: أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ص ٤٥٩ بتصرف.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ولم ينكر سيدنا علي مطالبة هؤلاء المحقة بالقصاص من قتلة عثمان، حتى قبيل معركة الجمل، عندما سأله أحد أتباعه: هل لهؤلاء القوم –يعني السيدة عائشة، وطلحة والزبير رضي الله عنهم جميعاً– حُجة فيما طلبوا من هذا الدم، إن كانوا أرادوا الله في ذلك؟

فأجابه: نعم.

فقال: فهل لك من حُجَّة في تأخيرك ذلك؟

فأجابه علي: نعم.

فقال: فما حالنا وحالهم إن ابتُلينا غداً؟ (أي بالقتال بيننا وبينهم).

فأجابه علي: إني لأرجو أن لا يُقتل منا ومنهم أحدٌ نقَّى قلبه لله، إلا أدخله الله الجنة.[1]

[1] الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٣/ ٥٠٩، وابن كثير: البداية والنهاية ٤/ ٢٣٠.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثانياً: خروج طلحة والزبير

قبل الحديث عن خروج طلحة والزبير ومعهما أمنا عائشة، لا بد من التأكيد على أن علياً ﷺ لم يقصِّر في واجب القصاص من قتلة عثمان ﷺ، فقد شرع بتقليم أظافر السبئية ومن مالأهم من الأعراب، بعد أيام قليلة من بيعته، فقال للأعراب: "يا معشر الأعراب؛ الحقوا بمياهكم"، فأدرك السبئية نية علي بتجريدهم من أعوانهم، فأمروهم بالبقاء، ففعلوا.

ولما انقضت أربعة أشهر على بيعة علي دون أن ينفذ القصاص، رأى طلحة والزبير وبعض من معهم أنه لا بد من مغادرة المدينة باتجاه البصرة، وأخبروا علياً بذلك، وينقل بعض المؤرخين أنهما طرحا على علي فكرة استنهاض أهل الكوفة والبصرة، والزحف بهم لتطهير المدينة من الغوغاء، لكنه –كسلفه عثمان– رفض أن تكون المدينة المنورة مسرحاً لحروب دامية تُنتهك فيها الحرمات.[1]

ولا بدَّ من التأكيد على موقف كل من طلحة والزبير وعائشة من خلافة علي رضي الله عنهم جميعاً، فقد التزم الثلاثة ومن كان معهم ببيعة علي، فما أبطلوا قط إمامته ولا طعنوا فيها، ولا أحدثوا إمامةً أخرى، ولا جددوا بيعة لغيره، هذا ما لا يقدر أن يدعيه أحد بوجه من الوجوه، بل يقطع كل ذي علم على أن كل ذلك لم يكن.[2]

ويؤيد هذا ما رواه الأحنف بن قيس حين قدم المدينة فوجد عثمان رضي الله عنه محصوراً، فلقي طلحة والزبير فقال لهما: "ما تأمراني به وترضيانه لي فإني لا أرى هذا الرجل –يقصد عثمان– إلا مقتولاً؟

فقالا: عليٌّ.

---

[1] الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٤/ ٤٣٨.

[2] ابن حزم: الفصل في الملل ٤/ ٢٣٨- ٢٣٩. وانظر: محمد أمحزون: تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة، ص٤١٤- ٤١٥ بتصرف.

وقد أورد الطبري في تاريخه ٤/٤٢٧- ٤٢٨ و٤/ ٤٣٤ أن علياً جاء فقال لطلحة: ابسط يدك يا طلحة لأبايعك فقال طلحة: أنت أحقُّ وأنت أمير المؤمنين فابسط يدك فبسط عليّ يده فبايعه.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

فقال: أتأمراني به وترضيانه لي؟.

قالا: نعم.

ثم انطلق حتى إذا أتى مكة جاء الخبر بقتل عثمان، فلقيَ أم المؤمنين عائشة، وكانت وقتذاك بمكة، فقال لها: من تأمريني أن أبايع؟

قالت: علياً.

قال: تأمرينني به وترضينه لي؟

قالت: نعم.

ثم قال الأحنف: فمررت على علي بالمدينة فبايعته، ثم رجعت إلى أهل البصرة، ولا أرى الأمر إلا قد استقام".

فكيف تكون له كارهةً، وكيف تنقض بيعته وهي تدعو المسلمين إليها؟!

ويقول ابن حزم: "فقد صحَّ صحة ضرورية لا إشكالَ فيها، أنهم لم يمضوا إلى البصرة لحرب علي ولا خلافاً عليه، ولا نقضاً لبيعته، ولو أرادوا ذلك لأحدثوا بيعةً غير بيعته، هذا مما لا يشك فيه أحدٌ ولا يُنكره أحد، فصحَّ أنهم إنما نهضوا إلى البصرة لسد الفتق الحادث في الإسلام من قتل أمير المؤمنين عثمان ظلماً".[1]

وحتى لو قُدِّرَ أنهم قصدوا القتال، فهذا القتال المذكور في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات ٩]، فجَعَلَهُم مؤمنين إخوةً مع الاقتتال، وإذا كان هذا ثابتاً لمن هو دون أولئك المؤمنين، فهم به أَوْلَى.[2]

---

[1] محمد أمحزون: المرجع السابق، ص ٤٥٨.

[2] ابن تيمية: منهاج السنة، ٤/ ٣٢١- ٣٢٢.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ولا بد من التأكيد أن طلحة والزبير رضي الله عنهما لم يموتا إلا على بيعة علي رضي الله عنه، أما طلحة فقد روى الحكم عن ثور بن مجزأة أنه قال: مررتُ بطلحة يوم الجمل في آخر رمق فقال لي: من أنت؟.

قلت: من أصحاب أمير المؤمنين علي.

فقال: أبسط يدك أبايعك، فبسطت يدي فبايعني وقال: هذه بيعة علي، وفاضت نفسه، فأتيت علياً فأخبرته فقال: اللهُ أكبر، صدق الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم. أبى الله سبحانه أن يُدخل طلحةَ الجنة إلا وبيعتي في عنقه.[1]

وهذا يؤكد أن منشأ الخلاف لم يكن القدح في خلافة علي، وإنما اختلافهم في قضية الاقتصاص من قتلة عثمان رضي الله عنهم أجمعين.

وأما الزبير فقد ناداه علي رضي الله عنهما وخلا به وذكره قول النبي له: «لتقاتلنَّ علياً وأنتَ له ظالمٌ»،[2] فقال: لقد أذكرتني شيئاً أنسانيهُ الدَّهر، لا جرمَ لا أقاتلك أبداً، فخرج من العسكرين نادماً، وقُتل بوادي السباع مظلوماً على يد عمرو بن جرموز، الذي جاء بسيفه إلى علي، فلم يأذنْ له، فقال: أنا قاتلُ الزبير، فأخذه علي فنظر إليه ثم قال: أما والله! لربَّ كربةٍ وركية قد فرَّجها صاحب هذا السيف عن وجه رسول الله ﷺ.[3]

ثم قال: أبقتل ابن صفية تفتخر؟ سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «بشر قاتلَ ابن صفية بالنار».[4]

---

[1] انظر: الحاكم: مستدرك ٣/ ٤١٣، وابن عبد البر: الاستيعاب ٨/ ٥١٥، والطبري: تاريخ الرسل والملوك ٣/ ٣٧.

[2] الحاكم: المستدرك ٣/ ٣٦٥- ٣٦٦. وابن عساكر: تاريخ دمشق ١٨/ ٤٠٨- ٤١٠.

[3] ابن عساكر: تاريخ دمشق ١٨/ ٤٢٢.

[4] الحاكم: المستدرك ٤/ ٣٦٧. والعسقلاني: فتح الباري ٦/ ٢٦٤- ٢٦٥ و ٧/ ١٠٢.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ثالثاً: حقيقة خروج أمنا عائشة

بدايةً؛ لا بد من التوقُّف عند موقف أمنا عائشة من مقتل الخليفة عثمان، فقد أنكرتْ قتله، وقالت حين بلغها الخبر: "والله، لأصبع عثمان خيرٌ من طِباق الأرض أمثالهم، ووالله لو أنَّ الذي اعتدوا به عليه كان ذنباً لخلُص منه كما يخلُص الذَّهب من خبثه".[1]

أما اتهامها بالتواطؤ مع قتلة عثمان ففِريةٌ واضحةٌ، لا ينبغي الالتفات إليها مطلقاً، ويردُّها قولها عن عثمان: "تركتموه كالثوب النقيّ من الدَّنَسِ، ثم قربتموه تذبحونه كما يُذبح الكبش، هلَّا كان هذا قبل هذا؟ فقال لها مسروق: هذا عملكِ، أنتِ كتبتِ إلى الناس تأمرينهم بالخروج إليه، قال: فقالت عائشة: لا والذي آمن به المؤمنون، وكفر به الكافرون، ما كتبتُ إليهم بسوداءَ في بيضاءَ، حتى جلستُ مجلسي هذا، قال الأعمش: "فكانوا يَرَون أنه كُتب على لسانها".[2]

وانصرفت راجعة إلى مكة، فتلقاها أميرها عبد الله بن عامر الحضرمي فقال لها: "ما ردَّك يا أم المؤمنين؟".

قالت: "ردَّني أن عثمان قُتل مظلوماً، وأن الأمر لا يستقيم ولهذه الغوغاء أمرٌ، فاطلبوا بدم عثمان تُعزُّوا الإسلام".[3]

بالانتقال إلى علاقة أمنا عائشة بسيدنا علي رضي الله عنهما، يدَّعي بعض الطاعنين أن أمَّنا عائشة كانت تكره علياً، ولا ترى له أحقية في الخلافة، وأن هذه الكراهية هي التي دفعتها إلى أن تخرج عليه وتنقض بيعته، متعللة –هي ومن تابعها– بدم عثمان والقصاص من قتلته، والهدف الخفي من هذا هو الطعن في عدالة الرعيل الأول من الصحابة الفضلاء ممن يجله المسلمون ويأخذون عنه دينهم.

---

[1] الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٥/ ٤٧٣- ٤٧٤.

[2] ابن سعد: الطبقات الكبرى ٣/ ٦٠ وإسناده صحيح.

[3] انظر: ابن تيمية: منهاج السنة ٤/ ٣٢٩.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والردُّ على هؤلاء يكون بتأكيد بطلان ما يتناقله الروافض الخبثاء من أنها جيَّشت الجيوش لقتال الخليفة الشرعي، وخرجت على إمام زمانها مفروض الطاعة، الذي اجتمعت الأمة على مبايعته، فهذا ما لا يقبله عقلٌ، ولا يستسيغه منطق، وتُكذبه الروايات الثابتة.

وأما زعم أن عائشة كانت كارهة لبيعة علي رضي الله عنهما، وأنها كانت تدعو لنقضها، فهذا زعمٌ باطل لا دليل عليه، والصحيح خِلافه؛ قال ابن حجر: "إن أحداً لم ينقلْ أن عائشة ومن معها نازعوا علياً في الخلافة، ولا دعوا لأحد منهم ليولوه الخلافة، وإنما أنكرت هي ومن معها على عليٍ تأخير الاقتصاص من قتلة عثمان".[1]

فلم يكن خروج أم المؤمنين للقتال البتة، وإنما خرجت فارَّة بنفسها ودينها من قتلة عثمان رضي الله عنه والأدلة على ذلك كثيرة، منها:

أ- بقاء أمنا عائشة وحيدة في المدينة المنورة في تلك الفترة المخيفة والقاتمة من تاريخ الأمة، وبدون معيل أو سندٍ اجتماعي يحميها من تطاول المتمردين، فزوجها ﷺ وأبوها ماتا منذ فترة طويلة، وأخوها عبد الله بن أبي بكر رُمي بسهم في حصار الطائف فقُتل على إثره، ولم تكن علاقتها طيبة بأخيها عبد الرحمن، حتى أنها لما توفي وقفتْ على قبره وقالت: "أما والله لو شهدتُك لم أبكِ عليك، ولو كنت عندك لم أنقلْك من موضعك الذي مِتَّ فيه"،[2] في حين أن أخاها محمداً كان ربيبَ علي، وبالتالي كان معه منذ البداية. والراجح أنها لم تجد بُداً من مرافقة أختها أسماء وخَتَنِها الزبير إلى حيث يتجها.

ب- عدم اتقاء المتمردين ربهم عزَّ وجل في آل بيت النبوة الأطهار، والأدلة كثيرة، منها محاولتهم إيذاء أُمنا رملة بنت أبي سفيان رضي الله عنها حين حاولت إيصال الماء لسيدنا عثمان

---

[1] الطبري تاريخ الرسل والملوك ٣/ ٤٦٩.

[2] ابن كثير: البداية والنهاية ٤/ ٩٤. وابن الأثير: أسد الغابة ٣ / ٣٠٦.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وهو محاصرٌ، وجاءت على بغلة لها، فضربوا وجه البغلة وقطعوا حبلها بالسيف، فنفرت الدابة وكادت تسقط عنها، فتلقاها الناس فأخذوها وذهبوا بها إلى بيتها.[1]

ت- لم تبطل أم المؤمنين قط إمامة علي، ولا طعنت فيها، ولا أعانت على إحداث إمامة أخرى، ولا جددت بيعةً لغيره، هذا ما لا يقدر أن يدعيه أحد بوجه من الوجوه، بل يقطع كل ذي علم على أن كل ذلك لم يكن.[2]

ث- رغبتها بالرجوع بُعيد خروجها: ذكر الإمام أحمد في مسنده وابن حبان والذهبي وغيرهم: لما أقبلت عائشة بلغت مياه بني عامر ليلاً نبحت الكلاب، قالت: أي ماء هذا، قالوا: ماء الحوأب.

قالت: ما أظنني إلا أني راجعةً.

فقال بعض من كان معها: بل تقدمين فيراك المسلمون فيصلح الله عزو جل ذات بينهم.

قالت: إن رسول الله ﷺ قال لها ذات يوم: «كيفَ بإحْداكُنَّ تنبحُ عليها كلابُ الحَوأبِ».[3]

وفي رواية "فأبى عليها ابن الزبير".

ج- ندمها على الخروج: تفيد الروايات الثابتة أن أمنا عائشة ندمت على خروجها، وذلك بعد الجمل بفترة، وقالت: "إذا مرَّ ابن عمر، فأرونيه، فلما مر بها، قيل لها: هذا ابن عمر، فقالت: يا أبا عبد الرحمن، ما منعك أن تنهاني عن مسيري (أي: إلى العراق)؟.

قال: رأيت رجلاً قد غلب عليكِ؛ يعني: عبد الله بن الزبير".[4]

---

[1] ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل ٤/ ٢٣٨.

[2] محمد أمحزون: تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة، ص٤١٤- ٤١٥ بتصرف.

[3] الإمام أحمد: المسند ٦/ ٩٧ برقم (٢٤٦٩٨) وعلق شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح. والذهبي: سير أعلام النبلاء - الصحابة رضوان الله عليهم - عائشة أم المؤمنين، ٢/ ٢٠٠. وابن حبان: الصحيح ١٥/ ١٢٦ برقم (٦٧٣٢). وعلق شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

[4] الذهبي: سير أعلام النبلاء ٢/ ١٩٣.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقول الإمام الذهبي: "..تعني بالحدث: مسيرها يوم الجمل، فإنها ندمت ندامةً كليةً، وتابتْ من ذلك، على أنها ما فعلت ذلك إلا متأولة، قاصدة للخير، كما اجتهد طلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وجماعة من الصحابة رضي الله عن الجميع".[1]

وتشير الكثير من المصادر أن علي بن أبي طالب أرسل إلى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنهما القعقاع بن عمرو، فقال لها القعقاع: ما أقدمك يا أماه إلى البصرة؟.

قالت له: يا بني من أجل الإصلاح بين الناس، فطلب منها أن تبعث إلى طلحة والزبير ليحضرا ويكلمهما على مسمع منها ومحضر.

وهنا لا بد من التوقف عند هذه الرواية، فلو سلَّمنا بصحتها، لكان واجباً علينا التوقُّف عند غاية عليٍ رضي الله عنه من إرسال القعقاع ليكلم الصديقة، وأن نوضح النقاط التالية:

أ- لم تكن أمنا عائشة المصون المطهرة من فوق سبع سماوات من "زعامات المعارضة السياسية" أو "صاحبة طموحٍ سياسي" يجعلها تخالط الرجال وتخطب فيهم، وتؤلب البعض، وتجيش الجيوش.. كما يصورها الكثير من المؤرخين والكُتَّاب المتشيعين كأبي فرج الأصفهاني في "الأغاني"، والمسعودي في "مروج الذهب" واليعقوبي في "تاريخه" أو الموتورين والحمقى من المستشرقين ومن مالأهم من المؤرخين العرب،[2] أو حتى من نقل عنهم بحسن نيةٍ من المؤرخين العُدول كالطبري وغيره.

ب- أن علياً أحبَّ أن يكسبها لصفه، وأن يُبعدها عن أجواء أي صدامٍ محتمل، يؤكد ذلك موقفه منها بعد انتصاره في موقعة الجمل كما سنرى.

وقد بقيت منزلتها كأمٍ للمؤمنين كما هي، ولنذكرْ قول ابن خياط: "لَمَّا استنفر الحسنُ وعمارٌ أهلَ الكوفة، قال عمار:" أمَا والله إني لأعلمُ أنها زوجته في الدنيا والآخرة، ولكنَّ الله ابتلاكم بها لتتبعوه أو إياها".[3]

---

[1] الذهبي: سير أعلام النبلاء ٢/ ١٩٣.

[2] من هؤلاء عبد الفتاح عبد المقصود، وجرجي زيدان وغيرهما.

[3] خليفة بن خياط: تاريخ خليفة بن خياط، ١/ ١٨٤. والشهرستاني: الملل والنحل ١/ ١١٤.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

رابعاً: معركة الجمل

بعد وصول طلحة والزبير إلى البصرة، خرج واليها لعلي عثمان بن حنيف مستقبلاً لهم ومستفسراً عن سبب قدومهم، فأجابوه أنهم خرجوا لتأخر القصاص من قتلة عثمان، فطلب منهم التمهُّل حتى يأتي علي، وما إن وصل عليٌّ حتى أرسل لطلحة والزبير، فتفاوضوا وتوافقوا فيما اختلفوا فيه، وجنحوا للصلح؛ فغايتهم لم تكن القتال أصلاً، فباتوا على خير، في حين بات أهل الفتنة في شر ليلة يفكرون في نسف هذا الصلح الذي سيكون ثمنه هو رقابهم جميعاً، فاجتمعوا وتشاوروا في الأمر، وخططوا من جديد لإحداث الفتنة، فقال بعضهم: قد عرفنا رأي طلحة والزبير فينا، وأما رأي علي فلم نعرفه إلى اليوم، فإن كان قد اصطلح معهم، فإنما اصطلحوا على دمائنا، فإن كان الأمر هكذا ألحقنا علياً بعثمان. فهم لن يتورعوا عن قتل علي رضي الله عنه أيضاً، وهذا مما يدل بشكل قاطع أن علياً كان هدفاً لهؤلاء الغوغاء والموتورين، حتى تبقى نار الفتنة مشتعلة. وقام رأس الضُّلال عبد الله بن سبأ وقال: لو قتلتموه لاجتمعوا عليكم فقتلوكم.[1]

فقال أحدهم: دعوهم وارجعوا بنا حتى نتعلق ببعض البلاد فنمتنع بها.

فقال عبد الله بن سبأ: لو تمكّن علي بن أبي طالب من الأمور لجمعكم بعد ذلك من كل الأمصار وقتلكم، ثم أشار على مَنْ معه مِن المتمردين أن تتوجه فئة منهم إلى جيش الكوفة، وفئة أخرى إلى جيش البصرة، وتبدأ كل فئة منهما في القتل في الناس، وهم نيام، ثم يصيح من ذهبوا إلى جيش الكوفة ويقولون: هجم علينا جيش البصرة، ويصيح من ذهب إلى جيش البصرة ويقولون: هجم علينا جيش الكوفة.

---

[1] يشكك بعض المستشرقين كبرنارد لويس، والمؤرخين العرب المعاصرين كعبد العزيز الهلابي وعلي النشار بوجود عبد الله بن سبأ، في حيث أثبته ثقات المؤرخين قديماً كالطبري وابن كثير والخطيب البغدادي والشهرستاني، والمعاصرين كمحمود شاكر وعماد الدين خليل وغيرهما، كما أثبت وجوده عدد كبير من مؤرخي الشيعة كالقمي والكشي وأبو جعفر الطوسي وغيرهم. كما أثبت شخصيته من المستشرقين فلهاوزن وجولد تسيهر وغيرهم. للمزيد حول ابن سبأ والسبئية انظر: محمد أمحزون: تحقيق مواقف الصحابة من الفتنة، ص ٢١٣- ٢٣٦. و٣٤٠- ٣٤٢.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وبالفعل؛ وقبيل الفجر نفَّذ هؤلاء ما تم الاتفاق عليه، وقتلوا مجموعة كبيرة من الفريقين، وصاحوا، وصرخوا أن كل من الفريقين قد هجم على الآخر، وفزع الناس من نومهم إلى سيوفهم وليس لديهم شك أن الفريق الآخر قد غدر بهم، ونقض ما اتفق عليه من وجوب الصلح، فحمل على الفريق الآخر دفاعاً عن نفسه، ولم يكن هناك أي فرصة للتثبت من الأمر في ظلام الليل وقد عملت السيوف فيهم، وكثر القتل، والجراح.[1] ﴿ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْراً كانَ مَفْعُولاً﴾ [الأنفال:٤٤].

وقبل الخوض في تفاصيل معركة الجمل، لا بدَّ من التأكيد على أن قيادة الفريقين كانوا من كبار الصحابة الكرام، ومن أصحاب السابقة والفضل والمكانة، وعظيم التأثير في مسيرة الدعوة الإسلامية، فسيدنا علي صهر رسول الله ﷺ، وأفضل وأفقه أهل الأرض حينها، وسيدنا الزبير بن العوام حواريّ رسول الله ﷺ وابن خالته، وسيدنا طلحة بن عبيد الله (طلحة الخير) من أوائل من أسلم، ومن العشرة المبشرين بالجنة.

وهم –جميعاً– من أهل الاجتهاد، حتى من اعتزل الفتنة كعبد الله بن عمر وسعد بن أبي وقاص هم من أهل الاجتهاد، والمجتهد ينظر في مآلات الأمور، ويتخذ ما يراه مناسباً من مواقف، أما نحن؛ فعلينا ألا نلّوث قلوبنا أو ألسنتنا بسوء ظنٍ أو فاحش كلام، أما الحِكَم الإلهية من الأحداث فإنها تتضح بعد انتهائها.

ويكفينا أن نرجع إلى السنة النبوية الشريفة، لنقرأ ما أخبرنا به نبينا الكريم ﷺ، فيما أخرجه البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا تَقومُ السَّاعةُ حتَّى يَقْتَتِلَ فِئتانِ فيكونَ بينهُما مَقْتلةٌ عَظيمةٌ، دَعْواهُما وَاحِدةٌ».[2]

---

[1] انظر: ابن تيمية: منهاج السنة، ٤/ ٣١٦- ٣١٧. وعلي الصلابي: المرجع السابق، ص ٥٠٣- ٥٠٧ بتصرف.

[2] العسقلاني: الفتح ١٣/ ٩٢.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

والمراد بالفئتين من كان مع علي ومعاوية رضي الله عنهما لما تحاربا بصفين، والمراد بقوله: دعواهما واحدة، أي دينهما واحد، لأن كلاً منهما كان يتسمى بالإسلام، أو المراد أن كلاً منهما كان يدّعي أنه المحق.

وقبل الخوض في تفاصيل معركة الجمل، يجدر بنا أن نتوقَّف عند طائفة من أقوال التابعين في الشجار الذي وقع بين الصحابة، وكيفية تأويله، لتكون لنا منطلقاتٍ شرعية لا تهتزُّ بإرجاف المرجفين ولا تتأثَّر بتشكيك المشككين.

يقول النووي: "واعلم أن الدماء التي جرتْ بين الصحابة رضي الله عنهم ليست بداخلة في هذا الوعيد –يعني قوله ﷺ إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار– ومذهبُ أهل السُّنة والحق إحسان الظن بهم، والإمساك عما شجر بينهم، وتأويل قتالهم، وأنهم مجتهدون متأولون لم يقصدوا معصيةً ولا محض الدنيا، بل اعتقد كل فريقٍ أنه المحقُّ ومخالفُه باغٍ، فوجب عليه قتاله ليرجع إلى الله، وكان بعضهم مصيباً وبعضهم مخطئاً معذوراً في الخطأ لأنه اجتهاد، والمجتهد إذا أخطأ لا إثمَ عليه.[1]

ويورد ابن تيمية في مواضع متفرقة من مجموع الفتاوى رأيَ أهل السنة في هذه المسألة مستبعداً رأي أهل البدع من الخوارج والرافضة والمعتزلة الذين جعلوا القتال موجباً للكفر أو الفسق، فيقول: "وأهل السُّنة والجماعة وأئمة الدين لا يعتقدون عصمةَ أحدٍ من الصحابة، بل يمكن أن يقع الذنب منهم، والله يغفر لهم بالتوبة ويرفع بها درجاتهم، وإن الأنبياء هم المعصومون فقط.. وأما اجتهادهم فقد يصيبون فيه أو يخطئون، فإذا اجتهدوا وأصابوا فلهم أجران، وإذا اجتهدوا وأخطأوا فلهم أجرٌ واحد على اجتهادهم.."[2]

---

[1] النووي: شرح صحيح مسلم ١٨/ ٢١٩- ٢٢٠.

[2] ابن تيمية: الفتاوي ٣٥/ ٥٠ و٥٤ و٥٦ و٦٩.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ويقول العسقلاني: "واتفق أهل السُّنة على وجوب منع الطَّعن على أحد من الصحابة بسبب ما وقع لهم من ذلك، ولو عُرف المحق منهم لأنهم لم يقاتلوا في تلك الحروب إلا عن اجتهادٍ، وقد عفا الله تعالى عن المخطئ في الاجتهاد، بل ثبتَ أنه يُؤجر أجراً واحداً، وأن المصيب يؤجَر أجرين".[1]

ولا أتفق –مطلقاً– مع ما أورده بعض المؤرخين من أن هذه الخلافات بين جيل الصحابة الكرام قد ألقتْ بظلالها القاتمة على جميع مراحل التاريخ الإسلامي، وصاغت حضارتنا الإسلامية بطابعها الخاص، حتى يومنا هذا.[2]

بدأت المعركة يوم الأربعاء ١٥ جمادى الثاني سنة ٣٦ هـ، واستيقظ علي بن أبي طالب من نومه على صوت السيوف، والصراخ والصياح، ولا يعلم كيف ومن أين بدأ القتال بين الفريقين، وكذلك الحال في معسكر طلحة، والزبير، وصرخ علي رضي الله عنه في الناس: كُفوا عبادَ الله، كفوا عباد الله، ثم احتضن ابنه الحسن، وقال: "ليتَ أباك ماتَ منذ عشرين سنة".

فقال له: يا أبي؛ قد كنتُ أنهاك عن هذا.

قال: يا بنيَّ؛ إني لم أرَ أن الأمر يبلغ هذا. ثم قال: إنا لله وإنا إليه راجعون.[3]

فلم يكن يتوقع أحدٌ أن تتفاقم الأمور إلى هذه الدرجة، وظل رضي الله عنه في محاولة كف الناس عن القتال، لكنه لم يستطع، وقد عمّت الفتنة، واشتد القتال، وكثر عدد القتلى من الفريقين.

---

[1] ابن حجر العسقلاني: الفتح ١٣/ ٣٧.

[2] وممن قال بهذا الرأي "المستهجن" الأستاذ محمد مختار الشنقيطي في كتابه " الخلافات السياسية بين الصحابة"، ص٦٥. وكان ممن رد عليه الدكتور منير الغضبان (رحمه الله)، فلحضارتنا الإسلامية طابعها وميزاتها ومنجزاتها.. بعيداً عن كل أشكال الصراع والصدام.

[3] الحارث بن محمد بن داهر التميمي: (ابن أبي أسامة) ٢/ ٧٦٢.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وينقل بعض المؤرخين أن أمنا عائشة رضي الله عنها لبت نداء كعب بن سور بنجدة المسلمين وحقن دمائهم، فدخلت هودجها، ووُضع الهودج على الجمل، ودخلت ساحةَ القتال، ومن ثَمَّ سُمّيت الموقعة بموقعة الجمل، ثم نادت في المسلمين جميعاً: "اللهَ الله يا بَنِيَّ، اذكروا يوم الحساب"، ثم أعطتِ المصحفَ لكعب وقالت له: خلِّ البعير وتقدم وارفع كتاب الله وادعُهم إليه، فشعرَ أهل الفتنة بأنَّ القتال سيتوقف إذا تركوا كعباً يفعل ما طُلبَ منه، فلما قام كعبٌ ورفع المصحف وأخذ ينادي تناولته النبالُ فقتلوه.[1]

أما المستقبَح من روايات بعض المؤرخين، القدامى منهم والمحدثين على السواء، فهو إيرادهم عبارات "جيش عائشة" وخروج عائشة على "رأس جيش"..[2] و"طموح عائشة السياسي".. ويستنبطون من هذه الأباطيل أدلَّة شرعية على جواز قيادة المرأة للجيوش كالرجل، واشتغالها بالسياسة، بل ومزاحمة الرجال فيها.

وانتصر جيش علي بعد انسحاب الزبير ومقتل طلحة رضي الله عنهما، فما كان من علي رضي الله عنه إلا أن أمر بعدم الإجهاز على الجرحى، بل مداواتهم، وعدم متابعة الفارّين وألا يُقتل أسير، فكلا الفريقين من المسلمين، وكلاهما كان يظن أنه على الحق.

وتفقد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب قتلى الفريقين بنُبلٍ فريدٍ، وأسىً شديد، وبكاء مُرٍّ، ومرَّ رضي الله عنه بطلحة بن عبيد الله رضي الله عنه، وهو مقتولٌ، وجلس بجواره باكياً، وقال: عزيزٌ عليَّ أبا محمد أن أراك مجندلاً تحت نجوم السماء، وبكى عليه وعلى أصحابه، كما مرّ بجثة محمد بن طلحة بن عبيد الله، فبكى عليه، وقال: هذا الذي كنا نسميه السجَّاد. (لكثرة

---

[1] ابن عساكر: تاريخ دمشق ٧/ ٨٨.

[2] ومن هؤلاء الضلال سهيل زكار، ومحمد التيجاني، ويتناقلها –للأسف– بعض الدعاة كالدكتور طارق سويدان والدكتور راغب السرجاني.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

سجوده).[1] ودعا لقتلى الفريقين جميعاً بالمغفرة والرحمة، وصلّى عليهم، وأمر بدفنهم، وأن تُجمع أسلاب جيش البصرة، فتوضع في مسجدها، وأن ينادى: من كان له شيء يعرفه فليأخذْه.[2]

وقد استشهد في هذه المعركة المؤسفة عشرة آلاف من كلا الفريقين؛ خمسة آلاف من جيش علي، وخمسة آلاف من جيش طلحة، والزبير رضي الله عنهم جميعاً.

وجاء أمير المؤمنين علي رضي الله عنه فسلَّم على أمنا عائشة، وسألها: كيف أنت يا أم؟

فقالت: بخير.

فقال: يغفر الله لكِ. وفي رواية فقالت: ولكَ.

وجاء وجوه الناس من الأمراء والأعيان من جيش علي بن أبي طالب رضي الله عنه يسلّمون على أم المؤمنين رضي الله عنها وأرضاها.

ثم أمر علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن يوضع هودجُ السيدة عائشة- وهي فيه- في أفخر بيوت البصرة، وكان بيت رجل يُسمّى عبد الله بن خلف الخزاعي، تحت الحماية معزَّزة مكرمة.

وكرر علي زيارتها بعد ثلاثة أيام، فرحبت به وجددت مبايعته.

ولما أرادت العودة إلى المدينة المنورة، بعث إليها بكل ما ينبغي من مركب وزاد ومتاع وأذن لمن نجا من الجيش أن يرجع إلا من أحب المقام، وأرسل معها أربعين امرأة، وسير معها أخاها محمداً، ولما كان اليوم الذي ارتحلت فيه جاء علي فوقف على الباب في الهودج فودعت الناس ودعت لهم وقالت: "يا بَنِيَّ؛ لا يغتبْ بعضكم بعضاً، إنه ما كان بيني وبين علي بن أبي طالب في القديم إلا ما يكون بين المرأة وأحمائها، وإنه لمنَ الأخيار"، فقال علي: "صدقتْ، والله ما كان بيني وبينها إلا ذلك، وإنها زوجة نبيكم صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة"، وسار معها مودعاً أميالاً، وسرَّح بنيه معها بقية ذلك اليوم.[3]

---

[1] انظر: ابن عساكر: تاريخ دمشق ٢٥/ ١١٥. وابن الأثير: أسد الغابة ٣/ ٨٨-٨٩.

[2] انظر: البيهقي: السنن الكبرى ٨/ ١٨٢، وابن أبي شيبة: المصنف ١٥/ ٢٥٧.

[3] الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ص ٦١.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

خامساً: معركة صفين

لا بد من التذكير هنا أيضاً، وقبل الخوض في تفاصيل أحداث معركة الجمل، بأن مُعتقدنا – أهل السنة والجماعة– في مثل هذه المسائل هو الإمساك عما جرى بين أصحاب النبي ﷺ، والترضي عنهم جميعاً، والتسليم بأنهم مجتهدون في طلب الحق، للمصيب منهم أجران، وللمخطئ أجرٌ واحد.

كما لا بد من التأكيد على أن معاوية رضي الله عنه كان من كُتَّاب الوحي، ومن أفاضل الصحابة، وأصدقهم لهجة، وأكثرهم حلماً، فكيف يُعتقد أن يقاتل الخليفة الشرعي ويريق دماء المسلمين من أجل ملك زائل، وهو القائل: "والله لا أُخيَّر بين أمرين، بين الله وبين غيره، إلا اخترتُ الله على ما سواه".[1]

أما من رأى وجه خطأ في موقفه –سواء من الصحابة أو المؤرخين– فكان في رفضه أن يبايع لعلي رضي الله عنه قبل مبادرته إلى القصاص من قتلة عثمان، بل ويلتمس منه أن يمكنه منهم، مع العلم أن الطالب للدم لا يصح أن يحكم، بل يدخل في الطاعة، ويرفع دعواه إلى الحاكم، ويطلب الحق عنده.

وعلى كل حال لا نملك إلا أن نقول: إن معاوية عنه كان مجتهداً متأولاً، يغلب على ظنه أن الحق معه، فقد قام خطيباً في أهل الشام، وذكّرهم أنه وليُّ عثمان –ابن عمه – وقد قُتل مظلوماً، وقرأ عليهم قوله تعالى: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ ۖ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا﴾.[الإسراء: ٣٣] ثم قال: أنا أحب أن تعلموني ذات أنفسكم في قتل عثمان، فقام أهل الشام جميعهم وأجابوا إلى الطلب بدم عثمان، وبايعوه على ذلك، وأعطوه العهود والمواثيق على أن يبذلوا أنفسهم وأموالهم حتى يدركوا ثأرهم، أو يفني الله أرواحهم.[2]

ولا بد من التَّنويه إلى أن الكثير من كتب التاريخ تزخر بالأخبار المكذوبة التي حاولت الحطَّ من قدر الصحابة الكرام، وتصوير ما جرى بينهم على أنه نزاع شخصي لتحقيق أطماع دنيويةٍ.

---

[1] الذهبي: سير أعلام النبلاء ٣/ ١٥١.

[2] انظر: محمد أمحزون: تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة ٢/ ١٥٠-١٥٢.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومما يؤسفُ له أن الكثير من مؤسساتنا التعليمية ارتكبت أخطاء منهجية وتربوية معاً من خلال تدريس تلك الخلافات وما جرَّت إليه من معارك بين الصحابة لطلابنا، مع ما فيها من تشويه في العرض، وقصور في تقديم الصحابة والتعريف بفضلهم، في مخالفة صارخة للقواعد التربوية التي تقتضي أن لا يُعرض على الناس ما لا تحتمله عقولهم، مما أدى إلى تعارض في أذهان الطلاب بين الصورة الفطرية الإيجابية التي امتلكوها عن الصحابة الكرام، وبين الصورة التي تلقوها من المدرسة والجامعة، فالتبسَ عليهم الأمرُ، وترسَّختْ الشُبه في أذهان بعضهم.[1]

استقرَّ عليٌّ رضي الله عنه بالبصرة شهراً، ومنها أرسل جرير بن عبد الله البَجَلِيَّ رضي الله عنه إلى معاوية يدعوه إلى بيعته، ويُعْلِمه باجتماع المهاجرين والأنصار على هذه البيعة، ويخبره بما كان في معركة الجمل، ويدعوه إلى الدخول فيما دخل فيه الناس.[2]

ولم يستعجل معاوية رضي الله عنه الردَّ، فجمع رؤوس أهل الشام وعمرو بن العاص يستشيرهم، فأبوا أن يُبايعوا علياً حتى يَقتُلَ قتلة عثمان، أو يُسلَّمهم إليهم.

واستمرت المراسلات بن الطرفين مدة ستة أشهر قبل المعركة، مما يدل دلالة واضحة على كرههما للقتال، ورغبتهما في الإصلاح، ولكن لم يتوصلا إلى نتيجة طيلة هذه المدة.

وقد أسهب مؤرخو الشيعة في الحديث عن الكتب المتبادلة، ونصوصها (المزعومة) بين علي ومعاوية، ولم تخلُ بعض مضامينها من اتهامات خطيرة، وأحياناً سبابٍ متبادلٍ وخلافات زادت في الشرخ العميق بين أفراد المجتمع الاسلامي، ومن أبرز هؤلاء المؤرخ الشيعي نصر بن مزاحم (ت ٢١٢)، الذي نقل روايات ضعيفةً عن عمر بن سعد بن أبي الصيد الأسدي، الذي قال عنه الذهبي: ".. شيعيٌ بغيضٌ، قال ابو حاتم: متروكُ الحديث".[3]

---

[1] يعتمد الكثير من المؤرخين على روايات الطبري لأحداث موقعة صفين، والتي تبلغ أربعاً وستين رواية، كلها من طريق أبي مخنف الشيعي، والتي ينظر فيها للأحداث من خلال تعصبه المقيت.

[2] الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٣/ ٥٦٠، وابن كثير: البداية والنهاية ٧/ ٢٨٢.

[3] الذهبي: ميزان الاعتدال ٢/ ٢٥٦.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وممن رواها أيضاً الدينوري (ت ٢٨٢) في "الاخبار الطوال"، ولكن بلا سند. [١] كما رواها ابن قتيبة (ت٢٧٦) في "الامامة والسياسة" بغير سند، إضافة لذلك فإن الكتاب نفسه مشكوك النسبة لابن قتيبة،[٢] ورواه ابن عبد ربه في العقد الفريد، ولكن من دون سند، كما هو حال كثير من مصادر الأدب والشعر.[٣]

والخلاصة أن هذه الكتب –المزعومة– المتبادلة بين علي ومعاوية مشكوكٌ بها، لأنها ضعيفة السند، ومضطربة الخبر، وبالتالي لا تصح مثل هذه الروايات لأن تكون مصدر تدوين تاريخ موثوق، فضلاً عن اعتمادها ثقافة عقدية، يؤسس عليها البعض مواقفهم وينشؤون مذاهبهم، وقد تكون سبباً في سفك دماء مسلمين، وإزهاق أرواحهم، ودخولهم في حروب أهلية طاحنة.

عاد جرير إلى عليٍّ وأخبره بموقفهم أهل الشام، فاستعدَّ عليٌّ لغزو الشام، وإدخالها في طاعته، فجهَّز جيشاً قوامه خمسون ألفاً، ونزل بهم صِفِّينَ، وسار معاوية بجيش قِوَامه سِتُّون ألفاً، ثم دار القتال بين الجيشين في حدود ضيِّقة على هيئة كتائب صغيرة تُرْسَل فتقاتل اليومَ ثم تعود، وقد تجنَّب الجيشان القتال بكامل الجيش؛ حتى قيلَ إن معركة صفين حدثت فيها أكثر من سبعين جولة ووقعة،[٤] والسبب خشية الهلاك والاستئصال، وأملاً في وقوع صُلح بين الطرفين تُصان فيه الأرواح والدماء.[٥]

وما إن دخل شهر محرم حتى بادر الفريقان إلى الهدنة، فأرسل عليٌّ إلى معاوية رضي الله عنهما يدعوه إلى الدخول في الجماعة والمبايعة مرَّة أخرى، ولكن معاوية ردَّ عليه بنفس الردِّ السابق، فعادت الحرب على ما كانت عليه من قتال الكتائب خشية الالتحام الكُلِّيِّ.

وفي النهاية اشتبك الجيشان في معركة حامية الوطيس، كثر فيها القتلى، وكان من ضمنهم عمار بن ياسر رضي الله عنه الذي جاوز التسعين عاماً، ومع أنه كان ضمن جيش علي رضي الله

---

[١] الدينوري: الأخبار الطوال، ص ١٥٧.

[٢] ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، دار الاضواء، تحقيق علي شيري، ١/ ١١٣.

[٣] ابن عبد ربه: العقد الفريد، طبع الدار العصرية، بيروت، ٥/ ٧٨.

[٤] العسقلاني: فتح الباري ١٣/ ٩٢.

[٥] انظر: الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٣/ ٥٦٠- ٥٦١، وابن كثير: البداية والنهاية ٧/ ٢٨٢- ٢٨٦.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عنهما، إلا أنه رفض دعاوي الخوارج بتكفير أهل الشام، فقد سمع رجلاً يقول: كفَر أهل الشام. فنهاه عمار عن ذلك، وقال: "إنما بَغَوْا علينا، فنحن نقاتلهم لبغيهم؛ فإلهنا واحدٌ، ونبيُّنا واحد، وقِبلتنا واحدة".[1]

ولما انتهى شهر ذي الحجة، أرسل علي إلى معاوية: هل لك إلى أن نتهادن شهراً وألا يحدث فيه قتال، لعلنا أن نتفاوض ونتفاهم؟ فوافق معاوية على إيقاف القتال في شهر المحرم.

وخلال الهدنة كان أفراد الجيشين في أماكنهما يتزاورون ويتسامرون في الليل، ولا غرابة في ذلك لأنه لم تكن بين الجيشين أحقادٌ، بل كان كل طرف ينافح عما يعتقده حقاً، ولأنهم كانوا أهلاً من نفس القبائل والعشائر.[2]

واشدَّ القتال في الأيام التسعة الأخيرة من المعركة، لا سيما في الليلة التي سُمِّيت بليلة الهرير، وقد التزم كلٌ من الطرفين بأحكام قتال البغاة، فعن أبي أمامة قال: شهدت صفين فكانوا لا يجهزون على جريح، ولا يطلبون مولياً، ولا يسلبون قتيلاً.[3]

كما أن حُكم كل فريق على الآخر بالإسلام، مع كونه باغياً، فقد سئل علي ﷺ عن قتلى الفريقين يوم صفين فقال: قتلانا وقتلاهم في الجنة، يصير الأمر إليَّ وإلى معاوية.[4]

دليل آخر عن موقف علي من قتلى صفين، ينقله سالم بن عبيد الأشجعي ﷺ فيقول: رأيت علياً بعد صفين وهو أخذٌ بيدي، ونحن نمشي في القتلى، فجعل علي يستغفر لهم حتى بلغ أهلَ الشام، فقلت له: يا أمير المؤمنين إنّا في أصحاب معاوية!؟ فقال علي: إنما الحساب عليَّ وعلى معاوية. أي أنه يرى نفسه ومعاوية مسؤولين عما حدث، وسيحاسَبان على ذلك.[5]

وختاماً نقول بأن الروايات الصريحة عن النبي ﷺ تفيد أن علياً رضي الله عنه كان هو المصيب المحق، وأن الطائفة الأخرى (أصحاب معاوية) كانوا متأولين، وأن أصحاب الطائفتين مؤمنون

---

[1] ابن أبي شيبة: المصنف ١٥/ ٢٩٠، والإسناد حسن لغيره.

[2] ابن الجوزي: المنتظم ٥/ ١١٧- ١١٨.

[3] الحاكم: المستدرك ٢/ ١٥٥، والبيهقي: السنن ٨/ ١٨٢.

[4] الطبراني: المعجم الكبير ١٩/ ٣٠٧.

[5] ابن أبي شيبة: المصنف ١٥/ ٣٠٣.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

لا يخرجون بالقتال عن الإيمان ولا يُفسَّقون،[1] وأن علياً تألم وتكدر بقتال أهل الجمل، وقال بعد صفين: لو علمت أن الأمر يكون هكذا ما خرجتُ.[2]

كما كرر تأسفه على ما جرى في وقعتي الجمل وصفين من خلال ما قاله عن بعض من اعتزل القتال: "لله درّ مقام سعد بن مالك وعبد الله بن عمر –أي في اعتزال الفتنة– إن كان بِراً إن أجره لعظيم، وإن كان إثماً إن خطأه ليسير.[3]

ولعل موقف الصحابة الذين اعتزلوا الفتنة كان الأمثلَ والأحوط،[4] فعندما قيل لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ألا تقاتل؟ إنك من أهل الشورى وأنت أحق بهذا الأمر من غيرك.

فقال: لا أقاتل حتى يأتوني بسيف له عينان ولسانٌ يعرف المؤمن من الكافر، فقد جاهدتُ وأنا أعرف الجهادَ.[5]

أما عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فقد سأله رجلٌ: يا أبا عبد الرحمن! حدثنا عن القتال في الفتنة، والله يقول: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾.

فأجابه: هل تدري ما الفتنة ثكلتك أمك؟ وإنما كان محمد صلى الله عليه وسلم يقاتل المشركين، وكان الدخول في دينهم فتنة، وليس كقتالكم.[6]

وكانت نتيجة القتال بين الجيشين سبعين ألف قتيل من كلا الطرفين، خمسة وعشرين ألفاً من جيش عليٍّ، وخمسة وأربعين ألفاً جيش معاوية، أي نصف الجيش، فكانت الخسائر كبيرة وغير متوقعة، سواء من قِبَل عليٍّ أو معاوية رضي الله عنهما.[7]

---

[1] انظر: النووي: شرح صحيح مسلم ٧/ ١٦٧.

[2] ابن أبي شيبة: المصنف ١٥/ ٢٧٥ و ١/ ٢٩٣.

[3] ابن تيمية: مجموع الفتاوى ٤/ ٤٤٠.

[4] وهو رأي شيخ الإسلام ابن تيمية الذي يقول في كتابه في منهاج السنة ٨/ ٥٢٥- ٥٢٦: "ومنهم من يقول كان الصواب أن لا يكون قتال، وكان ترك القتال خيراً للطائفتين فليس في الاقتتال صواب، ولكن علياً كان أقرب إلى الحق من معاوية، والقتال قتال في الفتنة، ليس بواجب ولا مستحبٍ، وكان ترك القتال خيراً للطائفتين، مع أن علياً كان أولى بالحق". وانظر: محمد أمحزون: مواقف الصحابة في الفتنة ٢/ ١٨٠ و١٨٧.

[5] الهيثمي: مجمع الزوائد ٧/ ٢٩٩، وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح، وانظر: ابن سعد: الطبقات ٣/ ١٤٣- ١٤٤.

[6] البخاري: الصحيح ١٣/ ٤٩.

[7] انظر: ابن كثير: البداية والنهاية ٧/ ٣٠٤.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

سادساً: قضية التحكيم

مع استمرار القتال واشتداده، بدأت الكفَّة ترجح لصالح عليٍّ رضي الله عنه، وبدأت علامات التقهقر تظهر على جيش معاوية، ليكون تحول الأحداث برمتها مع الفكرة التي خطرت ببال عمرو بن العاص ﷺ، حين أشار على معاوية برفع المصاحف، في إشارة إلى طلب تحكيم كتاب الله تعالى فيما يحدث، ففعل معاوية ذلك، ورفع جيش الشام المصاحف فهاب جيش علي قتالهم، فقال علي: ما رفعوها إلا خديعةً، فقال له بعض القُرَّاء كمسعر بن فدكي التميمي وزيد بن حصين الطائي ممن صاروا خوارج بعد ذلك: ما يَسعُنا أن نُدعى إلى كتاب الله فَنأبى أنْ نَقْبلَه فقال: إني إنما أُقاتِلهم بحُكمِ الكِتاب. فأجابوه: يا عليُّ أَجِبْ إلى كتاب الله إذا دُعيتَ إليه، وإلا نَدفعُك برُمَّتك إلى القوم، أو نفعلُ ما فعلنا بابن عفَّان، إنه أبى علينا أن نعملَ بما في كتاب الله فقتلناهُ، والله لتفعلنَّها أو لنفعلنَّها بك.

وافق عليٌّ وأكثرية جيشه على التحكيم، وتوقف القتال وتفرق الجيشان كلٌّ إلى بلده.[1] واختير كل من عمرو بن العاص من جيش معاوية، وأبو موسى الأشعري من جيش عليٍّ، للتحكيم، والتقيا في "صِفِّين"، وبدآ يفكِّران في كيفية إيجاد حلٍّ لهذه المعضلة التي شتتت شمل المسلمين، وأوصلتهم إلى الاقتتال فيما بينهم، فاتَّفقا ابتداءً على كتابٍ مبدئي يضع أُسُس التحكيم، جاء فيه: "هذا ما تقاضى عليه عليُّ بن أبي طالب، ومعاوية بن أبي سفيان، أننا نزلنا عند حكم الله وكتابه، ونُحْيِي ما أحيا الله، ونميت ما أمات الله، فما وجد الحكمان في كتاب الله عَمِلا به، وما لم يَجِدَا في كتاب الله، فالسُّنَّة العادلة الجامعة غير المتفرِّقة".

ثم ذهب كلٌّ من الحكمَيْنِ إلى كل فريق على حِدَةٍ، وأَخذا منهما العهود والمواثيق أنهما -أي الحكمين- آمنان على أنفسهما وأهليهما، وأن الأُمَّة كلها عونٌ لهما على ما يريان، وأن على الجميع أن يُطيع ما في هذه الصحيفة. فأعطاهم القوم العهود والمواثيق على ذلك، فجلسا معاً، واتَّفقا على أنهما يجلسان للحُكْم في رمضان من نفس العام، وكان حينئذٍ في شهر صفر سنة

[1] انظر: ابن الأثير: الكامل ٣/ ١٤٦.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

٣٧هـ؛ وذلك حتى تهدأ نفوس الفريقين، ويستطيع كلُّ فريق أن يتقبَّل الحكم أياً كان، وشهد هذا الاجتماع عشرة من كل فريق، وممن شهد هذا الاجتماع عبد الله بن عباس، وأبو الأعور السُّلَمِيُّ، وحبيب بن مسلمة، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد. وخرج الأشعث بن قيس وقرأ الكتاب على الفريقين، فوافق الجميع على بنوده، وبدؤوا في دفن قتلاهم، فكان يُدفن في كل قبر خمسون نفساً؛ لكثرة عدد القتلى.[١]

تعتبر قضية التحكيم من أخطر الموضوعات في تاريخ الخلافة الراشدة، ومع ذلك فإن ما ورد إلينا عنها روايات ضعيفة جداً، صيغت بأسلوب قصصي مثير، وتناقلها جلُّ المؤرخين –من عدة طرق– على أنها حقيقة ثابتة لا شك فيها.

ولو توقفنا قليلاً عند تلك الروايات، ونظرنا بعين النقد لمتون قصة التحكيم، لأدركنا أنها لا تثبت أمام معيار النقد العلمي، ولحكمنا ببطلانها من عدة وجوه:

- أولاً: جميع طرقها ضعيفة.
- ثانياً: لهذه القضية أهمية بالغة في جانب الاعتقاد والتشريع، مع كونها لم تُنقل لنا بسند صحيح، وبالتالي فإن من المحال أن يتفق العلماء الثقات على إهمالها مع أهميتها.
- ثالثاً: ورود رواية صحيحة تناقض تلك الروايات تماماً، فقد أخرجه البخاري في تاريخه مختصراً بسند رجاله ثقات، وأخرجه ابن عساكر مطولاً، عن الحصين بن المنذر أن معاوية أرسله إلى عمرو بن العاص فقال له: "إنه بلغني عن عمرو بعض ما أكره فأته فاسأله عن الأمر الذي اجتمع عمرو وأبو موسى فيه: كيف صنعتما فيه؟.

  قال: قد قال الناس وقالوا، ولا والله ما كان ما قالوا ولكن لما اجتمعت أنا وأبو موسى قلت له: ما ترى في هذا الأمر؟. قال: أرى أنه في النفر الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض. قال: فقلت: أين تجعلني من هذا الأمر أنا ومعاوية؟ قال: إن يستعن بكما ففيكما معونة، وإن يستغن عنكما فطالما استغنى أمر الله عنكما".[٢]

---

[١] الطبري: المصدر السابق ٤/ ٣٧- ٣٨، وابن كثير: البداية والنهاية ٧/ ٣٠٦- ٣٠٧.

[٢] ابن العربي: العواصم من القواصم، ص ١٨٠.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فهذه الرواية لم تذكر خدعة ولا مكراً، ولا تولية ولا عزلاً، وقول أبي موسى هذا القول وهو يعلم أنه لم يبق من العشرة المبشرين بالجنة إلا سعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد، وعلي بن أبي طالب، وهو أفضلهم وأجلّهم، وقد اعتزلا الفتنة ولم يرغبا في ولاية ولا إمارة، فلم يبق إذاً إلا علي.

- رابعاً: إقرار معاوية بفضل علي عليه، وبأحقيته بالخلافة، فلم ينازعه إياها، ولا طلبها لنفسه في حياة علي، فعن أبي مسلم الخولاني أنه قال لمعاوية: "أنت تنازع علياً في الخلافة أو أنت مثله؟ قال: لا وإني لأعلم أنه أفضل مني وأحقُّ بالأمر، ولكن ألستم تعلمون أن عثمان قُتل مظلوماً وأنا ابن عمه ووليه أطلب بدمه؟ فأْتوا علياً فقولوا له يدفعْ لنا قتلة عثمان وأسلم له، فأتوا علياً فكلموه فلم يدفعهم إليه".[1] فالتحكيم من أجل حل هذه المعضلة، لا لاختيار خليفة أو عزله.
- خامساً: توفر كل الشروط اللازمة لخليفة المسلمين في علي ﷺ، من العدالة والعلم، وجودة الرأي المفضية إلى سياسة الرعية وحسن تدبير مصالحهم، مع كونه قرشياً. لذلك فإن بيعته منعقدة، بمبايعة المهاجرين والأنصار وأهل الحل والعقد له، وما ظهر منه قط إلى أن مات رضي الله عنه شيء يوجب نقض بيعته، وما أثر عنه قط إلا العدل، والبر والتقوى والخير.
- سادساً: وقوع التحكيم في زمان فتنة، وعزل الخليفة سيزيد الأمور تعقيداً، فكيف يقدم الصحابة الكرام على أمرٍ كهذا؟!
- سابعاً: تواتر الروايات الصحيحة أن أهل الشام بايعوا معاوية بعد التحكيم، لعلمهم بأن معاوية ليس كفئاً لعلي بالخلافة، ولا يجوز أن يكون خليفة مع إمكان استخلاف علي، الأمر الذي يؤكده الطبري في آخر حوادث سنة أربعين فيقول: "وفي هذه السنة بويع لمعاوية بالخلافة بإيليا" وعلق على هذا ابن كثير بقوله: "يعني لما مات عليٌّ قام أهل الشام فبايعوا معاوية على إمرة المؤمنين لأنه لم يبقَ له عندهم منازعٌ".[2]

---

[1] الذهبي: سير أعلام النبلاء ٢/ ٤٢٦.

[2] ابن كثير: البداية والنهاية ٨/ ١٦.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

المبحث الرابع

ظهور الخوارج والشيعة

المطلب الأول: ظهور الخوارج

أولاً: نشأة الخوارج

بعد اتفاق الطرفين على التحكيم إثر موقعة صفين، بدت الأمور وكأن الفتنة قد انتهت، إلا أن فرقةً من جيش عليٍّ رضي الله عنه، لم يعجبْها مآل الأمور، فرجعت إلى الكوفة وهي تُردِّد: "أتُحكِّمون الرجالَ في دين الله؟" ثم أعلنوا غضبهم من التحكيم بوضوح، ورفعوا شعار: "لا حُكمَ إلا لله"،[1] وزاد عدد هؤلاء، حتى بلغ عددُهم اثني عشر ألف رجل،[2] جلهم من حفظة القرآن الكريم، وعرفوا بالخوارج؛ لخروجهم عن طاعة أمير المؤمنين علي، فصدقت فيهم نبوءة النبي صلى الله عليه وسلم: «تَمْرُقُ مَارِقَةٌ عِنْدَ فُرْقَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَقْتُلُهَا أَوْلَى الطَّائِفَتَيْنِ بِالْحَقِّ».[3]

والخوارج لغةً؛ جمع خارج، وخارجي اسم مشتق من الخروج، وهو عكس الدخول، وأطلق علماء اللغة كلمة الخوارج في آخر تعريفاتهم اللغوية في مادة "خرج" على هذه الطائفة من الناس معللين ذلك بخروجهم عن الدين أو على أمير المؤمنين علي، أو لخروجهم على الناس.[4]

أما اصطلاحاً (سياسياً)؛ فهم الخارجون على الإمام المتفق على إمامته الشرعية خروجاً في أي زمان كان، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين، أو كان بعدهم على التابعين بإحسان، والأئمة في كل زمن.[5]

ويدخل تحت هذا التعريف سلف الخوارج، ممن كانوا قبل تكوين الفرقة وافتراقها عن المسلمين وإعلان أصولها، سواء منهم من كان في العهد النبوي، كذي الخويصرة الذي خرج بوقاحة على

---

[1] انظر: الطبري: السابق نفسه ٤/ ٣٩، وابن كثير: السابق نفسه ٧/ ٣١٠.

[2] الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ١/ ١٦٠. وقيل بلغ عددهم ثمانية آلاف.

[3] مسلم: صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم برقم (٢٥٠٧).

[4] تاج العروس: الزبيدي ٢/ ٣٠.

[5] الشهرستاني: الملل والنحل ١/ ١١٤.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

النبي ﷺ بلسانه معترضاً على حكمه وقسمته في الغنائم،[1] أو من خرج على الإمام الحق بعده، سواء في عهد عثمان رضي الله عنه، أو غيره من الأئمة.[2]

وللخوارج أسماءٌ شتَّى منها: المُحَكِّمَة، الشُّرَاة، الحَرُوريَّة، النَّوَاصب، المارقة.

وإنَّما أُطْلِق عليهم لفظ المُحَكِّمَة: لترددهم كلمة "لَا حُكْمَ إلَّا لله".

و"الشُّرَاة": لأنَّهم زعموا أنَّهم شروا أنفسهم لله عزَّ وجلَّ أي باعوها.

و"الحَرورية": لأنَّهم حينما خرجوا على عليٍّ رضي الله عنه انحازوا إلى قرية حروراء.

ثم صارت الخوارج فرقاً شتَّى، وصار لكلِّ فرقةٍ منهم اسمٌ خاصٌّ، مثل: الأزارقة، والإباضية.

كما أُطلق عليهم لفظ "النَّواصب": لمبالغتهم في نصب العداء لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه.[3] وعرفوا باسم "المارقة": لِقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ».[4]

وأما حكم الخوارج عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فإنهم ليسوا كفاراً، فعن طارق بن شهاب قال: كنت عند علي فسُئلَ عن أهل النهروان أهم مشركون؟.

قال: من الشرك فرُّوا.

قيل: فمنافقون هم؟.

قال: إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً.

قيل له: فما هم؟.

قال: قومٌ بغوا علينا.[5]

---

[1] انظر: البخاري: صحيح البخاري ٨/ ٦٦ برقم (٦٩٣٣)، كتاب: استتابة المرتدين، باب: قتال الخوارج للتآلف.

[2] ابن الجوزي: تلبيس إبليس، ص ٨٩.

[3] يعلق ابن كثير في البداية والنهاية ٧/ ٣١٦ على فساد عقيدتهم فيقول: "وهذا الضرب من الناس من أغرب أشكال بني آدم، فسبحان من نوّع خلقه كما أراد، وسبق في قدره العظيم!".

[4] البخاري: صحيح البخاري: كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم برقم (٦٥٣٢)، ومسلم: صحيح مسلم: كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم برقم (١٠٦٤).

[5] ابن أبي شيبة: المصنف ١٥/ ٣٣٢. وعبد الرزاق: المصنف ١٠/ ١٥٠.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقد فصل الفقهاء في حُكمهم أيضاً، فقال عنهم شيخ الإسلام ابن تيمية: "الأمة متفقون على تضليل الخوارج، وإنما تنازعوا في تكفيرهم، على قولين مشهورين في مذهب مالك وأحمد. وفي مذهب الشافعي أيضاً نزاعٌ في كفرهم، ولهذا كان فيهم وجهان في مذهب أحمد وغيره، على الطريقة الأولى أنهم بغاةٌ. والثاني أنهم كفَّار كالمرتدين.[1]

وقال الخطابي: "أجمع علماء المسلمين على أن الخوارج مع ضلالتهم فرقة من فرق المسلمين، وأجازوا مناكحتهم، وأكل ذبائحهم، وأنهم لا يُكَفَّرون ما داموا متمسكين بأصل الإسلام.[2]

وقد حاول علي ﷺ إقناع الخوراج بالعودة إلى الكوفة للمشاركة معه في الحرب ضدَّ معاوية رضي الله عنه، وذكَّرهم بالانحياز بدايةً إلى التحكيم "ألم تعلموا أنِّي نهيتكم عن الحكومة وأخبرتكم أنَّ طلب القوم إيَّاها منكم دهن ومكيدة؟"، فأجابوه: "إنَّك لم تغضبْ لربِّك وإنَّما غضبتَ لنفسك، فإن شهدت على نفسك بالكُفر واستقبلت التوبة، نظرنا فيما بيننا وبينك، وإلَّا نابذناك على السواء، إنَّ الله لا يحب الخائنين".[3]

ثانياً: سياسة علي ﷺ في التعامل معهم

وقد اتبع عليِّ بن أبي طالب رضي الله عنه معهم سياسة الحوار والمحاججة، فناقشهم فيما أخذوه عليه، ورد شُبههم الباطلة، فاستفرغ في ذلك وسعه وأعذر إلى ربه، ثم أرسل إليهم حَبر الأُمَّة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، فناظرهم على مدار ثلاثة أيَّام، وكان من جملة مناظرة ابن عباس لهم أنه سألهم عن مآخذهم على أمير المؤمنين فأجابوا: أما إحداهن فإنه حكَّم الرجال في أمر الله فكفرَ، وقال الله تعالى:﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ﴾ [الأنعام: ٥٧]، ما شأنُ الرجال والحُكم؟، وأما الثانية، فإنه قاتل ولم يَسبِ ولم يغنَم، فإن كانوا كفاراً سلبهم، وإن كانوا مؤمنينَ ما أحلَّ قتالهم. والثالثة إنه محا اسمه من أمير المؤمنين، فهو أمير الكافرين.

---

[1] ابن تيمية: مجموع الفتاوي ٢٨/ ٥١٨.

[2] انظر: العسقلاني: فتح الباري ١٢/ ٣٠٠.

[3] الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٥/ ٧٨- ٨٠.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فأجابهم ابن عباس: "أما قولكم حكَّم الرجال في أمر الله، فأنا أقرأ عليكم في كتاب الله أن قد صيّر الله حكمه إلى الرجال في ثُمُن ربع درهم، فأمر الله الرجال أن يحكموا فيه، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لاَ تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّداً فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ [المائدة: ٩٥]. فنشدتكم بالله تعالى، أَحكمُ الرجال في أرنب ونحوها من الصيد أفضل أم حكمهم في دمائهم وصلاح ذات بينهم؟! وأنتم تعلمون أن الله تعالى لو شاء لحكم ولم يصيّر ذلك إلى الرجال. قالوا: بل هذا أفضل. وفي المرأة وزوجها قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَماً مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَماً مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلاَحاً يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ [النساء: ٣٥]، فنشدتكم بالله حكم الرجال في صلاح ذات بينهم، وحقن دمائهم أفضل من حكمهم في بضع امرأة؟!.

وأما قولكم قاتل ولم يسبِ ولم يغنم، أفتسلبون أُمَّكم عائشة ثم تستحِلُّون منها ما يستحل من غيرها وهي أمكم؟ فإن قلتم: إنا نستحل منها ما نستحل من غيرها فقد كفرتم، ولئن قلتم ليست بأمِّنا فقد كفرتم؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦]. فأنتم تدورون بين ضلالتين، فأتوا منها بمخرج!.

وأما قولكم محا اسمه من أمير المؤمنين، فأنا آتيكم بمن ترضون، وأراكم قد سمعتم أن النبي ﷺ يوم الحديبية صالح المشركين، فقال لعلي رضي الله عنه: "اكتبْ، هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ". فقال المشركون: لا والله ما نعلم أنك رسول الله، لو نعلم أنك رسول الله لأطعناك، فاكتب محمد بن عبد الله. فقال رسول الله ﷺ: "امْحُ يَا عَلِيُّ رَسُولَ اللَّهِ، اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي رَسُولُكَ، امْحُ يَا عَلِيُّ، وَاكْتُبْ هَذَا مَا صَالَحَ عَلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ". فوالله رسول الله ﷺ خير من عليٍّ، وقد محا نفسه ولم يكن محوه ذلك يمحوه من النبوة.[1]

[1] النسائي: خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ص ٢٠٠.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

فرجع منهم أربعة آلاف وتابوا على يديه، وعادوا معه إلى الكوفة، فكانوا مع عليٍّ رضي الله عنه، أما الباقون الذين عاندوا ولم يرجعوا عمَّا هم عليه فقد ظلُّوا يتردَّدون على الكوفة، ويتردَّد عليهم رسلُ عليٍ لإقناعهم، ولكن دون جدوى.[1]

ومع مرور الوقت، تعالت أصوات هؤلاء، وخرجوا عن دائرة الأدب في الحوار والاعتراض، وأطلقوا ألسنتهم بالسب والشتم، حتى أن أحدهم قال له: يا عليُّ، أَشْرَكْتَ الرجالَ في دين الله، ولا حكم إلا لله. وتنادَوْا من كل جانب: لا حكم إلا لله. فقال علي رضي الله عنه: "هذه كلمة حقٍّ أُريد بها باطل".[2] لكنه لم يعلن الحرب عليهم، بل تريث وصبر على جهالاتهم خوفاً من انتشار فتنتهم، ثم قال: "إن لكم علينا ألاّ نمنعكم فيئاً ما دامت أيديكم معنا، وألا نمنعكم مساجد الله، وألا نبدأكم بقتال حتى تبدؤونا".

وللأسف؛ لم تنفع سياسة الحلم التي انتهجها مع هؤلاء الخوارج، فقد بدؤوا يُعرِّضون بتكفيره، فقابله رجلٌ منهم يوماً، وقال له: يا عليُّ، لئن أشركت ليحبطَنَّ عملك، ولتكونَنَّ من الخاسرين. فقرأ علي قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَلاَ يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لاَ يُوقِنُونَ﴾ [الروم: ٦٠].[3]

ثالثاً: اجتماع المحكمين في دومة الجندل

لما حان موعد اجتماع الحكمين في شهر رمضان سنة ٣٧هـ، أرسل عليٌّ أبا موسى الأشعري رضي الله عنه إلى دومة الجندل في أربعمئة فارس، ومعهم وعبد الله بن عباس على الصلاة، في حين أرسل معاوية عمرو بن العاص في أربعمئة فارس، وكان معهم من رءوس الناس عبد الله بن الزبير بن العوام، والمغيرة بن شعبة، وكان معهم أيضاً عبد الله بن عمر بن الخطّاب رضي الله عنهم، ولم يكن مع معاوية في القتال، فقد اعتزل الفتنة، لكنه كان حينئذٍ في الشام، فجاء مع الوفد الذي أرسله معاوية للتحكيم.

---

[1] الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٤/ ٥٤.

[2] مسلم: صحيح مسلم: ٢/ ٧٤٩. وعبد الرزاق: المصنف ١٠/ ١٥٠.

[3] ابن كثير: البداية والنهاية ٧/ ٣٠٩. وانظر: ابن أبي شيبة: المصنف ١/ ٧٣٣- ٧٣٤، والطبري: تاريخ الأمم والملوك ٣/ ١١٤.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وتوصل الطرفان لاتِّفاق خلاصته معاودة التفاوض في العام المقبل بدُومَة الجندل، وحتى هذا العام يظلُّ لكل من عليٍّ ومعاوية رضي الله عنهما ما تحت أيديهما من بلاد المسلمين، إلا أن الخوارج –عليهم من الله ما يستحقُّونه–لم يَرُقْهم هذا الأمر، ولم يرضَوْا بالتحكيم، فجهروا بعدائهم لأمير المؤمنين علي، بل إن اجتراءهم عليه بلغ درجة تكفيره واستباحة دمه، هو وكل مَن رضي بالتحكيم.[1]

رابعاً: موقعة النهروان

قرر الخوارج الرحيل عن الكوفة، وسموا أنفسهم بالمهاجرين، وسموا الكوفة بالقرية الظالم أهلها، وشبَّهوا خروجهم بهجرة النبي ﷺ من مكَّة إلى المدينة المنورة،[2] فلجأوا إلى مكان يُسمَّى النهروان، وعاثوا في الأرض فساداً، حتى أنهم قاتلوا عمَّال الولايات واعترضوا اجتيازهم أراضي ولاياتهم،[3] فلما رأى عليٌّ رضي الله عنه خطرهم على المسلمين، بعث إليهم: "قد كان من أمرنا وأمر الناس ما قد رأيتم، فقفوا حيث شئتم حتى تجتمع أُمَّة محمد صلى الله عليه وسلم، وبيننا وبينكم ألاّ تسفكوا دماً حراماً، أو تقطعوا سبيلاً أو تظلموا ذمياً فإنكم إن فعلتم فقد نبذنا إليكم الحرب على سواء، ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾" [الأنفال: ٥٨].[4]

فلما زاد فُحشهم وكثرت جرائمهم، وتهدده بعضهم بالقتال فقال: أما والله يا علي! لئن لم تدع تحكيم الرجال في كتاب الله، لأقاتلنَّك، أطلب بذلك رحمة الله ورضوانه، فقال له علي: تباً لك ما أشقاك! كأني بك قتيلاً تسفي عليك الريح، فقال: وددت أن قد كان ذلك، إضافة إلى أن بعضهم أسمعه السب والشتم والتعريض بآيات القرآن،[5] وتمادوا أكثر بقتل رسول أمير المؤمنين إليهم، الحرب بن مرة العبدي، فقرَّر عليٌّ أن يقاتلهم، معتبراً ذلك واجباً شرعياً، فخرج لهم بجيش كبير، ولكنه قبل أن يدخل معهم في قتال أراد رضي الله عنه أن يجنِّب المسلمين شرَّ

---

[1] ابن كثير: البداية والنهاية ٧/ ٣١٥- ٣١٦

[2] الطبري: تاريخ السل والملوك ٥/ ٧٥.

[3] الطبري: تاريخ الرسل والملوك: ٥/ ٧٦.

[4] ابن كثير: البداية والنهاية ٧/ ٣١١.

[5] الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٣/ ١١٤. وابن كثير: البداية والنهاية ٧/ ٢٨٥.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الحرب بعد ما حدث في موقعتي الجمل وصفِّين، فأرسل إليهم مَن يدعوهم للعودة إلى طاعة أميرهم كي يحكم بينهم، فيَقْتُل مَنْ قَتَل أحداً من المسلمين، ويعفو عن مَنْ لم يقتل.[1]

رفض الخوارج العرض، وجمعوا قواهم في منطقة النهروان، ثم اتَّجهوا إلى مكان آخر قريب من الكوفة، وأمَّروا عليهم عبد الله بن وهب الراسبي، وبدؤوا بالإفساد في الأرض فقطعوا الطرق، وقتلوا المسلمين بحجة الكفر والرِّدة لقبولهم بالتحكيم.

وكان من جملة ضحاياهم عبد الله بن خباب بن الأرتِّ، الذي أحاطوا به وسألوه من أنت؟

قال: أنا عبد الله بن خباب بن الأرت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فقالوا له: حدِّثنا حديثاً سمعته من أبيك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فقال: سمعت أبي يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ستكون فتنةٌ القاعد فيها خير من القائم، والقائم خيرٌ من الماشي، والماشي خيرٌ من الساعي، فمن استطاع أن يكون مقتولاً فلا يكوننَّ قاتلاً».[2]

قالوا: فما تقول في أبي بكرٍ وعمر رضي الله عنهما؟

فأثنى عليهما خيراً.

قالوا: فما تقول في عثمان وعلي؟

فأثنى عليهما خيراً.

قالوا: فما تقول في التحكيم؟

قال: أقول إنَّ عليّاً أعلم بكتاب الله منكم وأشدُّ توقياً على دينه وأنفذ بصيرة.

قالوا: إنَّك لست تتَّبع الهدى إنَّما تتَّبع الرجال على أسمائهم.

ثم قالوا له: إنَّ هذا الذي في عنقك -أي المصحف- ليأمرنا بقتلك.

فقال: "ما أحيا القرآن فأحيوه وما أماته فأميتوه".

---

[1] للإمام الماوردي في "الأحكام السلطانية والولايات الدينية" ١/ ٦٣. تفصيلات في فرق الخوارج، والسياسات الواجب اتباعها معهم.

[2] الحاكم: المستدرك برقم (٨٣٦٠). والبيهقي: السنن الكبرى ٨/ ١٩٠. وابن حنبل: المسند ٣/ ٢٩.

www.alukah.net

فقرَّبوه إلى شاطئ النهر وذبحه مسمع بن قدلي، ثم مرّ بعضهم على تمرة ساقطة من نخلة في بستان نصراني، فأخذها فألقاها في فِيه، فقال بعضهم: تمرة مُعاهد، فبم استحللتها؟ فألقاها من فيه، ثم مروا على خنزير فنفحه بعضهم بسيفه، فقال بعضهم: خنزير معاهد، فبمَ استحللته؟ وقال بعضهم لبعض: احفظوا ذمَّة نبيِّكم. ثم دخلوا بيت عبد الله بن خباب فقتلوا ولده وبقروا بطن أم ولده. [1]

أثارت جريمة ذبح عبد الله بن خباب كالشاة، وبقر بطن زوجته الرعب بين الناس، وتكشف مدى إرهابهم، ولم يكتفوا بهذا بل صاروا يهددون الناس بالقتل، حتى إن بعضهم استنكر عليهم هذا العمل قائلين: ويلكم ما على هذا فارقنا علياً.

أما علي ﷺ فلم يبادر إلى قتالهم، بالرغم من فظاعة ما ارتكبوه من جرائم ومنكرات، بل أرسل إليهم أن يسلموا القتلة لإقامة الحد عليهم، ثم لعل الله أن يقبل توبتهم، فبعثوا إليه يقولون: كلنا قتل إخوانكم، ونحن مستحلون دماءهم ودماءكم. فبعث علي إليهم قيس بن سعد بن عبادة، فوعظهم فيما ارتكبوه من الأمر العظيم، فلم ينفع، فبعث إليهم أبا أيوب الأنصاري، فأنبهم ووبخهم فلم ينجع، فتقدم علي رضي الله عنه إليهم فوعظهم وخوفهم وحذرهم وتوعدهم، فلم يكن لهم جواب إلا أن تنادوا فيما بينهم: أن لا تخاطبوهم، ولا تكلموهم، وتهيؤوا للقاء الله تعالى، "الرواحَ الرواحَ إلى الجنَّة".

سار علي ﷺ إليهم بجيشه الذي أعدَّه لقتال أهل الشام في شهر المحرم من عام ٣٨هـ، وعسكر على الضفة الغربية لنهر النهروان، وأمر جيشه ألاّ يبدؤوا بالقتال حتى يجتاز الخوارج النهر غرباً، وأرسل إليهم البراء بن عازب يناشدهم الله ويأمرهم أن يرجعوا، فأبوا طاعته، ولم تزل رُسله تختلف إليهم حتى قتلوا رسله، واجتازوا النهر.

وبهذا التحدي الصارخ قطع الخوارج الأمل في كل محاولات الصُّلح وحقن الدماء، ورفضوا الخضوع للحق وأصروا على القتال، فشرع علي بترتيب جيشه استعداداً للقتال، وأمر أبا أيوب

[1] الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٤/ ٦١، وابن كثير: البداية والنهاية ٧/ ٣١٨.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الأنصاري أن يرفع راية أمان للخوارج، ويقول لهم: من جاء إلى هذه الراية فهو آمن، ومن انصرف إلى الكوفة والمدائن فهو آمن، إنه لا حاجة لنا فيكم إلا فيمن قتل إخواننا. فانصرف منهم طوائف كثيرون، وكانوا أربعة آلاف فلم يبقَ منهم إلا ألفٌ أو أقل مع عبد الله بن وهب الراسبي.

أما عن المستند الشرعي الذي اعتمده علي رضي الله عنه في قتال الخوارج، ولم ينازعه فيه أحد من الصحابة، فهو قول النبي ﷺ « يخرُجُ في آخرِ الزَّمانِ قومٌ أحداثُ الأسنانِ (صغار السن ضعاف العقول)،[1] سُفَهاءُ الأحلامِ (يقولون القول الحسن في الظاهر والباطن خلاف ذلك)، يقولونَ مِن خَيْرِ قَوْلِ البَرِيَّةِ، لا يُجاوِزُ إيمانُهُمْ حَناجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ، كما يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، فأيْنَما لَقِيتُمُوهُمْ فاقْتُلُوهُمْ، فإنَّ في قَتْلِهِمْ أجْرًا لِمَن قَتَلَهُمْ يَومَ القِيامَةِ».[2]

زحف الخوارج إلى علي فقال لأصحابه: كفوا عنهم حتى يبدؤوكم. وبعد معركة خاطفة وحاسمة يوم التاسع من شهر صفر عام ٣٨هـ، أسفرت عن عددٍ كبير من القتلى في صفوف الخوارج، كما أصيبوا جميعاً، وفر عدد يسيرٌ منهم، وقتل أمراؤهم: عبد الله بن وهب الراسبي، وحرقوص بن زهير، وشريح بن أوفى، وعبد الله بن سخيرة السلمي، ولم يقتل من أصحاب علي سوى اثنا عشر أو ثلاثة عشر رجلاً.[3]

وحين انتهت المعركة أصدر علي رضي الله عنه أمره في جنده ألاّ يتبعوا مُدبِراً أو يذففوا على جريح أو يمثّلوا بقتيل، بل إنه سلَّم الجرحى إلى ذويهم ليداووهم، وردَّ أسلابهم، وأعطاهم فرصة أخرى للتوبة، ولم يسْبِ عليٌّ نساءهم. وسُمِّيت هذه المعركة معركة النهروان.[4]

---

[1] ابن حجر: فتح الباري ١٢/ ٢٨٧.

[2] البخاري: الجامع الصحيح، كتاب المناقب٢/ ٥٣١ واللفظ له، ومسلم: صحيح مسلم، كتاب الزكاة ٢/ ٧٤٧.

[3] انظر: ابن أبي شيبة الكوفي: المصنف ٥/ ٣١١. والخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ١/ ٨٣. وابن كثير: البداية والنهاية ٧/ ٢٨٩.

[4] انظر: البيهقي: السنن الكبرى ٨/ ١٨٢. الطبري: المصدر السابق ٤/ ٦٦، وابن كثير: المصدر السابق ٧/ ٣٢٠.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المطلب الثاني: ظهور الشيعة

أولاً: تعريف التشيع

ظهر التشيع –بداية– كتجمع سياسي، ثم تحول إلى تيار ديني خلال عهد علي ﷺ، ولا بدَّ من التوقف قليلاً عند هذه الفرقة لمعرفة ظروف نشأتها، وأهم فرقها في عهده.

والشيعة في اللغة هم "الأتباع والأنصار".[1] و"قومٌ اجتمعوا على أمرٍ فهم شيعةٌ"، وأصل الشِّيعة "الفِرقة من النَّاس"، ويقع على الواحد والاثنين، والجمع، والمذكر والمؤنث، بلفظٍ واحدٍ ومعنىً واحد.[2]

أما اصطلاحاً فلهم تعريفات شتى، يقول ابن خلدون: "الشيعة لغةً؛ الصَّحبُ والأتباع، ويُطْلَق في عُرْف الفقهاء والمتكلمين من الخلَف والسَّلف على أتباع علي وبنيه رضي الله عنهم، ومذهبهم جميعاً متفقين عليه؛ أنَّ الإمامة ليست من المصالح العامة التي تُفَوَّضُ إلى نظر الأمة".[3]

يقول أبو الحسن الأشعري: "وإنما قيل لهم الشيعة لأنهم شايعوا علياً رضي الله عنه، ويقدمونه على سائر أصحاب رسول الله ﷺ.[4]

ويعرفهم الشهرستاني بقوله: "الشيعة هم الذين شايعوا علياً رضي الله عنه على الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافته نصاً ووصية، إما جلياً وإما خفياً، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج عن أولاده، وإن خرجت فبظلمٍ يكون من غيره، أو بتقية من عنده".[5] وبشير إلى الإمامية منهم –على وجه الخصوص– بقوله: "هم القائلون بإمامة علي بعد النبي، نصاً ظاهراً، وتعييناً صادقاً، من غير تعريض بالوصف، بل إشارة إليه بالعين".[6]

---

[1] الفيروز أبادي: القاموس المحيط ٣/ ٤٧.

[2] ابن منظور: لسان العرب ٨/ ١٨٨، مادة [شيع]

[3] ابن خلدون: المقدمة ص ١٣٤.

[4] الأشعري: مقالات الإسلاميين ١/ ٦٥.

[5] الشهرستاني: الملل والنحل، ص ١٤٦.

[6] الشهرستاني: الملل والنحل، ص ١٦٢.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

في حين يُعرف ابن حجر التشيعَ بأنه: "محبة عليٍّ وتقديمه على الصحابة، فمن قدمه على أبي بكر وعمر فهو غالٍ في تشيعه، ويطلق عليه رافضيٌّ، وإلا فشيعي، فإن انضاف إلى ذلك السبُّ والتصريح بالبغض فغالٍ في الرفض، وإن اعتقد الرجعة إلى الدنيا فأشد في الغلو".[1]

ثانياً: فرق الشيعة

افترقت الشيعة إلى عدة فرق، من أشهرها في حياة علي رضي الله عنه:

- أولاً: المفضلة: اقتصر هؤلاء على تفضيل علي بن أبي طالب رضي الله عنه على سائر الصحابة، دون تكفير واحد منهم ولا سبٍّ ولا بُغضٍ، وبالأخص تفضيله على أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم أجمعين، وتنقسم المفضلة إلى فرقتين:
  أ- من يفضلون علياً على أبي بكر وعمر رضي الله عنهم أجمعين، وقد أنكر علي عليهم هذا التفضيل وهددهم بقوله: "لا أُوتى بأحدٍ يفضلني على أبي بكر وعمرَ إلا جلدُّته حدَّ المفتري"، بل إنه بيَّن بنفسه أنهم أفضلُ منه، كما يروي ابنه محمد بن الحنفية: "سألت أبي من خيرُ الناس بعد رسول الله ﷺ؟ قال: أبو بكرٍ. قلت ثم من؟ قال: ثم عمرُ، قلت ثم أنت؟ قال: ما أنا إلا رجلٌ منَ المسلمين".
  ب- من يفضلون علياً على عثمان وباقي الصحابة الكرام رضي الله عنهم.
- ثانياً: السبئية: هم أتباع عبد الله بن سبأ، وهو أولُ من أظهرَ القول بالنَّص بإمامة علي، ومنه انشعبت أصناف الغُلاة، وزعم أن علياً ﷺ كان نبياً، ثم غلا فيه وزعم أنه إلهٌ، وقال له: أنتَ أنتَ (يعني أنت الإله)، ودعا إلى ذلك قوماً من غواة الكوفة، فنفاه إلى المدائن. وقد أظهر السبئية بدعتهم في زمان علي ﷺ فأحرق قوماً منهم.[2]

---

[1] العسقلاني: هدي الساري مقدمة صحيح البخاري، ص٤٥٩.

[2] البغدادي: الفرق بين الفرق ص ٢٣٣، والشهرستاني: الملل والنحل ص١٧٤. بتصرف.

www.alukah.net

أما عقيدة هذه الفرقة الضالة فتختصر بما يلي:

١) القولُ بالنَّص بإمامة علي بن أبي طالب.[١]

٢) القولُ بنبوَّة علي بن أبي طالب.

٣) القولُ بألوهيةِ علي بن أبي طالب.

٤) سبُّ الصحابة: إلا قليلاً منهم كسلمان الفارسي، وأبي ذر، والمقداد، وعمار بن ياسر رضي الله عنهم، فقد دخل سويد بن غفلة دخل على علي ﷺ في إمارته فقال: إني مررتُ بنفرٍ يذكرون أبا بكر وعمر، يرون أنك تُضمر لهما مثل ذلك، منهم عبد الله بن سبأ. فقال علي: "مالي ولهذا الخبيث الأسود، ثم قال: "معاذَ الله أن أُضمر لهما إلا الحَسنَ".[٢]

٥) القولُ بالرُّجعة: أي أنَّ علياً يرجع إلى الدنيا قبل يوم القيامة، فيملأُ الأرض عدلاً كما مُلئت جَوراً. وقد أظهر ابن سبأ هذه المقالة بعد وفاة علي ﷺ.[٣]

---

[١] ويقر كثير من مراجع الشيعة بذلك، منهم ابن المرتضى (ت ٨٤٠ هـ) -وهو من أئمة الشيعة الزيدية - أن أصل التشيع مرجعه إلى ابن سبأ، لأنه أول من أحدث القول بالنص في الإمامة . تاج العروس لابن المرتضى، ص ٥- ٦.

[٢] انظر: ابن تيمية: منهاج السنة، تحقيق: محمد رشاد سلم ١/ ٣٠٧. والعسقلاني: لسان الميزان ٣/ ٣٥٩. والقمي: المقالات والفرق، ص ٢٠.

[٣] انظر: الشهرستاني: الملل والنحل، ٢/ ١١٦- ١٥٥. والأشعري: مقالات الإسلاميين ١/ ٨٦.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ثالثاً: منهج أمير المؤمنين علي في التعامل مع غلاة الروافض

تبدى منهج أمير المؤمنين علي رضي الله عنه في التعامل مع هذه الفرقة المارقة في جانبين:

- الأول: ذمُّهم والتبرؤ منهم وتهديدهم بالعقوبة: فعن سويد بن غفلة أنه قال: مررت بقوم ينتقصون أبا بكر وعمر، فأخبرت علياً وقلت: لولا أنهم يرون أنك تُضمر ما أعلنوا وما اجترؤوا على ذلك، منهم عبد الله بن سبأ. فقال علي: "نعوذ بالله، رحمنا الله"، ثم نهض وأخذ بيدي وأدخلني المسجد فصعد المنبر ثم قبض على لحيته، فجعلت دموعه تتحادر عليها، وجعل ينظر للقاع حتى اجتمع الناس، ثم خطب فقال: "ما بالُ أقوامٍ يذكرون أخَوَيْ رسول الله ﷺ ووزيريه، وصاحبَيه، وسيدَي قريش، وأبوَي المسلمين!، وأنا بريءٌ مما يذكرون، وعليه معاقِب. صَحِبا رسول الله بالحب والوفاء، والجد في أمر الله، يأمران وينهيان، ويغضبان ويعاقبان. ولا يرى رسول الله ﷺ كرأيهما رأياً، ولا يحب كحبهما حباً، لما يرى من عزمهما في أمر الله، فقُبض وهو عنهما راض والمسلمون راضون، فما تجاوزا في أمرهما وسيرتهما رأي رسول الله ﷺ وأمره في حياته وبعد مماته، فقبضا على ذلك رحمهما الله". كما ذمَّ هؤلاء الأئمةُ من أهل البيت، حتى في بعض كتب الشيعة أنفسهم.[1]
- الثاني: تحريقهم بالنار لازدياد غيهم وإفسادهم: ثبت أن علياً عاقب هذه الطائفة من الناس بأن خَدَّ لهم أخاديدَ فأضرم فيها النار ثم أحرقهم فيها، بعدما أَبَوْا الرجوع عن باطلهم، وأصروا على غيهم، فعن عبد الله بن شريك العامري عن أبيه قال: قيل لعلي: إن هناك قوماً على باب المسجد يدعون أنك ربهم، فدعاهم فقال لهم: ويلكم! ما تقولون؟ قالوا: أنت ربُّنا وخالقنا ورازقنا. فقال: ويلكم! إنما أنا عبد مثلكم، آكل الطعام كما تأكلون، وأشرب كما تشربون، إن أطعت الله أثابني إن شاء، وإن عصيته خشيت أن يعذبني، فاتقوا الله

[1] انظر: الخوانساري: روضات الجنات٣/ ١٤، وقد جاء ذكر ابن سبأ عنده على لسان جعفر الصادق الذي لعن ابن سبأ لاتهامه بالكذب والتزوير.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وارجعوا. فأبَوا. فلما كان من الغد، غدوا عليه، فجاء قنبر فقال: قد واللهِ رجعوا يقولون ذلك الكلام، فقال: أدخلْهم. فقالوا كذلك، فلما كان الثالث، قال: لئن قلتم ذلك لأقتلنَّكم بأخبث قتلة، فأبوا إلا ذلك، فقال: يا قنبر! ائتني بفعلة معهم مرورهم، فخد لهم أخدوداً بين باب المسجد والقصر، وقال: احفروا فأبعدوا في الأرض، وجاء بالحطب فطرحه بالنار في الأخدود، وقال: إني طارحكم فيها أو ترجعوا، فأبوا أن يرجعوا، فقذف بهم فيها.

كما أخرج البخاري في صحيحه خبر الإحراق من حديث عكرمة قال: "أُتي عليٌّ رضي الله عنه بزنادقة فأحرقهم، فبلغ ذلك ابن عباس فقال: لو كنت أنا لم أحرقهم لنهي رسول الله ﷺ: «لا تعذبوا بعذاب الله».[1] ولقتلتهم لقول رسول الله ﷺ: «من بدَّلَ دينه فاقْتلوهُ».[2]

كما ورد في كتب الشيعة أنفسِهم تأكيدُ هذا الخبر، فقد جاء في كتاب "رجال الكشي": أن ناساً أتوا علياً، وقالوا له: "أنت أنت"، (أي الله) فقال لهم: "إني لستُ كما قلتم، إنما أنا عبدٌ مخلوقٌ، فأبوا عليه، فقال لهم: إن لم ترجعوا أو تتوبوا لأقتلنكم، فأبوا ذلك، فأمر أن يحفر لهم خداً في الأرض، ثم أمر بالحطب فطُرِح فيه، ثم قال لهم ويلكم! توبوا وارجعوا، فأبوا، وقالوا: لا نرجع. فقذف علي بعضهم، ثم قذف بقيتهم في النار.[3]

وقد يتساءل البعض عن الدافع لاتخاذ هذا الأسلوب القاسي في قتلهم، والجواب عند الإمام ابن القيم بقوله حينما تحدث عن سياسة الحكام مراعاة للمصلحة العامة وظروف الزمان المكان: "ومن ذلك تحريقُ عليِ بن أبي طالب الزنادقة الرافضة وهو يعلمُ سنة رسول الله في قتل الكافر، ولكن لما رأى أمراً عظيماً جعل عقوبته أعظم العقوبات ليزجر الناس عن مثله".[4]

---

[1] البخاري: صحيح البخاري برقم (٣٠١٧).

[2] البخاري: صحيح البخاري برقم (٣٠١٧) كما روى خبر الإحراق طائفة من أئمة الحديث منهم أبو داود في سننه، والترمذي في جامعه، والنسائي في سننه. وقال ابن تيمية: "وثبت عنه أنه حرق غالية الرافضة الذين اعتقدوا فيه الإلهية".

[3] انظر: ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ٢/ ٣٠٨- ٣٠٩. والنوبختي: فرق الشيعة، ص ٤٤.

[4] ابن القيم: الطرق الحكمية، ص ٢٣. وانظر: ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ٢/ ٣٠٨- ٣٠٩. والنوبختي: فرق الشيعة، ص ٤٤.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

المبحث الخامس

النظام الإداري في عهد في عهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه

المطلب الأول: الإصلاحات الإدارية

أولاً: عزل ولاة عثمان ﷺ

قبل الحديث عن النظام الإداري في عهد الخليفة علي ﷺ لا بد من توضيح نقطة مهمة، وهي الادعاء أن علياً رضي الله عنه عزل جميع ولاة عثمان، وهو خطأ وقع فيه بعض المؤرخين، فالعزل لم يكن إلا لمعاوية بن أبي سفيان في الشام، وخالد بن أبي العاص بن هشام في مكة، وأبي موسى الأشعري في الكوفة، على أنه أقره بعد ذلك.

أما البصرة فخرج منها عبد الله بن عامر ولم يول عثمان عليها أحداً، وفي اليمن أخذ أميرها يعلى بن منية رضي الله عنه مال جباية اليمن وقدم مكة بعد استشهاد عثمان، وانضم إلى طلحة والزبير وشهد معهما موقعة الجمل، ووفد ابن أبي سرح عامل مصر على عثمان، فلما رجع إليها وجد محمد بن أبي حذيفة بن عتبة قد تغلب عليها، فأقره علي مؤقتاً، ثم ولى عليها قيس بن سعد بن عبادة، الذي دخلها بمساعدة معاوية وعمرو بن العاص.

وهكذا فإن أميري اليمن والبصرة عزلا أنفسهما، وأمير مصر عزله المتغلب عليها ابن أبي حذيفة، وأمير الكوفة أقره علي رضي الله عنه في منصبه، فلم يرد العزل إلا في حق معاوية والي الشام وخالد بن أبي العاص والي مكة.

والثابت أن علياً لم يول أحداً ممن مالأ على عثمان، بل ولى أخيار الناس على المسلمين، ومنهم: سهل بن حنيف على الشام، وهو صحابي جليل، وعثمان بن حنيف على البصرة، وهو صحابي جليل ولاه عمر على العراق. كما ولى قيس بن سعد بن عبادة على مصر، وكان صاحب شرطة النبي ﷺ، وولى عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب على اليمن.[1]

---

[1] بالنسبة لما تناقله هؤلاء المؤرخون من تحذير المغيرة بن شعبة علياً عاقبة عزله العمال في وقت مبكر ثم راجعه ونصحه بعزلهم، وقول ابن عباس لعلي: لقد نصحك في الأولى وغشّك في الثانية، فهو باطلٌ لا أساس له.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثانياً: أبرز التنظيمات الإدارية في عهد علي ﷺ

اهتم علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالتنظيمات الإدارية في الدولة الإسلامية، ويظهر ذلك من خلال خطبه ووصاياه لعماله وولاته على الأقاليم والأمصار التابعة للدولة الإسلامية، فقد كان شديداً في الحق، ويعدل في الرعية، فقد جاء في الكتاب الذي وجهه إلى الأشتر النخعي حين ولاه حكم مصر كتاباً جامعاً في أصول السياسة والحكم والإدارة، وآلية وضع الأسس والقواعد التي يجب أن تُحكَم بها الأمة، وطريقة معاملة أهالي البلاد المفتوحة، وعلاقة الحاكم بالمحكومين، وقدم في هذا الكتاب النصح للولاة والساسة بضرورة الحكم بما أنزل الله تأكيداً لما جاء في كتاب الله، وسنة رسله ﷺ.

ومما جاء في هذا الكتاب:

١. العمل بتقوى والله وإيثار طاعته.

٢. إقامة الصلاة مع المسلمين والترفُّق بهم، فيصلي بصلاة أضعفِهم.

١. تحذير الولاة والعمال من بِطانة السوء ومصاحبة الأشرار.

٢. جهاد الأعداء وجباية الخراج، مع عمارة الأرض والبلاد.

٣. تفقُّد أحوال الرعية، والرفق بها، والتواضع لها، والعدل بينها، وأنها طبقات لا يستغني بعضها عن بعض. وبث العيون من أهل الصدق والوفاء، وذلك لحسن الأمانة.

وإذا تأملنا في التنظيمات الإدارية التي وضعها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ، نجدها دستوراً في الإدارة، والعلاقة بين الحكومة وولاتها وعمالها، ودرس لعمال الأقاليم في أنحاء الدولة الإسلامية، على اختلاف عصورهم، وعظة للقائمين على شؤون الرعية، من مسلمين وغيرهم، بما يحقق ضمان مصالح من يعيشون في كنف الدولة الإسلامية.[١]

[١] انظر: الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٨/ ٥٨٥- ٥٨٨.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

المطلب الثاني: نقل العاصمة إلى الكوفة

بقيت المدينة المنورة طيلة العهد النبوي وعهد الخلفاء الثلاثة عاصمة الدولة الإسلامية، فلما قُتل عثمان وبويع لعلي رضي الله عنهما، ارتأى مغادرةَ المدينة المنورة إلى الكوفة، لتكون العاصمة الإسلامية الأولى خارج حدود الجريرة العربية، الأمر الذي لم يلقَ استحسان جُل الصحابة، كأبي أيوب الأنصاري الذي قال لعلي: "يا أمير المؤمنين، أقمت بهذه البلاد لأنها الدرع الحصينة، ومهاجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبها قبره ومنبره ومادة الإسلام، فإن استقامت لك العرب كنتَ كمن كان، وإن تشغب عليك قومٌ رميتَهم بأعدائهم، وإن أُلجِئت حينئذٍ إلى السير سرتَ وقد أعذرتَ..".[1]

أرغمت المستجدات السياسية والميدانية أمير المؤمنين علي على مغادرة المدينة المنورة باتجاه الكوفة، ولم يكن اختيار الكوفة عاصمة جديدة للخلافة عفوياً، بل جاء نتيجة عوامل عدة، اقتضت هذا الإجراء الإداري، فما الذي يميز الكوفة عن المدينة، وغيرها من البلاد حتى وقع الاختيار عليها؟.

نجد الجواب مختصراً في خطابه لأهلها إبان مسيره إلى صفين: "يا أهلَ الكوفة! أنتم إخواني، وأنصاري، وأعواني على الحق، وصحابتي على جهادِ عدوي المحلين، بكمْ أضرِبُ المدبرَ، وأرجو تمامَ طاعةِ المقبلِ".[2]

---

[1] ابن حبان: الثقات ٢/ ٢٨٣.

[2] ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٢/ ٦٩٠.

www.alukah.net

ولو وقفنا عند أسباب هذا الاختيار بشيء من التفصيل، للمسنا الأمور التالية:

١) رغبته ﷺ بتجنيب المدينة المنورة أيَّة انعكاسات سلبية قد تقود إليها تطورات الأحداث، سيَّما وأنه عاصرَ مقتل عثمان ﷺ فيها، وتلقى تهديدات الغوغاء بقتل كبار الصحابة إن لم يقبل البيعة بالخلافةِ.

٢) وجود أكثر شيعته ومواليه في الكوفة، ولم بقصر هؤلاء –لاحقاً– في مؤازرتهِ في معركَتي الجمل وصفين، في حين نأى أهل الحجاز بأنفسهم عن الصراعات الإسلامية البينية، وانحاز أهل الشام ومصر لواليهم معاوية.

٣) توسُّع رقعة الدولة الإسلامية، مما اقتضى أن تكون العاصمة الإدارية والسياسية للدولة في موقع يُعين رجالات الحكومة في التحرك بسهولة مستغلين القربَ من الولايات الأخرى، وقد توفَّرت هذه الميزة في الكوفة أكثر من غيرها.

٤) قربها الجغرافي من ولاية الشام التي يتحصّن فيها معاوية وأنصاره، فلا بُدَّ من نقطةٍ قريبة تمكن الخليفة من التهيؤ السريع لأي طارئ.[١]

[١] انظر: الصلابي: سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ٢/ ٤.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

المطلب الثالث: القضاء في عهد علي ﷺ

عني المجال القضائي عند أمير المؤمنين علي ﷺ، بمكانة خاصة، تجلت في نظرته للأحكام الصادرة واستقلاليتها، وكيفية انتقاء المؤهلين للقضاء، كما نسجل الملاحظات التالية:

- إبقاؤه على أسلوب القضاء المعمول به في عهد أسلافه من الخلفاء الراشدين، وعدم نقضها، فقد أُثر عنه أنه قال: "أقضوا كما تقضون حتى تكونوا جماعة، فإني أخشى الاختلافَ"، وقد كان هو من كتب الكتاب بين أهل نجران وبين النبي ﷺ، فكثروا في عهد عمر حتى خافهم على الناس، فوقع بينهم الاختلاف، فأتوا عمر فسألوه البدل، فأبدلهم، ثم ندموا، ووضع عليهم شيئاً فأبوه، فاستقالوه، فأبى أن يقيلهم، فلما ولي علي أتوه فقالوا: يا أمير المؤمنين! شفاعتُك بلسانك، وخطُّك بيمينك، فقال علي: وَيْحَكُم إن عمرَ كان رشيدَ الأمر، ولن أردَّ قضاءً قضى به عمرُ.[1]
- الجهاز القضائي: يعد القضاء من الولايات العامة، لذا يُشترط في القاضي ما يشترط فيمن تكون له ولاية عامة على المسلمين من العقل والبلوغ والإسلام، كما يشترط في القاضي أن يكون عفيفاً عما في أيدي الناس، حليماً لا تثيره الكلمة، ولا يغضبه التَّصرف النابي، عالماً بأحكام الشرعية، وبناسخها ومنسوخها، فقد قال علي ﷺ لقاضٍ: هل تعلم الناسخ من المنسوخ؟ قال: لا ، قال: هلكتَ وأهلكتَ.

ويشترط فيه أن يكون عالماً بما قضى به القضاة السابقون، حتى لا يخرج عن خطهم في القضاء، حسماً لفوضى الأحكام، وأن يكون متواضعاً لا يرى غضاضةً في استشارة ذوي العلم والعقل الراجح، لأن هذه الشورى تبعده عن الخطأ في الأحكام، وأن يكون جريئاً في الحق لا يتأخر عن النطق بالحكم به ولو أغضب ذوي السلطان، وقد جمع ذلك كله قول علي رضي الله عنه: لا ينبغي أن يكون القاضي قاضياً حتى تكون فيه خمس خصال: عفيف، حليم، عالم بما كان قبله، يستشير ذوي الألباب، ولا يخاف في الله لومة لائم.[2]

---

[1] ابن قدامة: المغني ١٠/ ٧. والدارقطني: فضائل الصحابة، ص ٣٣.

[2] ابن قدامة: المغني ١٠/ ٩٥. وانظر: ابن ابي الدنيا: الإشراف في منازل الأشراف، ص ١٤٦.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ولكي يتحقق العدل في الأحكام لا بد للقاضي له من مراعاة ما يلي:

١. دراسة القضية بتأن، فلا يتسرَّع في إصدار الحكم قبل الانتهاء من دراستها من مختلف جوانبها، والاطمئنان إلى الحكم، ومثال ذلك تبنيه سيدنا علي لشريح القاضي بقوله: "لسانُك عبدكَ ما لم تتكلَّم، فإذا تكلمتَ فأنت عبدهُ، فانظر ما تقضي، وفيمَ تقضي، وكيف تقضي".

٢. المساواة بين الخصوم: نزل ضيفٌ على علي في خصومة، وبات عنده أياماً، فقال له علي: أخصمٌ أنت؟ قال: نعم، قال: فارتحلْ عنا، فإنا نُهينا أن نُنزِل خصماً إلا مع خصمه.

٣. الرفق بالمتخاصمين وعدم الصياح بهم: ولَّى علي أبا الأسود الدؤلي القضاء، ثم عزله، فسأله: لمَ عزلتني وما خُنتُ ولا جنيتُ؟ فقال: إنما رأيتكَ يعلو كلامك على الخصمين.

٤. الابتعاد عن حظوظ النفس ومجاهدتها قدر الإمكان: سواء كانت هذه المؤثرات قرابة، أو مالاً، أو بُغضاً.. فقد جاء جعدة بن هبيرة إلى سيدنا علي فقال: يا أمير المؤمنين، يأتيك الرجلان أنت أحبُّ إلى أحدهما من نفسه، والآخر لو يستطيع أن يذبحك لذبحك، فتقضي لهذا على هذا؟. فلمزه علي وقال: هذا شيء لو كان لي لفعلتُ، ولكن إنما ذلك شيءٌ لله.

٥. الشورى: تجب على القاضي استشارة ذوي العلم والرأي لئلا يضيع منه حق، وقد كان علي أحد أعضاء الشورى الذين يحرص الخلفاء على استشارتهم عندما تعرض عليهم مشكلة، فقد كان عثمان بن عفان إذا أتاه الخصمان قال لهذا: ادع علياً، وقال لهذا: ادع طلحة والزبير ونفراً من أصحاب رسول الله ﷺ، فإذا جاؤوا إليه قال لهما: تكلما، فإذا تكلما يُقبل عليهم فيقول: ماذا تقولون؟ فإن قالوا ما يوافق قولَه قضى عليهما، ولا يُنظِرهم بعد.[١]

[١] الصلابي: أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن ابي طالب، ص ٣٠٤.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

- بداية مهنة المحاماة: كان علي رضي الله عنه يوكل أخاه عقيلاً في المخاصمة، ولما أسنَّ عقيل، وكّل عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه كإمام على القضاء، وكان يقول: ما قُضيَ لوكيلي فلي، وما قُضيَ على وكيلي فعليَّ.[1]

وعن جهم بن أبي الجهم عن عبد الله بن جعفر قال: "كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يكره الخصومة، فكان إذا كانت له خصومة، وكل فيها عقيل بن أبي طالب، فلما كبر عقيل، وكلني".[2]

[1] السرخسي: المبسوط، ٣٠٢/١٩. وانظر: الألباني: إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، ٢٨٧/٥ وقال: ضعيف.

[2] البيهقي: دلائل النبوة، ٨١/٦. ورواه ابن أبى شيبة في المصنف ٧/ ٢٩٩ من طريق محمد بن إسحاق عن جهم، قال: حدثنى من سمع عبد الله بن جعفر يحدث.. فذكره بنحو ما ساق المخرج عن البيهقى، وزاد: " فكان على يقول: ما قضي لوكيلي فلي، وما قضي على وكيلي فعليَّ". وقال الألباني في إرواء الغليل ٢٨٧/٥ "ضعيف.

www.alukah.net

الفصل الخامس

الحسن بن علي رضي الله عنه

(٤٠هـ)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

المبحث الأول

ترجمته وخصائصه

المطلب الأول: ترجمته

اسمه: الحسن بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، سبط النبي صلى الله عليه وسلم من ابنته فاطمة، وهو من سماه به.

مولده ونسبه: أول مولودٍ ولد في الإسلام لأهل البيت عليهم الكرام، وأول فرعٍ للدوحة الهاشمية النبوية. وُلد في النصف من شهر رمضان المبارك من السنة الثالثة للهجرة النبوية، وجيء به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: اللهم إني أُعيذه بك وولده من الشيطان الرجيم، وأذَّن في أذنه اليمنى، وأقام في اليسرى، وعقَّ عنه بكبش.[1]

قال معاوية ﷺ مرة لجلسائه: "مَن أكرمُ الناس أباً وأماً، وجداً وجدةً، وعماً وعمةً، وخالاً وخالةً؟". فقالو: أمير المؤمنين أعلمُ. فأخذ بيد الحسن وقال: "هذا! أبوه عليٌّ بن أبي طالب وأمه فاطمةُ ابنة محمد ﷺ، وجدّه رسول الله ﷺ، وجدته خديجة، وعمُّه جعفر، وعمته هالة بنت أبي طالب، وخاله القاسم بن محمد، وخالته زينتُ بنت محمد ﷺ".[2]

كنيته: أبو محمد.

لقبه: التَّقي، والزكي، والسبط، والسيد، والأمين، والأثير، والمجتبى، والزاهد، والشهيد.

وصفه: كان الحسن أشبهَ الناس بجده المصطفى صلى الله عليه وسلم، حسنَ البدن والوجه، أبيض مشرباً بحمرة، جعد الشعر، أدعج العينين، كثَّ اللحية، بعيدَ ما بين المنكبين، ربعةً ليس بالطويل ولا بالقصير، وكان يخضِب بالسواد. قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه وقد حمل الحسن: "بأبي شبيهٌ بالنبي، ليسَ شبيهٌ بعلي".

---

[1] الذهبي: سير أعلام النبلاء ٣/ ٢٤٦.

[2] ابن عبد ربه: العقد الفريد ٥/ ٤٥.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ما نزل في فضله من الأحاديث:

للنبي صلى الله عليه وسلم في الحسن وفي أخيه الحسين أحاديث كثيرة منها:

١. عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر والحسن إلى جنبه، ينظر إلى الناس مرة واليه مرة ويقول: «إِنَّ ابنِي هذا سَيِّدٌ، يُصْلِحُ اللهُ بِهِ بين فِئَتَيْنِ من المسلمينَ».[١]

٢. عن أبي هريرة وحذيفة وابن مسعود وابن عمر وغيرهم قالوا: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «الحسنُ والحسينُ سيِّدا شبابِ أهلِ الجنَّةِ».[٢]

٣. عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لحسن: «اللَّهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُ فأَحِبَّهُ وَأَحْبِبْ مَن يُحِبُّهُ».[٣]

زوجاته وأولاده: اختُلفَ في العدد الدقيق لزوجات الحسن بن علي ﷺ وأولاده، وقد أحصى الذهبي للحسن تسع زوجات هنَّ:

١) أم بشير بنت أبي مسعود عقبة بن عمرو بن ثعلبة: ولدت له:

١. زيد بن الحسن السبط.

٢. أم الحسن بنت الحسن بن علي.

٣. أم الحسين بنت الحسن بن علي.

٢) خولة بنت منظور بن زَبّان بن سيار بن عمرو: ولدت له:

- الحسن المثنى بن الحسن السبط.

٣) أم إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله بن عثمان التيمي القرشي: ولدت له:

---

[١] البخاري: صحيح البخاري ٤/ ٢٦٢ برقم (٢٧٠٤).

[٢] الحاكم: المستدرك برقم (٤٧٧٩) واللفظ له، وأبو نعيم: الحلية ٥/ ٥٨ مختصراً.

[٣] مسلم: صحيح مسلم برقم (٢٤٢١). وابن ماجه: السنن ١/ ٥١.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

١. حسين بن الحسن بن علي (الأثرم)

٢. فاطمة بنت الحسن بن علي.

٣. طلحة بن الحسن بن علي.

٤) زينب بنت سبيع بن عبد الله أخي جرير بن عبد الله البجلي.

٥) أم ولد تدعى نفيلة (رملة): ولدت له:

١. القاسم بن الحسن بن علي.

٢. عمرو بن الحسن بن علي.

٣. عبد الله بن الحسن بن علي.

٦) جعدة بنت الأشعث بن قيس بن معدي كرب الكندي.

٧) أم ولد تدعى صافية: ولدت له:

- عبد الرحمن بن الحسن بن علي.

٨) أم كلثوم بنت الفضل بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم.

٩) أم ولد تدعى ظمياء.

وكما ذكر له عدد من الأولاد في بعض الكتب، مثل: إسماعيل ويعقوب وعقيل ومحمد الأكبر ومحمد الأصغر وأبو بكر وحمزة وأم الخير.

وفاته: كان الحسن شديدَ الوجل من لقاء ربه، حتى أنه لما ثقل عليه المرض دخل عليه أخوه الحسين فقال: "يا أخي لأي شيء تجزع؟! تُقدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى علي بن أبي طالب وهما أبواك، وعلى خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وهما أماك، وعلى حمزة بن عبد المطلب وجعفر بن أبي طالب وهما عماك"، فقال: "أخي إني أُقدِم على أمرٍ لم أقدمْ على مِثله".[١]

[١] يحيى بن معين: تاريخ ابن معين ٣/ ٥٠٦.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

توفي رضي الله عنه في يوم الخميس السابع من شهر صفر سنة ٥٠ للهجرة، وله من العمر سبع وأربعون سنة، ودفن في البقيع، واجتمع الناس عليه بعد مماته مشيعين له كما اجتمعوا عليه في حياته، يقول ثعلبة بن أبي مالك: "شهِدنا الحسن بن علي يوم مات، ودفناه بالبقيع، ولو طُرحت إبرةٌ ما وقعتْ إلا على رأس إنسان".[١]

المطلب الثاني: أخلاقه

ذكرنا سابقاً أن الحسن بن علي رضي الله عنهما كان أشبهَ الناس بجده صلى الله عليه وسلم، خَلقاً وخُلُقاً، لذا من الطبيعي أن يتمتع بخصال حميدة، ومزايا فريدة، أهمها:

- زهده وعبادته: عُرفَ عن الحسن كثرة عبادته، فكان إذا صلى الغداة في المسجد النبوي يجلس في مصلاه يذكر الله حتى ترتفع الشمس، ويجلس إليه من يجلس من سادات الناس يتحدثون عنده. وكان إذا توضأ تغيَّر لونه فقيل له ذلك فقال: "حُقَّ لمن أراد أن يدخلَ على ذي العرش أن يتغيرَ لونُه".[٢]

وغالباً ما كان يقضي فترة ما بين المغرب والعشاء في الصلاة، فقيل له في ذلك، فقال: إنها ناشئةُ الليل.[٣]

وكان كثيرَ الحج، رُوي أنه حجَّ خمساً وعشرين مرة ماشياً على رجليه، وكان يقول: "إني لأستحي من ربي أن ألقاه ولم أمشِ إلى بيته"، ومن شعره في الزُّهد:

لَكَسْرةٌ من خسيسِ الخبزِ تُشبعُني ... وشَربةٌ من قراحِ الماءِ تكفيني

وطرةٌ من دقيق الثوب تسترني ... حياً وإنْ متُّ تَكفيني لِتَكْفِينِي

ويقول: يَا أَهْلَ لَذَّاتِ دُنْيَا لَا بَقَاءَ لَهَا ... إِنَّ اغْتِرَاراً بِظِلٍّ زَائِلٍ حُمْقُ[٤]

---

[١] سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان في تواريخ الأعيان ٧/ ١٣٢.

[٢] التستري: تفسير التستري، ص ١٠٩.

[٣] ابن حنبل: الزهد، ص ١٤١.

[٤] ابن أبي الدنيا: الزهد، ص ٣١.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

- حكمته: تبدَّت حكمته رضي الله عنه في مواقف كثيرة، أبرزها تنازله عن الخلافة لمعاوية، حقناً لدماء المسلمين، وجمْعاً لكلمتِهم، كما سنُبين لاحقاً.

ومن الأمثلة على حكمته وبُعد نظره، سعيُه الدائم للتصدي للمغالين الذين حاولوا استغلال عاطفة حُب الناس لآل بيت النبي ﷺ في نشر الأفكار المضللة.

يقول عمرو بن الأصم: دخلْتُ على الحسَنِ بن عليٍّ ـ رَضي اللهُ عنهما وهو في دارِ عمرِو بن حرَيْثٍ، فقلْتُ: "إنَّ ناساً يَزْعُمُونَ أن علياً برجع قبل يوم القيامة، فضحك وقال: "سبْحانَ اللهِ، لو عَلِمنا ذلك ما زَوَّجْنا نِساءهُ، ولا ساهمْنا مِيراثَهُ".[1]

وقال لبعض الذين زعموا أن علياً كان أولى بالخلافة ممن سبقه: "لو كان الأمر كما تقولون: أن النبي ﷺ اختار علياً لهذا الأمر والقيام على الناس بعده كان عليّ أعظم الناس جرماً وخطيئة، إذ ترك أمرَ رسول الله ﷺ أن يقوم به، ويُعذر إلى الناس".[2]

- تواضعه: مثاله أنه مرَّ بصبيان معهم كسر خبز فاستضافوه، فنزل عن فرسه، وأكل معهم، ثم حملهم إلى منزله، فأطعمهم، وكساهم، وقال: البدءُ لهم؛ لأنهم لم يجدوا إلا ما أطعموني، ونحن نجد أكثر منه.[3]
- كرمه: واشتُهِرَ الحسن بالكرم وكثرة الإنفاق، فقد خرج من ماله مرتين، ومن شطر ماله ثلاث مرات.[4]

سمع مرةً رجلاً يسأل الله أن يرزقه عشرة آلاف درهم، فانصرف فبعث بها إليه.

وقال محمد بن سيرين: "كان يعطي الرجلَ الواحد مائة ألف"، وكان لا يدعو أحداً إلى طعامه من قلَّة الطعام، ويقول: "هو أهونُ من أن يُدعى إليه أحدٌ".

---

[1] ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٢/ ٧٤٢.

[2] عبد الملك المعصمي: سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي ٢/ ٣٤١

[3] ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب ١/ ٩٧.

[4] الأصبهاني: معرفة الصحابة ٢/ ٦٥٤. وانظر: ابن حجر الهيثمي: فضائل آل الرسول من الصواعق المحرقة، ص ٥٤.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وكان يجالس الفقراء على الأرض ويأكل معهم كسيرات الخبز، رأى مرة غلاماً أسود يأكل من رغيف لقمة، ويطعم كلباً هناك لقمة، فقال له: "ما حملكَ على هذا؟"

فقال: إني أستحي منه أن آكل ولا أطعمه، فقال له الحسن: "لا تبرحْ من مكانك حتى آتيكَ"، فذهب إلى سيده فاشتراه واشترى الحائط الذي هو فيه، فأعتقه وملّكه الحائط، فقال الغلام: "يا مولاي قد وهبتُ الحائطَ للذي وهبتني له".[1]

وجاء رجل إلى الحسين بن علي، فاستعان به على حاجة، فوجده معتكفاً، فقال: لولا اعتكافي لخرجت معك، فقضيت حاجتك، فخرج الرجل من عنده، فأتى الحسن بن علي، فذكر له حاجته، فخرج معه لحاجته، فقال: أما إني قد كرهت أن أعينك في حاجتي، ولقد بدأت بحسين فقال: لولا اعتكافي لخرجت معك، فقال الحسن: "لقضاءُ حاجة أخ لي في الله أحبُّ إلي من اعتكاف شهر".[2] وغير ذلك من الآثار التي رُويت عن كرمه.

- حلمه: ولعل من أبرز سجاياه حلمه، وتجاوزه عن عثرات الآخرين، حتى أن مروان بن الحكم بكاه عند وفاته وقال عنه: "كان حِلمه يوازنُ بالجبال".

بلغه عن رجل كلام يكرهه فأخذ طبقاً مملوءاً من التمر الجني، وحمله بنفسه إلى داره، فطرق الباب، ففتح الرجل، فنظر إليه وقال: وما هذا يا ابن بنت رسول الله؟ قال: خذه فإنه بلغني عنك أنك أهديت إليّ حسناتك فقابلتُ بهذا.[3]

وقال: "لو أنَّ رجلًا شتَمني في أذني هذه، واعتذر في أُذني الأخرَى، لقبِلتُ عذرَه".[4]

---

[1] ابن كثير: البداية والنهاية ٨/ ٤٢.

[2] ابن المبارك: الزهد والرقائق ١/ ٢٥٨.

[3] أبو حامد الغزالي: التبر المسبوك في نصيحة الملوك، ص ٢٥.

[4] المقدسي: الآداب الشرعية والمنح المرعية ١/ ٣٠٢.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

المطلب الثالث: علاقته بمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهم

بالغ معاوية رضي الله عنه في إكرام آل البيت عليهم السلام، والأدلة على ذلك كثيرة، ومتوفرة في بطون الكتب للباحثين عن الحقيقة من ذوي الألباب والبصيرة، نذكر منها:

أ- عن محمدِ بن عبد الله بن أبي يعقوب، قال: "كان معاوية رضي الله عنه إذا لقيَ الحسنَ بنَ عليّ رضي الله عنهما، قال: مَرحباً بابنِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وأهلاً، ويأمرُ له بثلاثمائةِ ألف، ويلقى ابنَ الزبير رضي الله عنه فيقول: مرحباً بابن عَمَّةِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وابن حواريه، ويأمر له بمائة ألف".[1]

ب- وعن جعفرِ بن محمد، عن أبيه، أنَّ الحسنَ والحسينَ كانا يَقْبَلانِ جوائزَ معاوية رضي الله عنهم جميعاً.[2]

ت- وعن ثور، عن أبيه، قال: "انطلقتُ مع الحسن والحسين رضي الله عنهما وافِدَين إلى معاوية رضي الله عنه فأجازهما؛ فقبلا".[3]

---

[1] الآجري: الشريعة ٤/ ٢٤٦٨ برقم (١٩٥٩)

[2] ابن أبي شيبة: المصنف ٧/ ٢٠١ برقم (٢٠٥٨٤) كتاب البيوع، والآجري: الشريعة ٤/ ٢٤٧٠ برقم (١٩٦٣). وابن عساكر: تاريخ دمشق ٥٩/ ١٩٤.

[3] الآجري: الشريعة ٤/ ٢٤٦٩ برقم (١٩٦٠). وابن أبي شيبة: المصنف ١٠/ ٣٥٤ برقم (٣١٠٧٧).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المبحث الثاني

خلافة الحسن بن علي

المطلب الأول: بيعته وسياسته

أولاً: بيعته

بويع للحسن بالخلافة بعد والده، وبإجماع الناس، لأن علياً ﷺ لم يوصِ لأحد من بعده، وقد طلب منه الناس أن يستخلف أحداً فرفض ذلك، وقال لهم: "لَا؛ وَلَكِنِّي أَتْرُكُكُمْ إِلى مَا تَرَكَكُمْ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"[1]. أي بغير استخلافٍ.

وينقل بعض المؤرخين أن عبد الله بن جندب سأل علياً عن بيعة الحسن فقال: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنْ فَقَدْنَاكَ وَلَا نَفْقُدُكَ فَنُبَايِعُ الْحَسَنَ؟ فأجابه: "مَا آمُرُكُمْ، وَلَا أَنْهَاكُمْ أَنْتُمْ أَبْصَرُ".[2]

أما الروايات الشيعة فلا تَثبت، لذلك لم نتطرَّق إليها.[3]

تمت بيعة الحسن في رمضان سنة ٤٠هـ (٦٦١م)، ليكون الخليفة الراشد الخامس، فعن سفينة مولى النبي ﷺ أنه قال: «الخلافةُ بعدي ثلاثونَ سنةً، ثم تكونُ مُلكاً».[4] وكانت مدة خلافته ستة أشهر، وقيل ثمانية، وكان أولَّ من بايعه قيسُ بن سعد بن عبادة الأنصاري فقال: أُبسط يدك على كتاب الله وسنة رسوله وقتال المخالفين. فقال الحسن: "على كتاب الله وسنَّة نبيه، فإن ذَلِكَ يأتي من وراء كل شرطٍ، فبايعه وسكت، وبايعه الناس".[5]

---

[1] الذهبي: سير أعلام النبلاء ٨/ ٢٤٧.

[2] الطبراني: المعجم الكبير ١/ ١٠١. وابن كثير القرشي: البداية والنهاية ١١/ ١٦. وهذا ثابت حتّى في المصادر الشيعية. أنظر: الشافي ٣\ ٢٩٥، ومقتل الإمام أمير المؤمنين لأبي بكر بن أبي الدنيا، ص٤٣. وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٤\ ٨.

[3] تورد المصادر الشيعية أن النبي صلى الله عليه وسلم قد نص على الأئمة من بعده، وعينهم بأسمائهم، وأولهم علي بن أبي طالب، وثانيهم الحين بن علي، وتورد أيضاً أن علياً أوصى قبل وفاته بالخلافة إلى ولده الحسن، وقد أشهد على وصيته جميع أولاده وأهل شيعته وأهل بيته، وعهد إليه بكتابه وسلاحه، وأمره بأن يدفعها لأخيه الحسين إذا حضرته الوفاة. لكن علماء أهل السنة والجماعة يردون روايات الشيعة في قضية النص على خلافة الحسن ويحكمون عليها بالبطلان، ويعتبرونها من المفتريات، وأنها لم تصح عن النبي صلى الله عليه وسلم، ولا عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

[4] ابن حبان: الصحيح برقم (٦٩٤٣) وحسن إسناده الارناؤوط.

[5] ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٢/ ٧٥١. والطبري: تاريخ الرسل والملوك ٥/ ١٥٨.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ثم اشترط الحسن على أهل العراق السمعَ والطاعة، وأن يسالموا من سالمَ، وأن يحاربوا من حاربَ، فرضوا وبايعوا.[1] وبعد أن أخذ البيعة منهم قال لهم: "الحقوا بطينتكم (مأمنكم) وإني والله ما أحبُّ أن أليَ من إمرة أمة محمدٍ ﷺ ما يزيد على ذرة خردلٍ يُهراق منهم مِحجمُ دمٍ".[2]

ثانياً: سياسة الرعية

تعكس سيرة الحسن بن علي ومنهجه في إدارة شؤون الأمة حرصَه على الرعية، وأدبَ الاختلاف، والتضحية بالمنصب والمال والنفس، والتواضع وانتهاج الحوار للحفاظ على دماء المسلمين وبلادهم.

لم تسمح الأوضاع الصعبة والمعقدة التي أعقبت استشهاد علي لأبنه الحسن رضي الله عنهما بإجراء تغييرات إدارية، فالحرب مع أهل الشام بقيادة معاوية قائمة، لذا أقر عمال أبيه على ولاياتهم، عدا الكوفة، فقد ولى عليها المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، بدلاً من واليها السابق هانئ بن هوذة النخعي، واستمر سعد بن مسعود الثقفي عاملاً على المدائن، أما البصرة فقد بقي عبد الله بن عباس رضي الله عنهما والياً عليها ولغاية عقد الصلح مع معاوية بن أبي سفيان، ثم خرج من البصرة معتزلاً السياسة قاصداً مكة المكرمة، متفرغاً للعلم والتعليم.[3] أما ولاية فارس فقد كانت لزياد بن أبيه، الذي بعثه علي بن أبي طالب إليها لتأديب بعض المتمردين، فقضى عليهم، ثم تولاها لغاية عقد الصلح بين الحسن ومعاوية. كما استبقى الحسنُ عبيدَ الله بن رافع كاتباً، واستبقى شريح بن الحارث قاضياً على الكوفة، وأبقى معقل بن قيس الرياحي على الشرطة. ولم يتخذِ الحسنُ حاجباً.

---

[1] الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٥/ ١٦٢. وابن عساكر: تاريخ دمشق ١٣/ ٢٦٣. ومن علماء الشيعة الذين أثبتوا هذا الشرط الشيخ المفيد في كتابه "الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد" ٢/ ٧.

[2] ابن سعد: الطبقات ٢٥٧/٥ بإسناد صحيح. والآجري: الشريعة ٥/ ٢١٦٩.

[3] تذكر بعض الروايات أن عبد الله بن عباس خرج من البصرة وذهب إلى مكة بعد مقتل علي مباشرة. وقد نقل ابن الأثير الجزري هذه الرواية الثانية، واعتبرها أصح من سابقتها، وأن الذي شهد صلح الحسن هو عبيد الله بن عباس وليس عبد الله. وقد قام عبد الله بن عباس باستخلاف "عبد الله بن الحارث بن نوفل" على البصرة وسار إلى الحجاز.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المطلب الثاني: الصلح مع معاوية (عام الجماعة)

أولاً: النبوءة النبوية بالصلح

إذا ذُكرَ الصُّلح في تاريخنا الإسلامي المجيد، ذُكر معه الحسن بن علي رضي الله عنهما، ذلك أن النبي ﷺ بشَّر بأن الحسن سيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين، روى أَبو بَكْرَةَ قال: بَيْنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ، جَاءَ الحَسَنُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ مِنَ المسْلِمِينَ».[1] والسيّد في اصطلاح الشرع من يقوم بإصلاح حال الناس في دنياهم وأخراهم معاً، وأي سيادة أفضل من حقن دماء المسلمين وجمع شملهم؟.

وقد شكَّل هذا الحديث النبوي الشريف دافعاً للحسن إلى الإقدام على الصلح، ورسخ في قرارة نفسه، واعتبره وصية من جده ﷺ.[2]

وينقل المؤرخون أن معاوية بن أبي سفيان بعث سراً إلى الحسن طالباً الصُّلحَ، لأنه كان يعلم أن الحسن كان أكرهَ الناس للفتنة. فوافق الحسن، فكانت النتيجة محاولة اغتياله، عندما وثب عليه رجلٌ وهو يصلي فطعنه بخنجر، فأصابه في وركه، فمرض منها أشهراً ثم برئ، فقعد على المنبر فقال: "يا أهلَ العراق؛ اتقوا الله فينا، فإنا أمراؤكم وضيفانكم أهل البيت الذين قال الله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ [الأحزاب: ٣٣] قال: فما زال يقول ذاك حتى ما يُرى أحدٌ من أهل المسجد إلا وهو يخنُّ بكاءً".[3]

---

[1] سبق تخريجه.

[2] الندوي: المرتضى سيرة أمير المؤمنين سيدنا أبي الحسن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ص ١٩٨.

[3] ابن عساكر: التاريخ الكبير ٤/ ٢٢٢. والكاندهلوي: حياة الصحابة ٤/ ٢٥٧.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ثانياً: مسير الحسن ﷺإلى الشام ومفاوضة معاوية

كان الحسن بن علي رضي الله عنه لا يرغب بالقتال، ويسعى لحقن دماء المسلمين، لكنَّ أهل العراق أصرُّوا على قتال أهل الشام، فثاروا عليه، واجتمعت الألوف منهم على قتال أهل الشام، والقتالُ وإن كان له تأويلٌ شرعي، إلا أنَّ فيه مخالفةٌ للإمام، وقد خَشِيَ الحسن رضي الله عنه من فتنة مخالفة كل هذه الجموع، فخرج على رأس جيش بقيادة عبيد الله بن العباس لقتال أهل الشام وهو كارهٌ لهذا الأمر، وأتى معاويةُ حتى نزل مسكن، ولما شاهد أهل الشام تلك الجحافل، قال عمرو بن العاص: إني لأرى كتائبَ لا تولي حتى تَقتُل أقرانَها. فقال له معاوية: أي عمرو، إنْ قتلَ هؤلاء هؤلاء، وهؤلاء هؤلاء، من لي بأمور الناس؟ من لي بنسائهم؟ من لي بضيعتهم؟. ثم بعث معاويةُ إلى الحسن كلاً من عبد الله بن سمرة وعبد الله بن عامر بن كريز ليفاوضاه، فدخلا عليه فكلماه. فقال لهما الحسن: إنّا بنو عبد المطلب قد أصبنا من هذا المال (فرَّقنا منه ما رأينا في ذلك صلاحاً)، وإن هذه الأمة قد عاثت في دمائها (أي المعسكرين الشامي والعراقي) قالا: فإنه يعرض عليك كذا وكذا ويطلب إليك ويسألك.

قال: فمن لي بهذا؟

قالا: نحن لك به، فما سألهما شيئاً إلا قالا نحن لك.[1]

[1] انظر: العسقلاني: فتح الباري ٥/ ٣٠٥ شرح الحديث رقم (٧١٠٩). وانظر: ابن الجوزي: المنتظم ٣/ ٤٠٦.

www.alukah.net

ثالثاً: محاولات اغتياله

مرَّ معنا سابقاً أن الخوارج اغتالوا اثنين من الخلفاء الراشدين، ومن العشرة المبشرين بالجنة والسابقين في الإسلام، وصهرَي رسول الله ﷺ، عثمان وعلي رضي الله عنهما، وقاتلوا صحابته الكرامَ بعد أن كفّروهم وأباحوا دماءهم.

ولم يكن الحسن بمنأىً عن فهم الخوارج السقيم، وسهامِهم الغادرة، فتعرض -مجدداً- إلى محاولتَي اغتيال، كانت الأولى منهما بعد مسيره لقتال أهل الشام، وفي أعقاب الشائعة التي سرت بمقتل قائد جيشه، قيسِ بن سعد، إذ عمّت الفوضى معسكره، وانتهب بعضهم بعضاً، حتى انتهبوا سُرادِق الحسن (خيمة خاصة)، ونازعوه بساطاً كان جالساً عليه، وطعنه بعضُهم.[1]

وكانت المحاولة الثانية لاغتياله على يد شخص اسمه الجراح بن سنان، صاحب السيرة السيئة، وأحد الذين افتروا على سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، عندما كان والياً على الكوفة في خلافة الفاروق عمر رضي الله عنه، وسَعوا في عزله، في وقتٍ كان ملك الفرس يزدجرد يحشد جيوشه لقتال المسلمين.

كمن الجراح ينتظر الحسن ﷺ، فلما مرّ ودنا من دابته أخذ بلجامها، ثم أخرج معولاً كان معه وقال: أشركتَ يا حسنُ كما أشركَ أبوكَ من قبلُ، وطعنه بالمعول في أصل فخِذه، فشقَّ في فخذه شقاً كاد يصل إلى العظم، وضرب الحسن وجهه، ثم اعتنقا وخرّا إلى الأرض، فوثب عبد الله بن الخضل الطائي وظبيان بن عمارة التميمي على الجراح فقتلاه، وحُمل الحسن إلى المدائن، ومكث مدةً حتى برئ.[2]

---

[1] ابن كثير: البداية والنهاية ٣/ ١٥٦٨.

[2] الصلاّبي: الحسن بن علي بن أبي طالب شخصيته وعصره، ص ٣٢٩ – ٣٣٠. وفي بعض مصادر الشيعة أن هذه المحاولة تمت بعد تنازله عن الخلافة لمعاوية. أنظر: الإربلي: كشف الغمة، ص٤٠، والمفيد: الإرشاد، ص ١٩٠، والمسعودي: مروج الذهب ١/ ٤٣١.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

عندها أدرك الحسن غدر هؤلاء، فقال: "أرى واللهِ معاوية خيراً لي من هؤلاء؛ يزعمون أنهم لي شيعة، ابتغوا قتلي وأخذوا مالي، والله لأن آخذَ من معاوية ما أحقن به من دمي وآمن به في أهلي خير من أن يقتلوني فيضيع أهل بيتي، والله لو قاتلت معاوية لأخذوا بعنقي حتى يدفعوا بي إليه سلماً، ووالله لأن أسالمه وأنا عزيزٌ خير من أن يقتلني وأنا أسيرٌ، أو يمنُّ علي فيكون سُنةً على بني هاشم آخر الدهر، ولمعاوية لا يزال يمن بها وعقبَه على الحيِ منا والميت..".[1]

رابعاً: تنازله عن الخلافة

يعد الحسن ﷺ علماً من أعلام النبوة، والدليل موقفه النبيل في تلك اللحظات الحرجة من تاريخ الأمة المسلمة حين التقى بجيش معاوية، وكان باستطاعته القتال حتى آخر رمقٍ، لكنه آثر السلامة للأمة، ففاوضه على الصلح، وتوصَّل معه لحقن دماء المسلمين من أهل الشام وأهل العراق، وغدا هذا الصلح من مفاخر الحسن بن علي على مر العصور وتوالي الأزمان، وتجربةً أولى ناجحةً عن عملية "الانتقال السلمي للسلطة"، فكان كما أنبأ جده النبيُّ ﷺ بما سيحدث بعد وفاته بثلاثين عاماً في معجزة عظيمة أسفرت عن التئام شمل المسلمين بعد عَقْدٍ كاملٍ تقريباً من الفتن والمؤامرات والدسائس التي حاكها أهل الفتن من المجوس والخوارج والروافض، فعادت الأمور إلى نصابها، وتوارى المرجفون، وهدأت الفتنة وأُغمدت السيوف، وأقيمت الحدود وعادت للأمة مهابتها، وانطلقت جيوش الفتح الإسلامي شرقاً وغرباً، حتى حوصرت القسطنطينية في خلافة معاوية، واستشهد أبو أيوب الأنصاري ﷺ تحت أسوارها.

والمشهور أن مبايعة الحسن لمعاوية تمت في سنة أربعين، ولهذا يقال له "عام الجماعة" لاجتماع الكلمة فيه –باستثناء الخوارج– على معاوية.[2]

---

[1] الطبرسي: الاحتجاج ٢/ ١٠.

[2] ابن كثير: البداية والنهاية ٨/ ١٥.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وبعد أن تنازل الحسن عن الخلافة جمع الناس وخطب فيهم قائلاً: "أما بعدُ: أيها الناس؛ إن الله هداكم بأوّلنا، وحقن دماءكم بآخِرنا، وإن لهذا الأمر مدة والدنيا دول، وإن الله تعالى قال لنبيه: ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنْتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ۖ وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ ۞ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ۞ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [الأنبياء: ١٠٩-١١١].[١]

ولابن قيم الجوزية لفتة طيبة في حديث المهدي الذي يخرج في آخر الأمة وهو من نسل الحسن فيقول: "وفي كونه من ولدِ الحسن سرٌّ لطيفٌ، وهو أن الحسن رضي الله عنه ترك الخلافة لله، فجعل الله من ولده من يقوم بالخلافة الحق المتضمن للعدل الذي يملأ الأرض. وهذه سُنَّة الله في عباده، أنه من ترك لأجله شيئاً، أعطاه الله أو أعطى ذريته أفضلَ منه.. والله أعلم".[٢]

ولا بدَّ من التوقف قليلاً عند أبرز بنود اتفاق الصلح الميمون بين الصحابيين الجليلين، وتحليلها، وإيضاح ما أُلحق بها من أباطيل.

- البند الأول: عنوانه "القرآن والسُّنة واجتهاد الخلفاء الراشدين" مصادرُ أساسيةٌ في التشريع وسياسة الرعية، فقد أكَّد أن الحسن على الوفد المفاوض من قبل معاوية العملَ بكتاب الله وسنة نبيه وسيرة الخلفاء الراشدين، وهذا أكير دليلٍ على توقير الحسن لأبي بكر وعمر وعثمان وعلي.
- البند الثاني: يتضمن الجانب المالي، فقد وضح الحسن هذه النقطة، وقال لوفد معاوية: "إنا بنو عبد الطلب قد أصبنا من هذا المال، فمن لي بهذا؟" قالا: نحن لك به. فالحسن يريد ألا يطالبهم معاوية، ولا ذكرَ لأموالٍ يُطلَب من معاوية أن يدفعها إليه من قادم. وذهب بعض المؤرخين إلى أن إبقاءه ما في بيت المال معه (خمسة ملايين درهم)، لأولئك المحاربين

---

[١] المقدسي: البدء والتاريخ ٥/ ٢٣٧.

[٢] ابن القيم: المنار المنيف في الصحيح والضعيف ص ١٥١.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الذين كانوا معه، يوزعه بينهم، ولا شك أن توزيع الأموال على بعض الجنود يساعد في تخفيف شدة التوتر.

وأما الروايات التي تشير بأنْ يُجريَ معاوية للحسن كل عامٍ مليون درهم، وأن يحمل إلى أخيه الحسين مليوني درهمٍ كل عام، ويُفضلَ بنى هاشم في العطاء والصلات على بنى عبد شمس، وكأن الحسن باع الخلافة لمعاوية، فهذه الروايات لا تُقبل ولا يُعتمد عليها، لأنها تصور إحساس الحسن بمصالح الأمة ضعيفاً أمام مصالحه الخاصة. وأما حقه من العطاء فليس الحسن فيه بواحد من دون المسلمين، ولا يمنع أن يكون حظُّه منه أكثرَ من غيره، ولكنه لا يصل إلى عُشر معشار ما ذكرته الروايات.

- البند الثالث: الدماء: تضمَّن اتفاق الصلح بين الجانبين أن "الناس كلهم آمنونَ لا يُؤخَذ أحدٌ منهم بهفوةٍ أو إحنة"، وقد أكَّد الحسن لوفد معاوية: "أن هذه الأمة عاثت في دمائها"، فكفِل الوفد للحسن العفوَ للجميع فيما أصابوا من الدماء.[1]

وأما ما تناقله بعض المؤرخين من طلب الحسن لأن تكون الخلافة له من بعده، فليست صحيحة، وهي تتنافى مع إخلاص وصدق نية الحسن ﷺ. فكيف يتنازل عن الخلافة حقناً لدماء الأمة وابتغاء مرضاة الله تعالى، ثم يوافق أن يكون تابعاً يتطلب أسباب الدنيا وتشرأبُّ عنقه للخلافة مرةً أخرى؟!.

والدليل على هذا ما ذكره جبير بن نفير قال: "قلت للحسن بن علي: إن الناسَ يزعمون أنك تريد الخلافة. فقال: "كانت جماجم العرب بيدي، يسالمون من سالمتُ ويحاربون من حاربتُ، فتركتُها ابتغاءَ وجه الله، ثم أبتزُّها بأتياسِ أهل الحجاز؟.[2]

---

[1] الصلابي: سيرة أمير المؤمنين خامس الخلفاء الراشدين الحسن بن علي، ص ٣٤٧.

[2] الحاكم: المستدرك ٣/ ١٨٦. والبلاذري: أنساب الأشراف ٣/ ٤٩، وابن سعد: الطبقات ص ٢٥٨ بسند جيد.

www.alukah.net

وبعد أن استتبَّ الأمر لمعاوية، حاول بعضهم أن يدفع الحسن إلى الخروج عليه، لكنه لم يستجب لهم، ولم ينجح أحدٌ منهم في إغوائه، فعن يزيد بن الأصم قال: خرجتُ مع الحسن فجاءته إضبارةٌ من كُتبٍ فقال: يا جارية هاتي المخضب، فصبَّ فيه ماءً، وألقى الكتب في الماء، فلم يفتحْ منها شيئاً، ولم ينظرْ إليه، فقلت: يا أبا محمد ممنْ هذه الكتب؟ .

قال: من أهل العراق، من قومٍ لا يرجعون إلى حقٍّ، ولا يقصرون عن باطل، أما إني لستُ أخشاهم على نفسي، ولكني أخشاهم على ذلك، وأشار إلى الحسين.[1]

[1] الطبراني: المعجم الكبير ٣/ ٧٠.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

خامساً: شبهة قتل معاويةَ للحسنِ بالسُّم

يردد الشيعة الروافض شبهةً خطيرة مفادُها أن معاوية سمَّ الحسنَ رضي الله عنهما. وهذا الادعاء باطلٌ بالجملة، وذلك لأسباب هي:

أ- أنَّ ما تم تناقله مجرَّد رواياتٍ لم تثبت بدليل صحيح، وكانت غايتُها اتهام صحابي جليلٍ دون أية ببينةٍ.[1]

ب- ورود روايات كثيرة تثبت أن الذي سمّ الحسن غير معاوية، فقيل هي زوجته جعدة، بأمرٍ من أبيها الأشعث بن قيس، وقيل غيرها.. مما يُضعف هذه الروايات، بل وينسفها كلياً،[2] ولا تعدو تلك النُّقول أن تكون من نسج خيالات الشيعة الحاقدين الذين حاولوا إيجادَ علاقةً بين البيعة ليزيد وبين وفاة الحسن بالسُّم، أو من خلال الافتراء بالقول عن وجود علاقة بين جعدة بنت قيس ومعاوية ويزيد، حيث زعموا أن يزيد بن معاوية أرسل إلى جعدة بنت قيس أن سُمي حسناً فإني سأتزوجِكِ، ففعلتْ، فلما مات الحسن بعثت جعدة إلى يزيد تسأله الوفاء، فقال: إنا واللهِ لم نرضكِ له، أفنرضاك لأنفسنا؟!.[3]

ولو تأملنا هذه الادعاءات الباطلة، لوقفنا على حقائق تدحضها، فلم يكن معاوية رضي الله عنه أو ولده يزيد بهذه السذاجة ليأمرا امرأةَ الحسن بمثل هذا الفعل الخطير والمنكر، ثم ماذا سيكون موقفهما أمام المسلمين لو أنَّ جعدة كشفت أمرهما؟.

ثم إنَّ جعدة بنت الأشعث بن قيس لا ينقصها الشرف أو المال حتى تتواطأ لتنفيذ هذه الجريمة النكراء، فهي ابنة أمير قبيلة كندة، وزوجها الحسنُ بن علي أفضلُ الناس منزلة وشرفاً بلا منازع..

---

[1] قال ابن العربي في العواصم، ص٢٢٠– ٢٢١: فإن قيل: دس –أي معاوية- على الحسن من سمه، قلنا هذا محال من وجهين.. الثاني: أنه أمر مغيب لا يعلمه إلا الله، فكيف تحملونه بغير بينة على أحد من خلقه، في زمن متباعد، لم نثق فيه بنقل ناقلٍ، بين أيدي قوم ذوي أهواء، وفي حال فتنة وعصبية، ينسب كل واحد إلى صاحبه مالا ينبغي، فلا يقبل منها إلا الصافي، ولا يسمع فيها إلا من العدل الصميم.

[2] ابن خلدون: تاريخ الرسل والملوك ٢/ ٦٤٩.

[3] يورد المؤرخ الشيعي ابن رستم في كتابه "دلائل الإمامة" ص٦١ أن معاوية قد سم الحسن سبعين مرة فلم يفعل فيه السم، ثم ساق خبراً طويلاً عما ما بذله معاوية لجعدة من الأموال والضياع لتسم الحسن، وغير ذلك من الأمور الباطلة.

www.alukah.net

ت- افتقار هذه الرواية إلى التعليل المنطقي لتفكير معاوية بالتخلص من الحسن، فقد صالحه وسلّم له بالخلافة وبايعه، فلمَ يسمُّه معاويةُ؟!.[1]

ث- وجود الكثير من أعداء الحسن بن علي رضي الله عنهما، فقبل أن يكون معاوية هو المتهمَ الأول، هناك الخوارج الذين حاولوا اغتياله مراراً، وهناك السبئية، العقل المدبر لكل المصائب التي توالت على الأمة منذ مقتل عثمان رضي الله عنه..

ج- إثبات بعض الدراسات الطبية المعاصرة لواقعة سم الحسن أنه ربما توفي بسبب مرض سرطاني أو نزيف داخلي ناجم عن تلفِ الكبد.[2]

[1] انظر: ابن تيمية: منهاج السنة ٤/ ٤٦٩. والذهبي: تاريخ الإسلام (عهد معاوية) ص٤٠. وابن كثير: البداية والنهاية ٨/ ٤٣.

[2] أنظر: ابن سعد: الطبقات ١/ ٣٣٦ و٣٣٨. وخالد الغيث: مرويات خلافة معاوية في تاريخ الطبري، ص ٣٩٥– ٣٩٧.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الخاتمة

توقفنا في هذا العرض التاريخي عند بعض جوانب الخلافة الراشدة، وعلى مدار ثلاثين عاماً، توزعها خمسة من خيار صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم من المبشرين بالجنة، ممن تربوا في مدرسة النبوة، وعاشوا مراحل الدعوة وأحداثها منذ بدايتها، وكانوا ممن قال ربُّنا سبحانه وتعالى فيهم: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾. [التَّوبة، ١٠٠].

والقواسم المشتركة بين هؤلاء الفضلاء كثيرة، أبرزها أن أحداً منهم لم يتولَّ أمرِ المسلمين بفرض نفسه عليهم، أو بتعيينٍ ممن سبقه في قيادة الأمة، بدءاً من أبي بكر وانتهاءً بالحسن بن علي، بل كان بشورى من المسلمين، وعلى الملأ.

كما حمل هؤلاء الأفاضل أعباء الدعوة والجهاد على كواهلهم، فقد نفذ أبو بكر ما كان ينوي رسول الله صلى الله عليه وسلم تنفيذه، فأنفذ جيش أسامة بن زيد، وحارب المرتدين وأنهى فتنتهم للأبد، وأرسل الجيوش إلى العراق وفارس والشام، وجمع القرآن الكريم، ثم أكمل الفاروق ما بدأه الصديق، فأخضع بلاد فارس وأجزاء كبيرة من بلاد الروم، كالشام ومصر، ونظم الدولة، فدون الدواوين، ورتَّب العطاء، وعمل بالتقويم الهجري..

وسار كل من عثمان وعلي سيرة صاحبَيهما، وتعرَّضا للفتن التي عصفت بدولة الإسلام، ودفعا حياتيهما ثمناً للمبادئ السامية التي تمسكوا بها لآخر لحظة، ليكمل الحسن بن علي هذه المسيرة الطيبة، ويتوجها بتنازله عن الخلافة طوعاً فيما عرف بـ"عام الجماعة".

بقي أن نؤكد أن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم نجومٌ طلعت في سماء الإنسانية، فأنارت ظلامها، وأرست دعائم دولتها، ومصابيحُ هذه الأمة التي يستضاء بها بعد نبيها عليه أفضل الصلاة والسلام، وأننا أشدَّ ما نكون اليوم بحاجة إلى معرفة فضائلهم، واستحضار نماذجهم

شبكة الألوكة - قسم الكتب

التربوية الفريدة، والاقتداء بها، وتوضيح أن ما يمتلكونه من إخلاص النية وسمو الخلق قد ترفَّع بهم عن خسائس الدنيا، وأنهم –على تفاوت أقدارهم وتبايُن فضائلهم– لهم علينا من الحقوق الواجبة كمحبَّتهم والترضي عليهم وطاعتهم والاقتداء بهم، وتوقيرهم والذَّب عنهم، وأن الأيادي الخبيثة التي دوَّنت تاريخهم المجيد بغير صورته، وألصقت به ما ليس فيه، تهدف للطعن في ديننا الحنيف، وأنَّ النَّيل منهم نيلٌ من الأمانة التي حملوها، لذا كان لا بد القيام بحملة لتنقية تاريخنا الإسلامي المجيد مما ألصق به من روايات موضوعة، وتفسيرات سطحية، ونفي التَّضليل والزَّيف الذي ألحقتْه به أقلام الروافض الحاقدين، أو الملاحدة الطاعنين، ومن مالأهم من دعاة "التحرر" تحت عناوين شتَّى.. فتركوا الملاحم العظمى الخالدة، كـ"حديقة الموت" و"اليرموك" و"القادسية" بما فيها من شحنات إيمانية وعظات تربوية، كان من المفترض أن نؤسس عليها كبرياء أمتنا، ولهثوا خلف روايات الفتنة الكبرى، وموقعتي "الجمل" و"صفين".

ختاماً؛ أسأل الله العلي القديرَ أن أكون قد وُفقتُ في كتابي هذا، وأن يكون خطوةً في سلسلة البناء الفكري الصحيح لأجيال أمَّتنا الإسلامية.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين.

الملاحق

ملحق رقم (١) الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم

اسم الخليفة	مولده ووفاته	مقر الخلافة	مدة خلافته	ملاحظات
أبو بكر الصديق	٥٧٤-٦٣٤م	المدينة المنورة	٦٣٢-٦٣٤م	
عمر بن الخطاب	٥٨٣-٦٤٤م	المدينة المنورة	٦٣٤-٦٤٤م	قتل شهيداً
عثمان بن عفان	٥٧٦-٦٥٦م	المدينة المنورة	٦٤٤-٦٥٦م	قتل شهيداً
علي بن أبي طالب	٦٠٠-٦٦١م	الكوفة	٦٥٦-٦٦٠م	قتل شهيداً
الحسن بن علي	٦٢٥-٦٦٢م	الكوفة	٦٦٠-٦٦١م	تنازل لمعاوية- دس له السُّمُّ
بعض المؤرخين يدرج اسم **عبد الله بن الزبير** ضمن قائمة الخلفاء الراشدين				

ملحق رقم (٢) العهدة العمرية لأهل إيلياء (القدس)

العهدة العمرية

«بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما اعطى عبدالله عمر امير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان ، أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلباتهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها، انه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ، ولا ينقص منها ولا من حيزها ، لا من صليبهم ولا من شيء من اموالهم ، ولا يكرهون على دينهم ولا يضار احد منهم ولا يسكن بايلياء معهم احدٌ من اليهود، وعلى أهل ايلياء ان يعطوا الجزية كما يعطي اهل المدائن وعليهم ان يخرجوا منها الروم واللصوص فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم ، ومن أقام منهم فهو آمن ، وعليه مثل ما على أهل ايلياء من الجزية . ومن أحب من اهل إيلياء ان يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بيعهم وصليبهم فانهم آمنون على انفسهم وعلى بيعهم وصليبهم حتى يبلغوا مأمنهم ، فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على اهل إيلياء من الجزية ومن شاء سار مع الروم ومن شاء رجع الى أهله فانه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم .

وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين اذا أعطوا الذي عليهم من الجزية .

شهد على ذلك خالد بن الوليد ، عمرو بن العاص ، وعبد الرحمن بن عوف ومعاوية بن ابي سفيان وكتب وحضر سنة خمس عشرة .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ملحق رقم (٣) التحديات ذات الطابع السياسي التي واجهت الخلفاء الراشدين

عهد أبي بكر الصديق	
التحدي	**آلية المواجهة**
وفاة النبي ﷺ دون تعيين خليفته	اعتماد الشورى وحسم الخلاف نظراً لتفهم الصحابة
ردة العرب عن الإسلام	محاربة المرتدين بكافة أصنافهم
اعتداءات الروم المتتالية	إنفاذ جيش أسامة رضي الله عنه
استشهاد جل القراء في حروب الردة	جمع القرآن الكريم
عهد عمر بن الخطاب	
اتساع الدولة وتنوع شعوبها	تقسيم الولايات وتعيين ولاة مفوضين- توزيع القراء والعلماء على تلك الولايات وتوطينهم بها- بناء أجهزة الدولة وتطويرها.
ظهور إشكاليات جديدة مثل: توزيع أرض الخراج- إلغاء سهم المؤلفة قلوبهم- غياب الجند عن أزواجهم مع طول السفر..	توسيع الاجتهاد لاستيعاب المتغيرات والاستناد إلى رؤية مقاصدية ومصلحية منبثقة من نوايا صالحة ونفس رشيدة وتشاور
عام الرمادة (المجاعة)	تفعيل التكافل الاجتماعي- إعادة النظر في تطبيق حد السرقة في هذا الظرف.
تنازع المسلمين في قراءاتهم للقرآن	جمع المسلمين على مصحف واحد وحرق ما سواه
عهد عثمان بن عفان	
خروج الرعاع السبئيين ضده	انتهاج "السلمية" في مواجهتهم ومنع الصحابة من قتالهم، والاستشهاد في سبيل حقن دماء المسلمين.
عهد علي بن أبي طالب	
مقتل الخليفة عثمان وتحكم الرعاع بالمدينة وبعض الأقاليم	قبوله بيعة أهل المدينة بالخلافة- التبرؤ من مقتل عثمان وقتلته على الملأ
الانقسام السياسي بعد مقتل عثمان	تأمين المدينة المنورة والتوجه لترسيخ سلطة الدولة وبسط نفوذها

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ملحق رقم (٤) الدولة الإسلامية في العصرين النبوي والراشدي بمختلف مراحله

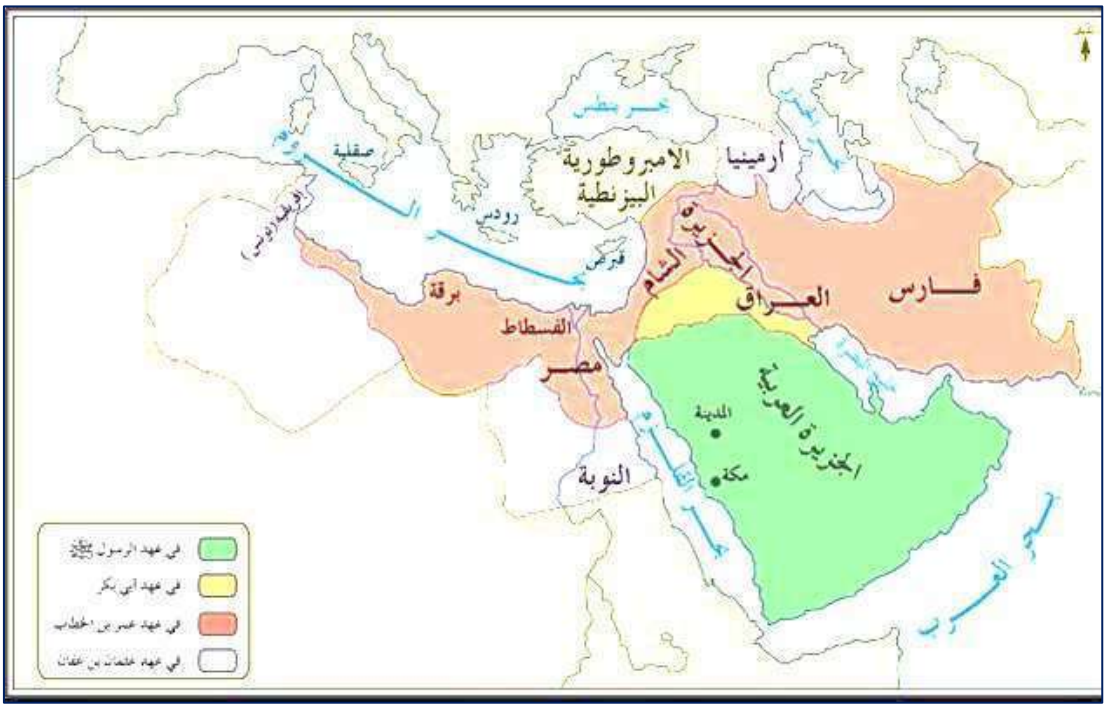

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ملحق رقم (٥) أسماء الولاة في خلافة عثمان رضي الله عنه

١	سعد بن أبي وقاص (الكوفة).	٢٥	الحصين بن أبي البحر (سواد البصرة).
٢	أبو موسى الأشعري (البصرة، الكوفة).	٢٦	الأحنف بن قيس (مرو الشاهجان، مرو الروذ).
٣	المغيرة بن شعبة (الكوفة، أذربيجان، أرمينيا).	٢٧	حبيب بن قرة اليربوعي (بلخ).
٤	عمرو بن العاص (مصر).	٢٨	خالد بن عبد الله بن زهير (هراة).
٥	جرير بن عبد الله البجلي (قرقيسياء، همذان).	٢٩	الأشعث بن قيس (أذربيجان).
٦	حبيب بن مسلمة الفهري (قنسرين، أرمينيا).	٣٠	سعيد بن قيس (الري).
٧	عبد الرحمن بن خالد بن الوليد (حمص).	٣١	هرم بن حسان اليشكري (بعض مدن فارس).
٨	عبد الله بن سوار العبدي (البحرين).	٣٢	هرم بن حيان العبدي (بعض مدن فارس).
٩	عثمان بن أبي العاص الثقفي (عمان، البحرين).	٣٣	الخريت بن راشد (بعض مدن فارس).
١٠	الربيع بن زياد الحارثي (سجستان).	٣٤	المنجاب بن راشد (بعض مدن فارس).
١١	قيس بن الهيثم السلمي (خراسان).	٣٥	الترجمان الهجيمي (بعض مدن فارس).
١٢	يعلى بن أمية التميمي (اليمن).	٣٦	النسير العجلي (همذان).
١٣	خالد بن العاص المخزومي (مكة).	٣٧	السائب بن الأقرع (أصبهان).
١٤	عبد الله بن عمرو الحضرمي (مكة).	٣٨	مالك بن حبيب اليربوعي (ماه).
١٥	عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي (الجَنَد، صنعاء).	٣٩	حكيم بن سلامة الخزامي (الموصل).
١٦	أبو الأعور عمرو بن سفيان السلمي (الأردن).	٤٠	سلمان بن ربيعة الباهلي (الباب، أرمينيا).
١٧	علقمة بن حكيم الفراسي الكناني (فلسطين).	٤١	عتيبة بن النهاس (حلوان).
١٨	عمير بن عثمان بن سعد (خراسان).	٤٢	حبيش الأسدي (ماسباذان).
١٩	عبد الله بن عمر الليثي (سجستان).	٤٣	حذيفة بن اليمان (جوخي، أرمينيا، أذربيجان).
٢٠	عبد الرحمن بن غبيس (كرمان).	٤٤	زيد بن ثابت (نائب عثمان على المدينة).
٢١	عبيد الله بن معمر التميمي (فارس).	٤٥	سبرة بن عمرو العنبري (اليمامة).
٢٢	أمين بن أحمر اليشكري (خراسان).	٤٦	عمير بن سعد الأنصاري (حمص).
٢٣	عمران بن الفضيل البرجمي (سجستان).	٤٧	عبد الله بن قيس الفزاري (البحر من بلاد الشام).
٢٤	عاصم بن عمرو التميمي (كرمان).		

ولاة عثمان رضي الله عنه من أقربائه			
١	معاوية بن أبي سفيان (الشام).	٥	عبد الله بن سعد بن أبي السرح (مصر).
٢	سعيد بن العاص (الكوفة). (عزله)	٦	عبد الرحمن بن سمرة (سجستان).
٣	الوليد بن عقبة (الكوفة). (عزله)	٧	علي بن عدي العبشمي (مكة).
٤	عبد الله بن عامر بن كريز (البصرة، فارس).	٨	مروان بن الحكم (البحرين).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.
٢. إتمام الوفاء في سيرة الخلفاء: محمد الخضري بك، تحقيق يوسف بديوي، دار ابن كثير، ط٤، ٢٠١٥م.
٣. أحكام أهل الذمة: محمد بن أبي بكر (ابن قيم الجوزية)، تحقيق يوسف بن أحمد البكري وشاكر بن توفيق العاروري، رمادي للنشر، الدمام، ط١، ١٩٩٧م.
٤. الأحكام السُّلطانية: علي بن محمد (الماوردي)، تصحيح وتعليق محمد حامد الفقي، مكتبة الحلبي بمصر، ط٢، ١٣٨٦هـ.
٥. أخبار المدينة، عمر بن شبة النميري، تحقيق علي محمد دندل، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م.
٦. الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ابن عبد البر، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت ط١، ١٤١٢هـ.
٧. أُسدُ الغابةِ في مَعْرِفَة الصَّحابَة، علي بن مُحَمَّد بن الأثير الجزري، تحقيق علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٤م.
٨. أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: علي محمد الصلابي، مكتبة الصحابة، الشارقة، ط١، ٢٠٠٤م.
٩. الإشارة إلى وفيات الأعيان، عهد الخلفاء الراشدين: محمد بن أحمد (الذهبي)، دار ابن الأثير، بيروت، ط٤، ١٩٩٢م.
١٠. الإِصَابة في تمييز الصَّحابَة، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٣٢٨هـ.
١١. أعلام الموقعين إعلام الموقعين عن رب العالمين: محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق محمد عبد السلام، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩١م.
١٢. إمامة الصِّديق: طه حامد الدليمي، دار عالم الكتب، بغداد، ط١، ٢٠١٣م.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

١٣. الإمامة والسياسة: عبد الله بن مسلم (ابن قتيبة)، تحقيق علي شيري، دار الأضواء، بيروت، ط١، ١٩٩٠م.
١٤. أنساب الأشراف: أحمد بن يحي البلاذري، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي دار الفكر، بيروت، ط٦، ١٩٩٦م.
١٥. الانشراح ورفع الضيق بسيرة أبي بكر الصديق: محمد علي الصلابي، دار التوزيع والنشر الإسلامية القاهرة، ط١، ٢٠٠٩م.
١٦. البداية والنهاية: إسماعيل بن عمر بن كثير، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٩٠م.
١٧. تاريخ الإسلام: محمد بن أحمد (الذهبي)، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.
١٨. تاريخ الرسل والملوك، محمد بن جرير الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط٤، ١٩٦٧م.
١٩. تاريخ المدينة المنورة، عمر بن شبه النميري، تحقيق علي محمد دندول، وياسين سعد الدين بيان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٩٩٦م.
٢٠. تاريخ الخلفاء: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق حمدي الدمرداش، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٦م.
٢١. التاريخ: خليفة بن خياط، راجعه وضبطه مصطفى نجيب فواز، وحكمت كشلي فواز، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥م.
٢٢. التاريخ الإسلامي: محمود شاكر الحرستاني، منشورات المكتب الإسلامي، ٢٠١٠م.
٢٣. تحرير الانسان وتجريد الطغيان: دراسة في اصول الخطاب السياسي القرآني والنبوي: حاكم المطيري، نسخة إلكترونية.
٢٤. تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة من روايات الإمام الطبري والمحدثين: محمد أمحزون، دار السلام، الرباط، ط١، ٢٠٠٧م.
٢٥. تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان: الصلابي، دار التوزيع والنشر الإسلامية القاهرة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٩م.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٢٦. الجامع الصَّحِيح، محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، دمشق، ط١، ٢٠٠٢م.
٢٧. الجامع الصَّحِيح، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٤، ٢٠٠٦م.
٢٨. الجامع لأحكام القرآن: محمد بن أحمد القرطبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٥، ٢٠٠٦م.
٢٩. الحسن بن علي بن أبي طالب شخصيته وعصره: علي محمد الصلاّبي، دار التوزيع والنشر الإسلامية القاهرة، ٢٠٠٩م.
٣٠. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: أحمد بن عبد الله الأصفهاني (أبو نعيم)، دار السعادة، القاهرة، ٢٠١٢م.
٣١. حياة الصحابة: محمد يوسف الكاندهلوي، مكتبة العلم، دلهي، ٢٠١٣م.
٣٢. خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: أحمد ميرين البلوشي، مكتبة المعلاة، الكويت ١٩٨٦م.
٣٣. الخلفاء الراشدون من تاريخ الإسلام، الذهبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨م.
٣٤. الرياض النضرة في مناقب العشرة: أبو جعفر أحمد المحب الطبري، تحقيق وطباعة دار الكتب العلمية، ١٩٨٤م.
٣٥. سراج الملوك: محمد بن محمد أبو بكر الطرطوشي، دار صادر، بيروت، ٢٠١٩م.
٣٦. سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي: عبد الملك المعصمي، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م.
٣٧. سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث أبو داود. دار الفكر، بيروت: تحقيق مُحَمَّد محيي الدين عبد الحميد، دار الرسالة العالمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٩م.
٣٨. سنن الترمذي: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط٢، ١٩٧٥م.
٣٩. سنن النسائي، أحمد بن شعيب أبو عبد الرَّحمن النسائي، تحقيق عبد الغفور سليمان وآخرين، دار الكُتُب العلمية، بيروت: ط١، ١٩٨٦م.
٤٠. السياسية المالية لعثمان: قطب إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٦م.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

٤١. سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مكتبة الصفا، القاهرة، ٢٠٠٣م.
٤٢. الصواعق المحرقة في الرد على أهل الرفض والضلال والزندقة، أحمد بن محمد بن حجر الهيتمي، تحقيق مصطفى بن العدوي، مكتبة فياض، ٢٠٠٨م.
٤٣. الطبقات الكبير، محمد بن سعد بن منيع الزهري، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ٢٠٠١م.
٤٤. عبقرية عمر: عباس محمود العقاد، دار العالم العربي، القاهرة، ط٥، ٢٠١٩م.
٤٥. عثمان بن عفان رضي الله عنه: محمد الصادق عرجون، الدار السعودية، الرياض، ١٩٨١م.
٤٦. عصر الخلافة الراشدة: محاولة لنقد الرواية التاريخية وفق مناهج المحدثين، أكرم ضياء العمري، مكتبة العبيكان، الرياض، ط٨، ١٤٣٤هـ.
٤٧. العواصم من القواصم: محمد بن عبد الله بن محمد المِعَافري (ابن العربي)، مكتبة السنة، خرج أحاديثه وعلق عليه محمود الاستانبولي، تحقيق محب الدين الخطيب، مركز السنة للبحث العلمي، القاهرة، ط١، ١٩٨٥م.
٤٨. فتوح البلدان: البلاذري، تحقيق عمر وأنيس عبد الله الطباع، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٧م.
٤٩. فصل الخطاب في سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، علي محمد الصلابي، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٧م.
٥٠. الفصل في الملل والاهواء والنحل: علي بن أحمد (ابن حزم)، تحقيق محمد ابراهيم نصر وعبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، ط٣، ١٩٩٨م.
٥١. فضائل الصحابة: أحمد بن حنبل، تحقيق وصي الله بن محمد عباس، دار العلم للطباعة والنشر، ١٩٨٣م.
٥٢. فضائل الصحابة: الإمام أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق الدكتور فاروق حمادة، ار الثقافة، الرباط، ١٩٨٤م.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٥٣. فضائل الصحابة ومناقبهم: علي بن عمر الدارقطني، تحقيق محمد الرباح، مكتبة الغرباء الأثرية، الرياض، ط١، ١٩٩٨م.
٥٤. الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني (ابن الأثير)، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.
٥٥. لسان العرب، جمال الدين بن محمد بن مكرم (ابن منظور)، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٩٩٤م.
٥٦. مجموع الفتاوي: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق عبد الرحمن بن قاسم، دار أضواء السلف، ط١، ٢٠٠٣م.
٥٧. محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية: محمد الخضري بك، دار القلم، بيروت، ٢٠٠٩م.
٥٨. المرتضى سيرة أمير المؤمنين سيدنا أبي الحسن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، علي بن الحسن الندوي: دار القلم، الكويت، ١٩٨٩م.
٥٩. المستدرك على الصَّحِيحين، مُحَمَّد بن عبد الله الحاكم النيسابوري. دار الكُتُب العلمية، بيروت، ١٩٩٠م.
٦٠. الملل والنحل: محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م.
٦١. مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب: عبد الرحمن بن الجوزي، تحقيق عامر حسن التميمي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، الرياض، ط١، ٢٠١٣م.
٦٢. المنتظم: عبد الرحمن بن الجوزي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٢م.
٦٣. منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٩٨٦م.
٦٤. منهاج القاصدين في فضل الخلفاء الراشدين، عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، تحقيق فلاح بن ثاني بن شامان السعيدي، غراس للنشر والتوزيع، الكويت، ٢٠٠٧م.
٦٥. موسوعة فقه علي: محمد رواس قلعه جي، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٨٣م.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

٦٦. ميزان الاعتدال: الذهبي، محمد بن أحمد (الذهبي)، تحقيق علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٩٦٣م.
٦٧. نظام الرقابة والسياسة المالية في العهد النبوي والخلافة الراشدة: سعيد ماهر الحاطوم، رسالة ماجستير في قسم التاريخ والآثار بالجامعة الإسلامية بغزة، ٢٠١٥م.
٦٨. الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة: محمد حميد الله، دار النفائس، عمان، ٢٠٠٩م.

مقالات

- فيصل نور: شبهة الهجوم على بيت فاطمة، حرق الدار، كسر الضلع، ضلع الزهراء، إسقاط المحسن. على الرابط:
http://www.fnoor.com/main/articles.aspx?article_no=5597#_ftnref2
- علي الصلابي: الولايات في عهد الصِّدِّيق.. نموذج يحتذى في إدارة الدولة، بتصرف شديد. ترك برس ٧ فبراير ٢٠١٩م. متوفر على الرابط:
https://www.turkpress.co/node/57592
- محمد بن سالم بن علي جابر: التراتيب الإدارية في عهد عمر بن الخطاب، شبكة الألوكة الثقافية؛ ثقافة ومعرفة، تاريخ التحرير ٢٠٠٩/٥/١٢م- ١٤٣٠/٥/١٧هـ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الفهرس

مقدمة ٤
الفصل الأول: أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه ٧
المبحث الأول: ترجمته وخصائصه ٨
المطلب الأول: ترجمته ٨
المطلب الثاني: أخلاقه ١٢
المطلب الثالث: أبرز خصائصه ١٦
المبحث الثاني: خلافة الصديق ٢١
المطلب الأول: بيعته ٢١
المطلب الثاني: سياسة الرعية ٢٣
المطلب الثالث: علاقته بآل بيت رسول الله ﷺ ٢٥
المبحث الثالث: أهم منجزات الخليفة أبي بكر الصديق ٢٨
المطلب الأول: النظام الإداري في عهد أبي بكر الصِّديق ٢٨
أولاً: الولايات ٢٨
ثانياً: القضاء ٣١
ثالثاً: أبرز المنجزات الإدارية للخليفة أبي بكر الصديق ٣٢
الإنجاز الأول: إعادة توحيد العرب تحت راية الإسلام ٣٢
الإنجاز الثاني: جمع القرآن الكريم ٣٨
الإنجاز الثالث: استخلاف عمر ٣٩
المطلب الثاني: السياسة المالية في عهد أبي بكر الصديق ٤١
المطلب الثالث: الحياة السياسية في عهد أبي بكر الصديق ٤٣
المبحث الرابع: الفتوحات في عهد الخليفة أبي بكر ٤٥
المطلب الأول: جبهة العراق ٤٦

شبكة الألوكة - قسم الكتب

المطلب الثاني: جبهة الشام ٥٠
المبحث الخامس: أبرز الشبهات المثارة سيدنا ضد أبي بكر الصديق ٥٦
الشبهة الأولى: شبهة أن أبا بكر اغتصب الخلافة ٥٦
الشبهة الثانية: عدم مبايعة علي لأبي بكر رضي الله عنهما ٦٠
الشبهة الثالثة: حرق عمر لبيت فاطمة وهدمه عليها وإسقاطها جنينها ٦٣
الشبهة الرابعة: اغتصاب أبي بكر سهم فدك من فاطمة الزهراء ٦٥
الفصل الثاني: عمر بن الخطاب رضي الله عنه ٦٦
المبحث الأول: ترجمته وخصائصه ٦٧
المطلب الأول: ترجمته ٦٧
المطلب الثاني: أخلاقه ٧٢
المطلب الثالث: أبرز خصائصه ٧٥
المبحث الثاني: خلافة الفاروق ٨٤
المطلب الأول: بيعته ٨٤
المطلب الثاني: سياسة الرعية ٨٥
المطلب الثالث: علاقته بآل بيت رسول الله ﷺ ٨٧
المبحث الثالث: أهم منجزات الخليفة عمر بن الخطاب ٩١
المطلب الأول: العبقرية الإدارية عند عمر بن الخطاب ٩١
أولاً: التراتيب الإدارية في عهد عمر بن الخطاب ٩١
ثانياً: القضاء والأمن والحسبة ٩٥
ثالثاً: تدوين الدواوين ٩٧
رابعاً: ابتكار العمل بالتقويم الهجري ٩٨
المطلب الثاني: التكافل الاجتماعي في عهد عمر بن الخطاب ٩٩
المطلب الثالث: السياسة المالية لعمر بن الخطاب رضي الله عنه ١٠٣
المطلب الرابع: إجلاء اليهود والنصارى من جزيرة العرب ١٠٦
المبحث الرابع: الفتوحات في عهد الخليفة عمر ١٠٩

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المطلب الأول: فتح العراق وبلاد فارس ١١٠
المطلب الثاني: فتح خُراسان وطبرستان ١١٥
المطلب الثالث: فتح بلاد الشام ١١٧
المطلب الرابع: فتح مصر ١٢٠
المطلب الخامس: فتح أذربيجان وأرمينية ١٢٢
المبحث الخامس: أبرز الشبهات المثارة ضد سيدنا عمر ١٢٣
الشبهة الأولى: رفض تقسيم أرض السواد بين الفاتحين (إلغاء سهم المؤلفةِ قلوبُهم) ١٢٤
الشبهة الثانية: شبهة جعل الخلافة شورى ومساواة المفضول بالفاضل ١٢٦
الشبهة الثالثة: عزلُ خالد بن الوليد عن إمرة الجيش ١٢٧
الشبهة الرابعة اغتصاب عمر لأم كلثوم بنت علي رضي الله عنهم ١٢٩
الفصل الثالث: عثمان بن عفان ١٣٠
المبحث الأول: ترجمته وخصائصه ١٣١
المطلب الأول: ترجمته ١٣١
المطلب الثاني: أخلاقه ١٣٣
المطلب الثالث: أبرز خصائصه ١٣٧
المبحث الثاني: خلافة عثمان بن عفان ١٣٨
المطلب الأول: بيعته ١٣٣
المطلب الثاني: سياسة الرعية ١٤٠
المطلب الثالث: علاقته بآل بيت رسول الله ﷺ ١٤٣
المبحث الثالث: أهم منجزات الخليفة عثمان بن عفان ١٤٦
المطلب الأول: النظام الإداري في عهد عثمان بن عفان ١٤٦
أولاً: الولايات ١٤٦
ثانياً: القضاء ١٥٢
ثالثاً: أبرز المنجزات الإدارية للخليفة عثمان ١٥٣
الإنجاز الأول: جمع القرآن الكريم في مصحف واحد ١٥٣

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الإنجاز الثاني: توسعة المسجد الحرام والمسجد النبوي ١٥٥
المطلب الثاني: السياسة المالية للخليفة عثمان ١٥٦
المبحث الرابع: الفتوحات في عهد عثمان بن عفان ١٥٨
المطلب الأول: فتح إفريقية ١٥٩
المطلب الثاني: الفتوحات في بلاد ما وراء النهر ١٦٠
المطلب الثالث: متابعة فتح أرمينية ١٦١
المطلب الرابع: إنشاء الأسطول الإسلامي ١٦٢
المبحث الخامس: الفتنة ومقتل عثمان ١٦٣
المطلب الأول: بوادر الفتنة ١٦٣
المطلب الثاني: اشتعال الفتنة ١٦٥
المطلب الثالث: نكث العهد وحصار عثمان ومقتله ١٦٩
المطلب الرابع: موقف الصحابة رضي الله عنهم من أحداث الفتنة الكبرى ١٧٣
المبحث السادس: أبرز الشبهات المثارة ضد سيدنا عثمان بن عفان ١٧٦
الشبهة الأولى: الاستئثار بالسلطة ومحاباة أقاربه ١٧٦
الشبهة الثانية: نفي أبي ذر الغفاري وضربه ١٨٠
الشبهة الثالثة: تضييع عثمان لبعض حدود الله تعالى ١٨٢
الشبهة الرابعة: الاجتهاد في العبادات بالزيادة ومخالفة السنة النبوية ١٨٥
الفصل الرابع: علي بن أبي طالب ١٨٨
المبحث الأول: ترجمته وخصائصه ١٨٩
المطلب الأول: ترجمته ١٨٩
المطلب الثاني: أخلاقه ١٩٤
المطلب الثالث: أبرز خصائصه ١٩٩
المبحث الثاني: خلافة علي رضي الله عنه ٢٠٢
المطلب الأول: بيعته ٢٠٢
المطلب الثاني: سياسة الرعية ٢٠٥

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المطلب الثالث: علاقته بأسلافه من الخلفاء الراشدين ٢٠٧
المبحث الثالث: أهم الأحداث في عهد الخليفة علي بن أبي طالب ٢٠٩
المطلب الأول: نقل مركز الخلافة إلى الكوفة ٢٠٩
المطلب الثاني: أهم النوازل السياسية في عهد الخليفة علي بن أبي طالب ٢١١
أولاً: القصاص من قتلة عثمان ٢١١
ثانياً: ثانياً: خروج طلحة والزبير ٢١٣
ثالثاً: حقيقة خروج أمنا عائشة ٢١٦
معركة الجمل ٢٢٠
رابعاً: معركة صفين ٢٢٦
خامساً: قضية التحكيم ٢٣١
المبحث الرابع: ظهور الخوارج والشيعة ٢٣٤
المطلب الأول: ظهور الخوارج ٢٣٤
أولاً: نشأة الخوارج ٢٣٤
ثانياً: ثانياً: سياسة علي في التعامل معهم ٢٣٦
ثالثاً: اجتماع المحكمين في دومة الجندل ٢٣٨
رابعاً: موقعة النهروان ٢٣٩
المطلب الثاني: ظهور الشيعة ٢٤٣
أولاً: تعريف التشيع ٢٤٣
ثانياً: فرق الشيعة ٢٤٤
ثالثاً: منهج أمير المؤمنين علي في التعامل مع غلاة الروافض ٢٤٦
المبحث الخامس: النظام الإداري في عهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه ٢٤٨
المطلب الأول: الإصلاحات الإدارية ٢٤٨
أولاً: عزل ولاة عثمان ٢٤٨
ثانياً: أبرز التنظيمات الإدارية في عهد علي ٢٤٩
المطلب الثاني: نقل العاصمة إلى الكوفة ٢٥٠

شبكة الألوكة - قسم الكتب

المطلب الثالث: القضاء في عهد علي ٢٥٢
الفصل الخامس: الحسن بن علي رضي الله عنه ٢٥٥
المبحث الأول: ترجمته وخصائصه ٢٥٦
المطلب الأول: ترجمته ٢٥٦
المطلب الثاني: أخلاقه ٢٥٩
المطلب الثالث: علاقته بمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهم ٢٦٢
المبحث الثاني: خلافة الحسن بن علي ٢٦٣
المطلب الأول: بيعته وسياسته ٢٦٣
أولاً: بيعته ٢٦٣
ثانياً: سياسة الرعية ٢٦٤
المطلب الثاني: الصلح مع معاوية (عام الجماعة) ٢٦٥
أولاً: النبوءة النبوية بالصلح ٢٦٥
ثانياً: مسير الحسن ﷺ إلى الشام ومفاوضة معاوية ٢٦٦
ثالثاً: محاولات اغتياله ٢٦٧
رابعاً: تنازله عن الخلافة ٢٦٨
المطلب الثالث: شبهة قتل معاوية للحسن بالسُّم ٢٧٢
الخاتمة ٢٧٥
الملاحق ٢٧٧
المصادر والمراجع ٢٨٣
الفهرس ٢٨٩